سلسلة التجديد

الإيمان والعصر

رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة

سلسلة التجديد: الإيمان والعصر..

رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة

الطبعة الأولى: يونية

1436هـ - 2015م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

دار الكتب المصرية

خالد، عمرو

الإيمان والعصر: رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة/

عمرو خالد - القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2015

.. ص؛ .. سم - (سلسلة التجديد)

تدمك 978-977-7810-30-2

1 - الإسلام والمجتمع 2 - الإيمان أ. العنوان

214/301

رقم الإيداع: 2015/13491

تدمك 978-977-7810-30-2

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لشركة «بسمة أمل» للإنتاج الفني والتوزيع

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب

بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير

أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

دار سما للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة

تليفون: 24517300 - 01271919100

emil: samanasher@yahoo.com

publishing@sama-publishing.com

بسمة أمل

للإنتاج الفني والتوزيع

التوزيع

المجموعة الدولية

للنشر والتوزيع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تلفاكس: 24518068 - 01099998240

emil:aldawleah_group1@yahoo.com

التنفيذ الفني

ali@daraj-eg.com

سلسلة التجديد

الإيمان والعصر

رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة

تأليف

د. عمرو خالد

تقديم

فضيلة الدكتور/ علي جمعة

إشراف

د. عمرو الورداني

سما للنشر والتوزيع

المحتويات

شكر وتقدير 9

الإهداء 11

تقديم 13

مقدمة المؤلف 17

الفصل الأول: القرآن

أربع إشكاليات تواجه الفهم الصحيح المستنير للقرآن 35

الأهداف الإنسانية للقرآن 36

كنوز القرآن 49

القرآن جملة واحدة.. فهم آيات الجهاد والرد على داعش 57

الفصل الثاني: الأخلاق

منظومة الأخلاق 69

استراتيجية تجديد الأخلاق 73

المرحلة الأولى: رد اعتبار الأخلاق 75

المرحلة الثانية: برنامج توليد الخير 79

المرحلة الثالثة: أخلاق الانطلاق 83
المرحلة الرابعة: تناغم الكيان الإنساني 93

الفصل الثالث: العمل والإنتاج

التجديد والعمل 105
العبادة والعمل 125
الفقر عدو الإسلام 137

الفصل الرابع: مفاهيم فعالة

القضاء والقدر 157
الدين جزء من الحياة وليس ضد الحياة 169
العقلية الفارقة 179
الهداية 187
فقه حب الحياة 195
الحب 207

الرد على الإلحاد 221
الإيمان والإلحاد 221
الإجابة عن الأسئلة الصعبة في الإلحاد 227
معضلة الشر والألم 237

الختام 247

شُكرٌ وتَقدِيرٌ

أشــكر أخــي وصديقي الدكتور عمــرو الورداني أميــن الفتوى ومدير التدريب في دار الإفتاء المصرية، الذي لولاه لما تم هذا العمل، فقد ســاهم بجهده وفكره لنكون شركاء في هذا العمل.

أشكر أخي حاتم الذي لم يدخر جهدًا أو فكرًا لدعم هذا المشروع، فهو شريك في الثواب والأجر إن شاء الله.

أشكر أخي وصديقي الدكتور أحمد خيري العمري الذي ساهم بالكثير من أفكار هذا العمل.

أشــكر الإنسان المُلهم الذي أمدني بالطاقة المعنوية والروحية لأستمر في إنجاز هذا العمل.

شارك في إعداد هذا الكتاب

- حمدي رزق حمادة.
- محمد عبدالعال عيسى (سقراط).
- رشا عبدالواحد إبراهيم.
- د. يحيى العباسي.
- محمد سعد.

لقد شارك هؤلاء الشباب الخمسة بالجهد
والفكر حتى تم إنجاز هذا العمل.

الإهْدَاءُ

إلى مفكري الأمة وشبابها..

عمرو خالد

تَقْدِيمٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على سـيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فنحـن أمـام محاولة لإعادة فهم القـرآن الكريم؛ حتى يعود فـي خُلق الناس خاصة الشـباب منهم، وهو واجب الوقت الذي نعيشـه والعصر الذي أرادنا الله فيه، والذي ميز جيل الصحابة ـ وهم المثال الكامل والأسـوة الحسنة ـ هو تفاعلهم مع القرآن كمعجزة رسالة، وحبل الله المتين، والعهد الأخير بين الله وبين البشر.

هذا القرآن أمرنا أن نعبد الله وأن نُعمر الأرض وأن نزكي قلوبنا؛ نطهرها من القبيح ونُحلِّيهـا بالصحيـح، وآيـات الأحكام في القـرآن 300 آية من أكثر مـن 6000 آية، أي بنسـبة 5 % والباقي في الأخلاق المتعلقة بالعقيدة، ونفس النسـبة في السـنة النبوية، فدل ذلك على أن هذا الإسلام إنما هو للعالمين، حيث إن الأخلاق مشترك إنساني يستفيد منه القاصي والداني.

هـذه الحقائق غُبـش عليها، فنحتاج إلى العودة إليها كما دعا هذا الكتاب الذي نرجو الله النفع به وأن يكون خطوة في طريق طويل لا بد من إتمامه، والله مقصود الكل.

نسـأل الله سـبحانه وتعالى التوفيق والسـداد وجـزى الله المؤلف علـى هذا الجهد المشكور والسعي المأجور خير الجزاء.

آمـيـــن

علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء

بالأزهر الشريف

مُقَدِّمَةُ ٱلمؤَلِّفِ

الإيمـان والعصـــر

بســم الله، والحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله... هذه محاولة جادة لتقديم رؤيــة جديــدة فعالة لدور الدين فــي حياتنا؛ فلقد كنــت دائمًا أقول: لابــد أن نفعل كذا ولابــد أن نفعــل كذا؛ لكن هذه المــرة لأنها رؤية جديدة فعالة أقــول: إن كلامي في هذه الموضوعات ليس كلامًا نهائيًّا، ولكنه فكر إســلامي جديد أطرحه عليكم لنفكِّرَ ونتحاور فيه معًا بالكامل.

نحن نعيش معضلة دينية كبيرةً؛ فلقد حدث زلزال في نظرة الناس للدين وما يشمله من مفاهيم، حتى اهتز إيمان بعض الناس اهتزازًا عنيفًا، فصار بعضهم يشكِّك في أمور كثيــرة من الدين، بل إن بعضهم فقــد إيمانه بالكلية، مما أفــرز طوائف تدعي انتماءها للدين وهي أبعد ما تكون عنه، مثل (داعش)، وهناك تطرف وعنف في مساحات شاسعة على خريطة العالم التي تنســب للإســلام، وهنــاك دماء أريقت باســم الدين من ناحية، وهناك إلحاد وتشــكيك ومحاولات لهدم الدين ونســف تراث المسلمين الديني من ناحية أخرى، وبين الاثنين ملايين الشباب والناس المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يقفون في مناطق الحيرة والتشكك في الأمر، لا يدرون لهم وِجهة، ولا يعرفون سبيلًا.

وهنا يبرز ســؤال محوريٌّ: ما دورُ الدين فــي حياتنا؟.. المفروض أن **دور الدين في الحياة أن يجيب عن أسئلة العصر ويلبي احتياجات المجتمع.**

لابــد أن نعترف بشــجاعة كدعــاة وعلماء دين أن هنــاك خللًا، وأن الصــورة الحالية المقدمــة للتدين لا تلبي احتياجــات المجتمع ولا تجيب عن أســئلة العصر، هناك خلل، وهناك فجوةٌ كبيرةٌ بين فهم الدين وبين العصر الحالي. فقد ضاعت الفاعلية، والموتور لا يــدور، إنه معطــل وغير فعال، إنه بمثابة دواء نزعنا منه المــادة الفعالة ثم نقول: إن الدواء لا يؤثر.

وهنا أوضح الأمرَ أكثر: لقد أخذت الحياة تتطور بسرعة مذهلة، في حين وقف عرض الدين مكانه، وهذا ليس خطأً في الدين، ولكننا لم نجدِّد أو نتجدد فكانت النتيجة حدوث فجوة كبيرة.

وأصبحت الصورة كالتالي:

والسؤال البديهي: لماذا ظهرت هذه الفجوة؟

والإجابة: لأن الدين لا يجيب عن أسئلة العصر الآن.

والسؤال الثاني: ما الدليل على أن هذه الفجوة 70 سنة على الأقل؟!

والإجابة: لو أنك ذهبت إلى أي مكتبة إسلامية وسألت: ما آخر كتاب دين يباع بكثرة في فروع الفقه والتفسـير والحديث؟ سـتجد كتاب فقه السنة – تفسير «في ظلال القرآن» رغم وجود إشـكاليات فيه– شرح أحاديث رياض الصالحين – وكلها كتب ألفت من 70 عامًا أو أكثر.

ثم إنك لو سألت: ما آخر «تطبيق» للكمبيوتر أو المحمول؟ فسيكون الرد: 2015.

ما الحل إذن في هذا الواقع؟

الحـل هو التجديد: تجديد يجعل الدين يسـاير الحياة خطوة بخطوة، **تجديد يتمسَّـك بالأمـور قطعيـة الثبوت فـي القرآن**، لكـن في غير ذلك توجد مسـاحات واسـعة جدًّا

للاجتهاد والتطوير، التجديد أصبح ضرورة لمواكبة العصر. لقد أمر النبي ﷺ بالتجديد حين قال: **«يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدِّد لها أمر دينها»**. ومن ثَم نستطيع أن نعتبر هذا الحديث عودةً لتفاعل الدين مع الحياة المعاصرة، ويقدم رؤيةً جديدة فعالة فيمن يجدد لهذه الأمة أمر دينها.

والقاعدة إذن: أنه لابد أن يواكب الدينُ العصرَ، وذلك مع الاحتفاظ بالثوابت؛ هل يمكن أن تعمل على الكمبيوتر الآن بنسخة ويندوز 98؟ هذه نسخة قديمة جدًّا من نظام التشغيل ويندوز.

ولكن من الذي أمرنا من البداية بعمل التجديد؟ إنه النبي ﷺ. هل نحن أكثر تدينًا من النبي؟ هل نحن نبويون أكثر من النبي؟ لقد أمرنا ﷺ بالتجديد؛ وذلك لسدِّ الفجوة بين الدين والحياة.

من أين نبدأ؟ من الدين أم من الحياة؟

أغلب المحاولات كانت تبدأ من الدين وتريد أن تعود إلى الماضي وتطوع العصر له، وهذا أمر مستحيل، لسبب بسيط هو أن الدنيا تتطور بسرعةٍ جدًّا.

وعلى ذلك فالصحيح هو أن نبدأ من الحياة، من العصر الحالي، ونبحث لنعرف أسئلة ومشكلات العصر، ثم يتوجه لها الدين ويجيب عنها برؤية جديدة، وحينئذٍ ستجد نصوصًا رائعةً واسعةً لكل عصر.

لقد قمنا بعمل «فوكس جروب» على شكل مجموعات عمل في 4 دول (مصر – السعودية – المغرب – الأردن) في شكل عينة ممثلة للشباب والبنات في سن المراهقة والعشرينات يمثلون اتجاهات فكرية مختلفة وميولًا وطبائع مختلفة فيهم المتدينون وفيهم الملحدون.. فيهم شباب طموح وفيهم شباب يعاني من البطالة.. فشارك 450 من الشباب العربي وسألناهم عن أسئلة العصر في مجالات الحياة المختلفة ذات العلاقة بالدين..

فتم تجميع أسئلة العصر في حوالي 100 سؤال متنوعة.

ثم جمعنا الأسـئلة في عدة قضايا كبرى مثل: الأخلاق ـ العمل ـ القرآن ـ الحديث ـ المفاهيم السلبية في الحياة..

فمثلًا أسئلة الأخلاق كان محورها:

1 - لماذا خط التدين في العشـرين سنة الأخيرة كان في ارتفاع بينما خط الأخلاق كان في هبوط؟ أليس من المفروض أن يسمو التدين بالأخلاق؟ فلماذا يتدين الناس ولا تتحسن أخلاقهم؟

أسئلة عن العمل وكان محورها:

2 - إذا كان الهدف من الخَلْق هو إعمار الأرض؛ فلماذا كانت الدعوة للعمل والإنتاج أقل أهمية في الدين من الدعوة للعبادة والصلاة؟

وأسئلة عن القرآن:

3 - القرآن يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ فأين التيسير والشباب لا يفهمه أصلًا؟ وهل القرآن كتاب للحياة أم للموت يقرأ على الأموات فقط؟

4 - «داعش» تسـتدل بآيات الجهـاد في القرآن.. كيف يدعو الدين للسـلام مع كل هذا القتل باسم الدين؟

أسئلة عن مفاهيم سلبية:

5 - لماذا زاد الإلحاد حتى في بيوت المتدينين أنفسهم؟

6 - لمـاذا لـم يحارب القرآن الفقر الذي هو سـبب أساسـي لانهيار الأمـم كما حارب المعاصـي والذنوب، مما أوجـد عقلية ترضى بالبطالة والكسـل، وترضى بالفقر باسم الدين؟

7 - لماذا توجد بعض المفاهيم الإسلامية التي صارت تخدر الناس بعد أن نزعت منها المادة الفعالة؟

كل هذه الأسئلة تدل على هذه الفجوة بين الدين والحياة.

وسوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من زاوية تجديد الرؤية لدور الدين في الحياة، ومن هنا كان العنوان «**الإيمان والعصر**».

هذه الأسئلة ليست نهائية، وكل الكلام الوارد هنا وفي الصفحات القادمة ليس كلامًا نهائيًّا، إنه محاولة للتجديد، ولتحسين حياتنا.. فالموضوع جد خطير، ولا أدَّعِي أني أقول كلامًا كله صحيح، ولكنه محاولة لفتح حوار مجتمعي.. حوار حول أسئلة العصر والإجابة المعاصرة المتجددة عنها.

ملاحظات هامة:

1 - لا تلوموا سرعة الحياة:

عندما نتكلم عن الفجوة بين الدين والحياة.. يخطئ البعض فيلوم الحياة على سرعتها في التطور والتغير.. وهو لا يدرك أن الله أرادها هكذا..

نحن لا نلوم سرعة الحياة؛ فقد خلقها الله هكذا، وأرادها سبحانه كذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾..

2 - التجديد مسئولية الجميع:

التجديد ليس مسئولية علماء الدين فحسب، وإنما مسئوليتنا جميعًا وخاصة الشباب؛ لأننا إذا اخترنا أن نبدأ من الحياة.. فالشباب هم أدرى الناس بتطوراتها، فهم الذين يعرفون آخر التطورات، وأين وصلت الحياة، وهم الذين يعرفون وسائل العصر الحديثة من التكنولوجيا والإنترنت؛ ولذلك سنتحرك خطوة خطوة في كل المجالات؛ الأخلاق – العمل – القرآن.. نعرض فكرة جديدة بصورة أولية وليس بشكلها النهائي، ونناقشها، **فأسلوب العصر هو المشاركة.**

لابـد أن نفتح حوارًا يوميًّا، يحمل شـعار: (فكرتي على فكرتك)، ليسـت فكرة ثالثة فحسب، بل هي مثل انشطار الخلية فسيكون عدد لانهائي.

هناك من يعرف أمور الدنيا، وهناك من يعرف أمور الدين، تعالوا نتكامل سويًّا لنسد الفجوة، فيجب على كل منا أن يستشعر أن الإسلام أمانة فى عنقه، كلنا مسئولون عنه.

وبـدلاً من إلقاء اللوم على علماء الإسـلام وحدهم.. لنتحمل كلنا المسـئولية.. كل ما أطلبه: دعوة للتفكير.

ما المطلوب؟ أن نفكر سويًّا ونتحاور..

ما المشكلة؟ فجوة بين الدين والحياة.

من أين نبدأ؟ نسد الفجوة بأن نبدأ بأسئلة العصر ثم نجيب عنها من خلال ديننا.

كيف ذلك: نحتاج إلى أمثلة لنفهم أكثر.

ولكـي يتم تقريب المطلوب.. تعالوا نعش مع نماذج قرأت الواقع المحيط بها..قرأت أسـئلة عصرها.. وعرفت كيف تحل مشـكلة عصرها وتسـد الفجوة بين الدين والحياة.. سنقدم أمثلة واضحة لنماذج قامت بذلك وسدت تلك الفجوة بين الدين والحياة.

النموذج الأول:

مـن هـو أعظم من اتبع هذه الطريقة فبدأ من أسـئلة الحياة وصـولًا إلى الدين؟ إنه سيدنا إبراهيم ﷺ. كان سؤال عصره هو: ما تصورنا عن الإله؟ كان الفكر البشري مازال يحتـاج إلى النضج، هذه كانت مشـكلة عصر إبراهيم ﷺ. عندما هاجر إلى الشـام إلى بلدة اسمها حران وجد أن الناس يعبدون أي شيء دون تفكير أو وعي؛ هذا يعبد شجرة، وهذا يعبد الشمس، هذا يعبد القمر، وهذا يعبد النجوم.. كانت هذه مشكلة عصره وكان هذا سؤال عصره.. فَهِمَ المشكلةَ واستوعبها، **ووضع أصول المنهج العلمي في التفكير**. واسـتخدم هذا المنهج لحل مشـكلة عصره؛ ولأنه يفهم مستوى نضج الناس في عصره فقد تدرج معهم خطوة خطوة.. وفتح معهم حوارًا للوصول إلى إجابات لسؤال عصرهم عن صفات الإله، انظر كيف تدرج في الأسـئلة.. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ﴾ أيعقـل أن نعبد مـن يغطيه غيره؟، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ «لماذا نعبد النجم والقمر أكبر منه؟» ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ «لماذا تكـون العبادة ليلًا فقط ويمكن أن تكـون بالنهار أيضًا؟» ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.. وأخيـرًا قال لهم: لماذا نعبد المحدود؟! فلنعبـد اللا محـدود ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾. «انظـر كيف يبدأ بالحياة وليـس بالدين! فبدأ العقلاء يخجلون من أنفسـهم: صحيح، معه حق ـ انظروا الفرق بين هذا المنهج ومنهج الناس المتشـنجة التي تفهم الدين والتدين بشـكل خاطئ، كل شيء حرام وكفر وصراخ ـ ثم

انتقلوا معه وبدأ يقودهم.. ليس إلى عبادة الأصنام ولا إلى عبادة النجوم، ولكن يقودهم لإصلاح الفكر خطوة خطوة.

لقد أجاب عن سؤال عصره، وكان الحل أنه وضع لأول مرةٍ في التاريخ المنهج العلمي في التفكير؛ لأنه درس مشكلة عصره فبدون فهم العصر سيكون الإنسان بعيدًا عن دنياه كما سيكون بعيدًا عن دينه.

النموذج الثاني:

الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - كانت مشكلة عصره ظهور فكر الخوارج المتطرف، وأدرك ابن عباس أن مشكلة الخوارج أنهم قساة يفتقدون لقيم الرحمة والجمال. وكان الخوارج في صراع مع سيدنا علي بن أبي طالب. فقال ابن عباس لعلي: أرسلني أناقش الخوارج. فقال له عليٌّ: أخافهم عليك. قال: لا تخف.

فذهب ولبس أجمل عباءة عنده، وذهب للحلاق وتعطر بأفضل عطر عنده!! فلماذا يفعل ذلك؟

إنه يلفت نظرهم إلى أصل المشكلة عندهم وهي أن فقدانهم الإحساس بالجمال أدى إلى تطرف سلوكهم ونظرتهم للحياة، فعندما رأوه قالوا: ما هذا الإسراف يا ابن عباس؟! قال: إن كنتم تعيبونه عليَّ فقد فعله رسول الله.. هكذا كنت أرى رسول الله ﷺ. تكلم في أصل في سنة النبيِّ ﷺ غائب عنهم وهو الإحساس بالجمال، وإنتاج الجمال في الأفكار وليس في اللبس فقط، فلما فقدوه تحول الدين عندهم إلى قتل وعنف.. لفت أنظارهم إلى أصل نفسي للمشكلة والفهم الخاطئ. إنه لم يكن ليفعل ذلك إلا بعد فهم عميق لمشكلة هؤلاء القوم. ثم قام بعمل SWOT Analysis «تحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات».. قال لهم: جئتكم من عند علي بن أبي طالب، وفي بيته نزل القرآن ومعه أصحاب رسول الله، وليس عندكم من ذلك أحد.

انظر كيف يعرض نقاط قوة عليٍّ.. ويعرض نقاط ضعفهم.

هذا الرجل يفهم الواقع بشــكل صحيح، إنه يســتخدم الطريقة نفســها: فهم مشكلة عصره وفتح حوارًا معهم للحل.

ثــم قــال: ما تنقمون علــى عليّ بن أبي طالــب؟ قالوا: ثلاثَ مســائل. انظر لقد حدد ابن عباس أســئلة الناس أولًا.. ليس الأســئلة الفرعية، ولكن جمع جذور الأسئلة. لقد قام بتحديد كليات الخلاف وليس الجزئيات، قال: هل هناك سؤال رابع.. قالوا: لا...

ثم ناقش المسائل الثلاث.. حُجَّةً بحجة.. فعاد ومعه ثُلُثُ الخوارج تائبين.

البداية عند ابن عباس: جمع أسئلة العصر، فهم الواقع، إدراك الحياة.

النموذج الثالث:

أبو حامد الغزالي، لقد قام بنفس الشــيء، كانت مشــكلة عصره تتمثل فيما ترجمه المســلمون من كتب فلاســفة اليونان، حيث حوت أفكارًا أحدثت مشاكل في فهم الناس للحياة وعلاقتها بالدين، فماذا فعل الغزالي؟ أولًا: ألف كتابًا أسماه «مقاصد الفلاسفة»، قدم فيه حصرًا لقضايا الفلاســفة، فجمع كلامهم وكل أسئلة الناس عن كلامهم، ثم ألَّف بعد ذلك كتاب «تهافت الفلاســفة» وحدد الخلاف في عشــرين مسألة فقط. تخيل حجم الجهد الذي بذله.

لقد فهم الواقع، فهم العصر وقام بالرد على مشكلاته، حتى قالوا: المجدد الذي يفكر في مشكلة عصره ويحلها.

كذلك قصة الشــيخ الفضالي مع الحَمَّارين، وهو رأس التيار الأزهري المســتنير من مائة سنة. كانت مشكلة عصره الجهل.. الجهل الشديد بالدين وبالعلوم، فأدرك المشكلة وبدأ يحلها.

كان يســكن (حي المنيل)، قبل أن تخترع الســيارات، وكان فيه حي الحَمَّارين، مثل موقف التاكســي الآن.. وكان الشيخ الفضالي عندما يركب مع الحَمَّار يسأل الرجل الذي يقــود الحمار: ما معنى كلمة (فقه)؟ فيرد الرجل: لا أعرف.. فيقول له الشــيخ: هيا بنا

نعــرف الوضــوء، وانتظر هنا حتى أعود معك. وفي اليوم الثاني يســأل الشــيخ الرجل: يا بنــي.. جدول الضرب. ووضع جدولًا للحَمَّارين، كل يومين يركب مع نفس الحَمَّار ثم يغير حتى يدور الفقه والحســاب على كل الحَمَّارين، فبدلًا من أن ينام هو أو يسرح في الطريق.. حل مشكلة الحَمَّارين.

فمــات الشــيخ الفضالي وقد أصبــح الحَمَّــارون يتكلمون في الفقه والحســاب مثل الأزهريين، لقد عمل على نشــر الوعي في جيل الحَمَّارين، نحن الآن لا ننشر الوعي، مات الشيخ الفضالي فحمل نعشه الحمارون وبكوه مثل الأزهريين.

الذي قام به الشــيخ الفضالي ليس عملًا دينيًّا فقط، إنما هو مســئولية.. مســئوليتنا جميعًا: إنقاذ الإسلام وسد الفجوة بين الدين والحياة، هذه دعوة إليكم لنفكر بدلًا من أن نتنــاول الأمور بحدة وتعصب، تعالوا معًا نناقش ديننا بنظرة عصرية تأخذ في الاعتبار متغيرات العصر الكثيرة ونحاول معًا سد الفجوة بين الدين والحياة.

النموذج الرابع:

هناك في تاريخنا رجل لم يســد الفجوة بين الدين والحياة فحســب، لكنه قام بعمل أكبــر، هذا الرجل جعل الدين يســبق العصر بأن قام بوضع تصــور للدنيا «ماذا تحتاج الحياة بعد عشــرين سنة» وقام بوضع ما يسمى بـــ «**الفقه التقديري**». هل تعرفون من هو هذا الرجل؟

الإمام أبو حنيفة.. ماذا فعل أبو حنيفة؟!

كانت مشــكلة عصره ثقافات وأفكارًا ومذاهب وفلسفات دخلت فجأة على المسلمين في عصر الدولة العباســية.. وجد أن الدنيا تســبق الدين بســرعة بالغة.. وجد أن الحياة ستسبق الدين مائة سنة في سنة واحدة..

هذه مشــكلة عصره، فماذا فعل؟ قام بإنشــاء مدرســة أو جامعــة للفقه التقديري.. جمع أربعين عالمًا من تخصصات مختلفة... أنشــأ ما يشــبه أكاديمية علمية أو جامعة وأخذ يطرح قضايا للحوار ويجلس بجواره تلميذه أبو يوسف يكتب ما يتم الاتفاق عليه، وأحيانًا يكون الرأي عكس رأي أبي حنيفة لكنه يثبته.

قضية في الزراعة، في الاقتصاد، في الزواج، في الطلاق، وأحيانًا لمشكلة متوقعة في ثلاثين سنة قادمة. فأسس علم المستقبليات وأنشأ مدرسة «أكاديمية» لدراسة المستقبل من وجهة نظر الدين؛ ماذا يقدم الدين للمســتقبل وليس للماضي؟ أســس أول مدرســة علمية فكرية لها علاقة بالدين.

يجــب أن ننفتح على التراث كما فعل أبو حنيفة، كان ذلك ســنة 80 هـــ، واســتمرت مدرسة أبي حنيفة لمدة أربعين عامًا..

تعالــوا ندخــل إلى هذه الأكاديميــة وننظر لبعــض القضايا المســتقبلية التي كانت تناقشها مدرسة أبي حنيفة.

فمثلًا في الاقتصاد.. أرأيتم لو صار عدد أهل بغداد مليوني نسمة وانحسر ماء دجلة والفرات فماذا نفعل؟ ويتركهم يفكرون في المسألة. ماذا لو قام رجل وأقام سورًا حول أرض من الأراضي التي انحســر الماء عنها وزرعها.. هل تكون ملكًا له أم لا؟ تخيلوا لو أن إنسانًا خارجَ الأرض كيف يصلي للقبلة (فقه الفضاء). وخرجوا بعد هذه الافتراضات بــعشرين ألف مسألة افتراضية.

فــي هذه النماذج الســابقة نرى كيف كان الدين يتماشــى مع الحيــاة، كل عصر له أسئلته الخاصة به.في عصر سيدنا إبراهيم، وابن عباس والغزالي وأبي حنيفة..

ونحن الآن لدينا فجوة مخيفة.. فما هي أسئلة عصرنا؟

لابد أن نحل المشكلة ويظهر من بيننا أناس مثل هؤلاء.

لو ظل الوضع هكذا ستفقد الأجيال القادمة علاقتها بالدين وسنفقد جميعًا القدرة على أن نشهد أمام الله يوم القيامة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ كيف يشهد من لم يحضر عصره؟ في المحكمة لا يشهد إلا من كان حاضرًا، تخيلوا كل أمة محمد تشهد يوم القيامة إلا نحن وجيلنا.

كلنا مسئولون عن التجديد وسد الفجوة، تعالوا معًا نفكر في كل مجال من مجالات الحياة التي تحتاج لتجديد ونبحث عن أسئلتها ونحاول البحث عن الطريقة التي تعيد الفاعلية للدين في الحياة بما يخدم الحياة المعاصرة ويحسن حياتنا.

للتواصل:

www.facebook.com/amrkhaled

www.twitter.com/amrkhaled

الفصل الأول

القرآن

أربع إشكاليات تواجه الفهم الصحيح المستنير للقرآن

1 – عدم فهم أجيال الشباب للغة وأهداف القرآن.

2 – تجاهل البُعد الإنساني للقرآن وحصره على العرب والمسلمين فقط.

3 – عدم فاعلية القرآن في الحياة.. القرآن لا يولد حياة.

4 – اجتزاء آيات من القرآن، يؤدي لفهم خاطئ، يؤدي إلى تطرف ـ إلحاد.

الهـــــدف: عودة الفاعلية للقرآن على المستوى الإنساني بما يدفع نحو العمل والأخلاق ويحمي من التطرف والإلحاد.

الحلول والمقترحات:

1 – **الأهداف الإنســانية للســور:** رؤية جديدة للأهداف الكلية لســور القــرآن من زاوية إنسانية بما يدفع نحو العمل والإنتاج واعتدال الفكر.

2 – **إحيــاء مجالات الحياة من القرآن:** القرآن يولد حلــولًا في مجالات الحياة المختلفة، وترسيخ هذه الفكرة يوجه طاقات الشباب للتعامل مع القرآن بشكل علمي إيجابي فعال، ويواجه القراءة الخاطئة والفهم المغلوط العنيف لآيات القرآن.

3 – **الحكم الإنســانية للقرآن:** حكم إنســانية يعيش بها الإنسان في الحياة منظومة في شكل نظام قيم متكامل يحقق الخير والجمال والرحمة.

4 – **القرآن جملة واحدة:** جمع آيات القرآن ذات العلاقة بالموضوعات الشــائكة، خاصة الجهاد والقتال وقراءتها في شــكل جملة واحــدة معتدلة ومتوازنة.. بما يحمي من التطرف والإلحاد.

الأهداف الإنسانية للقرآن

القــرآن كلام اللــه.. هذا القــرآن الذي هو هداية البشــرية، قادر علــى إنتاج حضارة عالمية، فقد سمى الله القرآن نورًا، وهدًى، وبرهانًا، وشفاءً.

نزل القرآن فانبهر العرب به.. فقد كان شيئًا جديدًا شديدَ الإبهار لهم.. فقد حول هذا الكتاب أمة من رعاة للغنم لأمة رعاة للأمم؛ لأنهم كانوا يفهمونه.

وســر صدمة العرب الأوائل عند ســماعهم للقرآن أنهم كانــوا يفهمون اللغة العربية، فكان مثل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾. كافيًا لأن يهز كيانهم!

ما الذي جعل أبي جهل، وأبا سفيان، والوليد بن المغيرة يذهبون كل ليلة في الخفاء ليسمعوا القرآن رغم كفرهم وعدائهم للنبي ﷺ؟! لأنهم كانوا يفهمون ما يسمعونه!

ما الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما ســمع ســورة طه أن يشــهد فورًا شهادة الإســلام؟ لأنه كان يفهم ما يســمع.. فلما فهم أبدع، كان لألفاظ القرآن ما يُشــبه كيمياء الدواء التي تفاعلت مع عقول وأرواح الصحابة فأنتجت إنســانًا جديدًا وحضارة جديدة؛ لأنهم كانوا يفهمون.

ونحن اليوم لا نشعر بهذه الكيمياء؛ لأننا لا نفهم القرآن.. ولو فهمنا لحدثت انطلاقات حضارية رائعة.. ولكن للأســف لا يوجد أحد من أولادنا يفهم القرآن، فهو بالنســبة لهم طلاسم تشبه طلاسم حجر رشيد!

نحتاج حلولًا إبداعية تسد الفجوة بين شبابنا وبين القرآن الكريم..

الشـباب يسـأل ويقول: إذا كان الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ فأين هذا التيسـير ونحن لا نفهم؟ ما الذي فعلناه في القرن الحالي لتيسـير القرآن.. لابد من التفكير الإبداعي، لتيسيره حتى يفهمه شبابنا.

إيـاك أن تظـن أننا أول الناس الذين يجدون صعوبة في فهـم القرآن، فالأجيال التي قبلنـا أيضًا كانـوا مثلنا، ولكنهم كانـوا يبدعون أفكارًا جديدة لتيسـير القرآن، فلابد أن نفعل كما فعل الذين من قبلنا، فنبتكر الأفكار؛ ليبقى القرآن سهل الفهم.

هناك عشـرة تجديدات إبداعية أنتجها المسلمون على مر التاريخ الإسلامي، لتيسير فهم القرآن ومنها:

1 - فـي عهد عثمـان بن عفان كان المصحف بدون نقاط تحـت أو فوق الحروف؛ لأن العرب كانوا من الفصاحة بحيث يسهل عليهم التفريق بين الياء والتاء دون وجود نقاط تحت الياء أو فوق التاء:

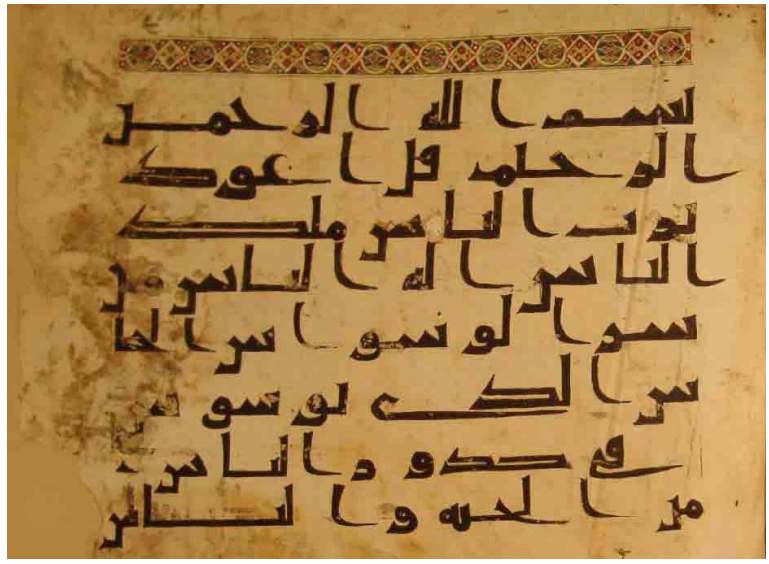

فلمــا جاء علي بن أبي طالب وضع النقــاط في المصحف، وكان ذلك إبداعًا جديدًا لتيســير فهم الأجيال المتعاقبة للقرآن الكريم كالشكل التالي:

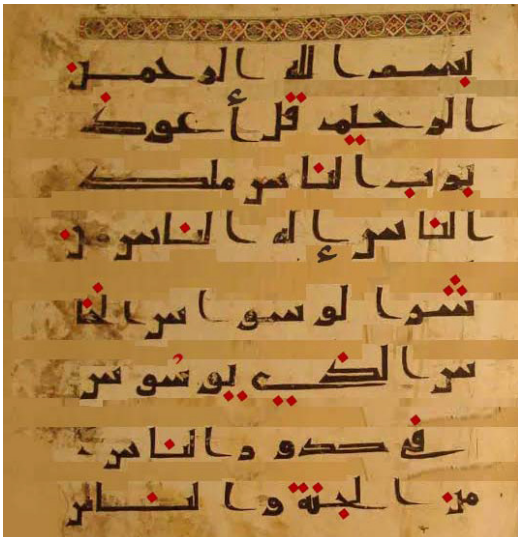

2 - ثم على يد أبي الأســود الدؤلي تم ضبط ألفاظ القرآن الكريم بالتشــكيل وكان ذلك أيضًا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

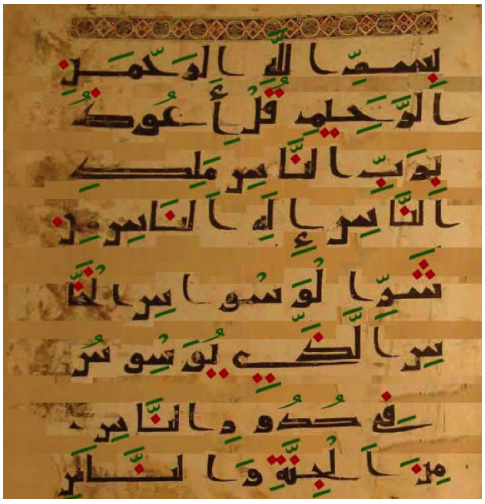

3 - تم تقسـيم القرآن إلى ثلاثين جزءًا، ثم كل جزءٍ إلى ثمانية أرباع في عهد سـليمان ابن عبد الملك عم عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله سنة 110 هـ.

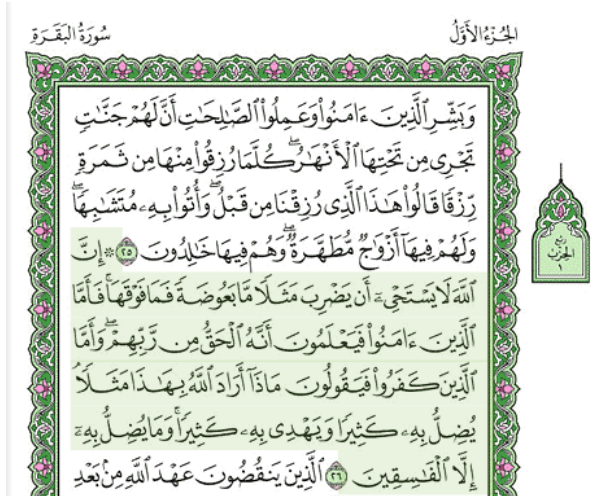

4 - تم وضع علامات الوقف والابتداء على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله عام 170هـ.

5 - تم ظهور تفاسير جامعة للقرآن الكريم مثل تفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي رحمهم الله. وكان ذلك إبداعًا جديدًا في عهدهم.

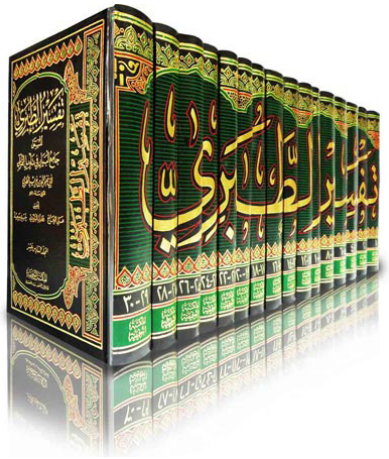

6 - تم ظهور علم تجويد القرآن؛ لكي نقرأ القرآن كما كان يقرؤه النبي ﷺ وكان ذلك عام 325هـ.

7 - ثـم ظهرت الترجمة للغـات الأخرى.. وقد كانـت فكرة جديدة جدًّا سـنة 553هـ وكانت أول ترجمة للاتينية.

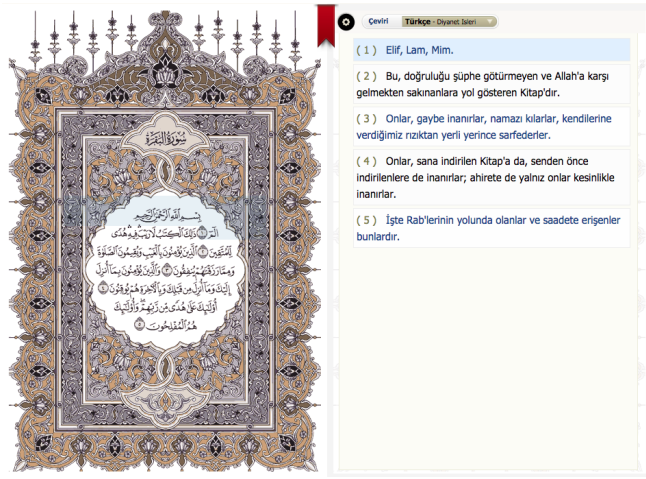

وكل مراحل التجديد هذه استغرقت حوالي ستمائة سنة.

ففـي كل جيل كان هناك مجددون مبدعون يبذلون طاقتهم لسـد أي فجوة محتملة بين الناس ودينهم؛ لذلك كانت لغة القرآن سـهلة مفهومـة واضحة في كل الأجيال؛ لأن الله تعالى يسر قرآنه للذكر، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾؛ ولأنه تعالى قيض لهذه الأمة علماءها الذين ييسرون على عامة الناس فهمه وتلاوته كما نزل على النبي ﷺ.

ثـم فجأة توقف كل شـيء، فأصبح هناك جمود فكري، وتقيـد بالتقليد، وخوف من الإبداع، وازدادت الأجيال بعدًا عن القرآن، مما أدى إلى ظهور مفاهيم فاسـدة ومتطرفة نتيجة الجهل بالقرآن رسَّخت التطرف والإلحاد.

والـذي زاد الأمـر صعوبة في الثلاثين سـنة الأخيـرة: أن طريقة تعليـم أولادنا في المـدارس قائمة على وجود أهـداف لأي موضوع، ثم عناصر تدل على هذه الأهداف، ثم ملخص واستنتاج، لكن عندما يقرأ أولادنا القرآن لا يجدون ذلك.

والذي جعل الأمر أصعب وأصعب في العشر سنين الأخيرة: أن حركة الحياة صارت سـريعة جدًّا، فالبرامج على الإنترنت اختصرت من سـاعة إلى خمس دقائق أو أقل، فلم يعد هناك وقت أو قدرة لدى الشـباب لقراءة كتب التفسـير ذات الأجزاء العديدة، وصار ذلك مقصورًا على المتخصصين فقط.

فما هو التجديد في عرض القرآن لتيسـيره للشـباب بما يوافق طريقة دراسـتهم وطريقة حياتهم...؟؟

«الأهداف الإنسانية لسور القرآن»:

هذا اجتهاد في البحث عن هدف إنسـاني لكل سورة، فالإنسانية مطلب معاصر لكل البشـر، والقرآن نزل لكل البشر، فعلينا أن نجتهد في البحث عن الأهداف الإنسانية في القرآن، فكل سـورة من سـور القرآن لها هدف محدد، وكل مقاطع السـورة تخدم هذا الهدف؛ حتى كلمة سـورة هي تشـبيه بالسـور الذي يحيط بكل ما بداخله، فكل سورة تحقق هدفًا محددًا، وكل آية تخدم هذا الهدف، حتى اسم السورة له علاقة بهذا الهدف، والقصـص وآيات قدرة الله تصب في هذا الهـدف، بحيث إننا لو فهمنا هدف أو أهداف كل سور القرآن؛ لفهمنا القرآن كله.

تخيلوا كتابًا صغيرًا فيه أهداف وعناصر وملخص لمائة وأربع عشـرة سورة.. وكل سورة في صفحة واحدة ليكون هذا الكتاب **دليلًا لفهم القرآن**..

وهذه سـتكون أول محاولة مكتملة تضم الأهداف الإنسـانية لسور القرآن. ولا ندعي أنه الهدف الوحيد لكل سورة، لا، فهذا اجتهاد للبحث عن أهداف إنسانية لكل سورة دون إدعاء أنها الأهداف الوحيدة أو النهائية.

فكرة الأهداف الإنسانية تجعلنا نقدم القرآن للبشرية جميعًا بحيث إن كل من يقرؤه فـي العالم يفهم ويسـتفيد، فأول آية في القـرآن: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وآخر

ســورة في القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، والله يقــول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ فلماذا نمنع هذه الرحمة عن العالمين بعدم تيسير فهم القرآن لهم؟!

ثم إن طريقة الأهداف الإنســانية للقرآن مناســبة لشــبابنا في طريقة دراستهم وفي أسلوب حياتهم.. ولنضرب أمثلة لهذا:

(1) «سورة البقرة»:

الهدف الإنساني لسورة البقرة: أنت مسئول عن الأرض

سورة البقرة: أنا مسئول عن الأرض

ســورة البقرة ـ الجزء الأول من القرآن ـ تعرض ثلاثة نماذج لناس كانوا مســئولين عــن الأرض وتجربــة كل منهم لنتعلم منها وهــي: نموذج آدم ـ نموذج بني إســرائيل ـ نموذج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وذلك كما يلي:

المقاطع		
المقاطع	30-39	**نموذج (1):** آدم عليه السلام (تجربة تمهيدية) تعليم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾. تدريب ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾. تحفيز ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾.
	40-123	**نموذج(2):** بنو إسرائيل «تجربة غير ناجحة» 1) المادية الحادة. 2) جدل يولد قسوة. 3) المراوغة. 4) كبر يولد إغلاق العقل. تجســدت هــذه الصفات في قصة البقرة فســميت بها الســورة لأنها إذا اجتمعت في أمة فإنها تفشل في إعمار الأرض.
	124-141	**نموذج (3):** إبراهيم عليه السلام «تجربة ناجحة» **مقومات النجاح:** - الإتقان ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ......﴾. - حــب الخير للنــاس والأجيــال التاليــة ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ - رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ - وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾. - التسليم لله ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

الاستنتاج: عَمِّر الأرض وتعلَّم من هذه التجارب.

بعد هذا العرض السهل تستطيع أن تقرأ سورة البقرة وأنت متفهم لموضوع السورة حتى لو لم تفهم آية آية بالتفصيل.

تخيلوا معي لو كان كل القرآن هكذا! لا شـك أنك سـتجد نفسـك فاهمًا للقرآن كله، وستعرف إلى أين أنت ذاهب، ومن ثَمَّ تبدأ في الإبداع بعد الفهم!

تعالوا نسهل السورة أكثر.. ماذا لو رسمتها على شكل خريطة ذهنية «mind mab».

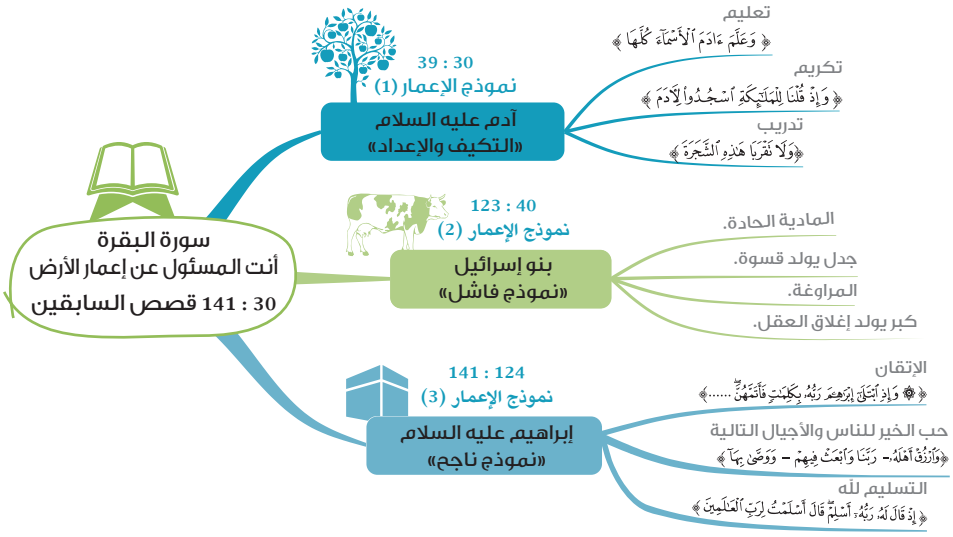

تخيلوا معي مائة وأربع عشـرة سـورة يطبق عليها هذا المنهج التوضيحي السـهل المباشـر في كتاب سـهل جدًّا! ثم تعالوا نسـهل الفكرة أكثر وأكثر للأطفال ونرسـمها «أنيميشـن»، ونسـتخدم الوسـائل الحديثـة لخدمـة القـرآن Info Grafic.. فـي عرض «أنيميشن» لهدف سورة البقرة.

تخيلوا معي لو أن مائة وأربع عشـرة سـورة من القرآن يتـم عرضها بهذه الطريقة كدليـل لفهـم القرآن! لا شـك أننا سـنكون جددنا وقمنـا بعمل رائع لخدمـة كتاب الله وتيسيره؛ لتتحقق الآية ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾...

تعالوا ننشــر الفكرة أكثر وأكثر، من خلال ترجمة كتاب «الأهداف الإنسانية للسور» لكل لغات العالم! ونُظهر للعالم كله كتاب المسـلمين على حقيقته التي أنزله الله عليها، وأنه ليس كما تشــوه صورته أمــام العالم، نتيجة لأفعال بعــض المتطرفين الجهلة من المسلمين! وإنما هو بالفعل ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

كلنا مســئولون عن الإســلام، فلو لم نتحرك فســنجد الأجيال القادمة ليس لها علاقة بالقرآن، وسنجد أن العالم كله ينظر للقرآن على أنه كتاب إرهابٍ!

أمثلــة أخــرى..

(2) «ســورة آل عمران»: هدفها الإنساني: «دعوة للحوار» فهي تعرض طرق الحوار.. موانع الحوار.. منطلقات الحوار.. لكن الســورة بها آيات عن غزوة أحد.. فما علاقة غــزوة أحد بالحوار.. الســورة تعلمنا أنه إذا غاب الحــوار دقت طبول الحرب.. إنها معانٍ إنسانية وذات فاعلية رائعة في الحياة».

سورة آل عمران: دعوة للحــوار

ســورة آل عمران يمكن أن تتحول لدورات تدريبية فعالة للتدريب على آليات وطرق الحوار.

(3) «ســورة الكهــف» هدفها: حكمــة الحياة «تحرك فــي الحياة ولا تقــف مكانك.. تحرك لتنجح.. تحرك لرزقك».. هذا هدف إنســاني.. يستفيد منه الهندي والياباني والأوربي وكل البشر في العالم.

الســورة كلها حركة.. ثــلاث قصص كل من فيها تحركوا فنجحــوا، ولو بقوا في أماكنهم لفشلوا! فأهل الكهف تحركوا من أجل الدين: ﴿إِذْ قَـامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وموســى والخضــر تحركا من أجــل العِلــم: ﴿فَٱنطَلَقَا.. فَٱنطَلَقَا.. فَٱنطَلَقَا..﴾، وذو القرنين تحرك من أجل إصلاح الأرض: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ .. مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ.. بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾. هذه ثلاث تجارب ناجحة والسبب أنهم تحركوا ولم يقفوا في أماكنهم، وهذا كلام إنساني جدًّا.

وكأن هدف حديث النبي عن ثواب قراءة ســورة الكهف: **«مَـنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ اللهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»**... تحرك لعملك ولرزقك باقي الأسبوع.

سورة الكـهــف: التحـــرك في الحياة

(4) **«هدف سورة النساء»:** «حفظ حقوق الإنسان، وخاصة حقوق الضعفاء.. نموذج المرأة، وهذا هدف إنســاني عالمي.. سبب التسمية أنك إذا راعيت حقوق المرأة في بيتك فأنت قادر على مراعاة الحقوق خارج البيت..».

سورة النساء: حفظ حـقــوق الإنســان

هذا اجتهاد لاستخراج المعاني الإنسانية للقرآن.. فتعود الفاعلية فورًا؛ لأنها يمكن أن تتحول لبرامج تدريبية ومناهج تعليمية وخطب جمعة... **هذا الفهم هو الحامي من التطرف والإلحاد.**

وبعد هذا الفهم عندما نقرأ القرآن سيكون أحلى وأرق؛ لأنك أصبحت تفهم هدف السورة، تخيل حلاوة أنك تقرأ وأنت فاهم ومتذوق للمعنى، وتخيل أنك شاركت في هذا العمل ولو بالأفكار أو الرسم أو التصميم أو حتى الحوار حول الفكرة لإنضاجها، تخيل ثوابك وقد أنقذت الأمة بعد خمسين سنة من الآن.. بل تخيل ثوابك يوم القيامة.

لابد أن يشارك الشباب؛ لأن الأهداف الإنسانية تحتاج إلى شباب متعايش مع هذه المعاني.. وسنكمل باقي الأفكار ولكنها تحتاج إلى مشاركتكم وتفاعلكم، نريد أن يكون القرآن في قلب وعقل كل شاب مسلم وغير مسلم سهلًا وواضحًا، يعود إليه يوميًّا ليراجع خطوات حياته نحو العمل.. الإنتاج.. الأخلاق.. الحوار.. التعايش.. خريطة ذهنية واضحة.. لن ننجح بعلماء دين فقط.. لابد من إسهام الشباب حتى نربط القرآن بالحياة والإنسانية بأسلوب العصر.

تخيلوا حجم الجهد والعمل المطلوب لإنجاز هذا المشروع.. نحتاج حوارًا وجهودًا متنوعة تخدم الدين.

الأمل كبير في منتج متميز، هناك حلم اسمه.. كتاب الأهداف الإنسانية.. إن أسلوب العصر هو التشارك، فتعالوا نشارك سويًّا في هذا المشروع الكبير.

كنـــوز القـــرآن

القرآن كما وصفه الله تعالى: نور، وهدى، وشفاء، وبرهان، ورحمة.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ـ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ ـ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ فماذا يعني ذلك؟

يعنـي أن دور القرآن فـي الحياة أنه يولد **النور**، والنور هـو التنوير، والتنوير يعني العلم والثقافة وإحياء مجالات الحياة.

يعني أن دور القرآن في الحياة أنه يولد **الشفاء**، والشفاء عبارة عن حلول اجتماعية ونفسية لمشكلات عديدة.

يعنـي أن دور القرآن في الحياة أنـه يولد **البرهان**، والبرهان هو إحدى آليات البحث العلمي، الذي يثري أفكارًا جديدة تفتح آفاقًا واسعة للناس في حياتهم.

يعني أن دور القرآن في الحياة أنه يولد **الهدى**، والهدى هو إصلاح مستمر للحياة.

كل ذلـك يجعل للقرآن فاعلية قصوى في الحياة، إنه يبث إشـارات ضوئية وصوتية للمسلم أنه ليس سلبيًّا، ويجعله يُحيي مجالات الحياة كافة.

هـذا إذن هو دور القرآن في حياتنا: تنوير، توليـد علوم، حلول اجتماعية، فتح آفاق لبحوث علمية وأفكار جديدة.

ولا ندعـى بذلـك أن كل علم لا بد أن يخرج من القـرآن، فهذا خطأ فادح، ولكن نقول إن للقرآن إسـهامات في العلوم، وفي حلول المشكلات، وفي التنوير، وفي الحياة، لكننا نزعنا المادة الفعالة من الدواء.

لا بد من إحياء مجالات الحياة بالقرآن، لقد ضيقنا النظر إلى القرآن حتى صرنا مثل من يرى العالم في اتساع «حارة»، أو يرى القرآن من ثقب إبرة. ضيقنا الرحمة، لا حلول عمليــة مــن القرآن، صار القرآن كتابًا يُقرأ للموتــى أو للبركة. **القرآن كتاب حياة وليس كتاب موت!**

لقــد أحدث القرآن ثورة علمية مع بداية نزوله، فقد أحيا مجالات الحياة، إنه لا يوجد كتــاب أحدث ثورة علمية في زمن قياســي بعد صدوره مثل القرآن، لقد أنشــأ أكثر من ثلاثين علمًا جديدًا في حياة البشر بعد نزوله بسنوات لا تزيد على 40 سنة.

وإليك بعض الأمثلة:

علوم أدبية: علم اللغة، علم النحو والصرف، علم البلاغة، المعاجم.

علوم دينية: علم التفسير، أسباب النزول، علم الفقه والمدارس الفقهية، علم القراءات، علم التجويد.

فنون: الخط العربي، هندسة الخطوط، الأصوات (التغني بالقرآن)، فن القصة القصيرة.

علــوم الحياة: علم التاريخ (الأمم الســابقة)، علم الاجتماع (أسســه ابن خلدون معتمدًا علــى ما ذكــره القرآن عن قيام وســقوط الحضارات)، علم أصول الدين ومنه نشــأ علم المنطــق والمنهج العلمي في التفكير (أسســه الإمام الشــافعي، وكل نهضة أوربا مبنية على هذا العلم).

هذه العلوم قدمت حلولاً للبشرية. فأين ذلك الآن؟ الإجابة: صفر، لا شيء!

دور القــرآن إذن هــو إحياء مجالات الحياة وتوليد التنويــر، فالقرآن غني جدًّا، ولكن كيف نســتخرج القوانين من القرآن لتقصير مســافات البحث العلمي؟ كيف عطلنا دور القرآن؟

حقًّا: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

كيف عطلنا النور، والشفاء، والبرهان؟

ما الذي حدث؟

1) صرنا نخاف من التعامل مع القرآن.

2) صار الفهم مكتوبًا عليه: ممنوع الاقتراب إلا لعلماء الدين فقط.

3) صـار أي نظـر عقلي حرام، فلو أن عالمًـا أو طبيبًا أو فنانًا قـال: أنا لي نظرة في القرآن لتقديم حلول للحياة. نستغرب ذلك جدًّا ونقول: لماذا تتدخل فيما لا يعنيك؟

4) صار فهم القرآن مقدسًا لدرجة ألا يقترب منه أحد إلا للقراءة والبركة.

5) حدث تحويل القـرآن من كتاب فيه معادلات الحياة، وقوانينها وحلول مشـكلاتها، إلـى كتاب بركة أو روحانيات فقط، أو لصـلاة التراويح من أجل البكاء فقط؛ لذلك حينما عطلناه ظهرت «داعش»، وظهر الإلحاد.

6) كم عدد مدارس تحفيظ القرآن في العالم الإسلامي؟.. عشرات الآلاف من المدارس.. لكن كم مركزًا لتوليد مجالات الحياة من القرآن؟

7) كم عدد ختمات قراءة القرآن في رمضان؟ كثيرة جدًّا لكن كم عدد المشروعات التي تقدم من القرآن حلولًا للحياة.

إن القرآن كتاب رحمة وهدى وشفاء، أي إنه يقدم حلولاً في كل مجالات الحياة.

لو أنك قرأت كتابًا في الفيزياء، فهل تصدق قوانينه؟ بالطبع نعم.

كذلك القرآن كتاب لقوانين الحياة. القرآن كتاب يعلمك هذه القوانين لتسـتفيد منها وتتعامل معها.

هـل قـرأت كتاب (the secret)؟ إنه كتاب يتكلم عن أسـرار الكون، ولكن الله أعلنها لكل البشر في كتابه لتكون قوانين وسننًا. ملايين قرءوا كتاب السر وهو جميل؛ لكن هل تصدق قوانين كتاب السر ولا تصدق قوانين القرآن؟ هذا سر وهذا قرآن مفتوح!

ماذا فعل ابن خلدون مع القرآن؟

لم يكن ابن خلدون عالم دين، ومع ذلك جمع آيات الأمم السابقة ثم سار في الأرض «تجربة»، واستخرج بعد هذه التجربة مبادئ علم الاجتماع.

أيهـا الطالب، أيها المفكر، الفنانـون، الاقتصاديون، العلماء.. هـذا كتاب رحمة فيه حلول وعلوم. نريد نظرة جديدة للتعامل مع القرآن. إنه حياة، نحتاج إلى إحياء مجالات الحياة في القرآن وعودة الفاعلية له؛ حتى لا تخرج «داعش» وأمثالها ولا ينتشر الإلحاد.

قوانيـن الحيـاة وحلولهـا موجودة في هـذا الكتـاب: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾. إنهـا قوانيـن الله العليم بما فيه خير البشـر والإنسـانية جميعًا: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.. إذن عليك فقط أن تجتهد وتستخرجها.

أمثلـــــة:

1 - **علوم الإتقان والجودة:** القرآن أول من تكلم عن الإتقان (ذُكر الإحسان في القرآن مئـات المـرات). ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾، لكـن الذي وضع نظـام «الأيزو» هو الغرب، وبعد ذلك نحزن نحن ونقول بعدما وضعوه هم: هذا موجود في الإسلام، وقاله الإسلام من 1400 عام، إذن لماذا لم نستخرج نحن هذا؟

2 - **حفـظ حقوق الملكية الاقتصاديـة والفكرية:** أول إعلان لهـا كان في القرآن. الحقـوق الماديـة فـي سـورة البقـرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ

أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾. والحقوق الفكرية: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ثم في سورة النمل: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ لحفظ حقوق الملكية، لكن الذي أصدر قوانين الملكية الفكرية هو الغرب وليس نحن.

3 - **في مجال الفضاء:** ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾. ومع ذلك لم نتحرك نحن، لكن الذي تحرك وكالة ناسا للفضاء!

4 - إن الكون مسخر لنا.. هذا قانون قرآني. كلمة سخر في القرآن وردت مرات عديدة.. لكن الإنسان لم يكتشف ولم يصل إلى قناعة أن الكون مسخر لنا إلا بعد تجربة وخطأ عبر مئات السنين. لو صدقنا قانون القرآن أن الكون مسخر لتغيرت نظرتنا للكون من مجهول مستحيل إلى مسخر يحتاج مجهودًا. لو آمنت البشرية أن الكون مسخر، لوفرنا على البشرية قرونًا، فهل نؤمن بباقي القوانين ونستخرجها؟

لقد كانت حضارة المسلمين تقدم للبشرية علومًا وحلولاً ينشئونها من فهم القرآن، لكن بعد أول 400 سنة من نزول القرآن توقف ذلك تمامًا. أنا لا أتكلم عن الإعجاز العلمي، أنا أتكلم عن توليد العلوم والحلول وأتكلم عن الاجتهاد في استخراج ذلك. لا بد لكل إنسان في مجاله أن يستلهم من القرآن علومًا وحلولاً. نحتاج حركة تنوير نستمدها من القرآن، هذا التجديد المطلوب هو في نظرتنا للقرآن.

ليس معنى هذا أن كل علم أصله في القرآن.. لا، لكنه يقدم إسهامات وإشارات تفتح لعقلك الآفاق ويختصر لك الوقت بدلًا من تجريب طويل في مائة سنة أو أكثر، فقط اقرأ القرآن بهذا الهدف.

لكننا نحتاج إلى أمثلة أكثر، فماذا نفعل؟

المطلوب: توليـد مجالات جديدة. أزيلوا الحواجز بينكم وبيـن القرآن، أحيوه؛ فالقرآن فعال في الحياة، إيجابي وليس سلبيًّا.

ثم إن القرآن كتاب للعالم، لا بد أن نقدم حلولاً وعلومًا للعالم، لكل البشر، هذا حقهم في القرآن، العالم له حق في هذا القرآن.

مثـل مـاذا؟

1) **أخلاقيات العمل:** في كل الشركات العالمية هناك ميثاق يسمى cod of ethics عبارة عن أخلاقيـات للعمل يلتزم بها جميع العاملين.. أخلاقيـات العمل هذه مبثوثة في القرآن، أخلاقيات المهن، وتعاملات الشـركات. لماذا لا نخرج من القرآن أخلاقيات العمل في شـكل ميثاق من ثقافتنا وليس ترجمة أخلاقيات العمل الغربية المختلفة عن ثقافتنا.

2) **التدريـب على الحوار:** العالم يحتاج لتعلم فنون الحوار بدلًا من الحرب والصراع، ثمـة علوم كثيرة ألفت في العالم عن فن الحوار، لكن البحث قليل جدًّا عن معوقات وحواجـز الحوار. تخيل أن سـورة كبيرة فـي القرآن تتكلم عـن معوقات وحواجز الحوار، تأمل سـورة آل عمـران، وكيف عرضت حواجز نفسـية للحوار وعلاج كل حاجز، لو قدمنا وثيقة عالمية «برامج تدريبية» أو علم حواجز الحوار لنقلنا العالم إلى السلام الأفضل.

إننـا نحاول أن نبتعد عن العلوم الصعبة التي سـبقنا الغرب فيها جدًّا، ونبحث عن أفكار اجتماعية وأخلاقية أسـهل. المهم أن نستخرج أي شيء، كلنا نستطيع وليس علماء الدين فقط. كلٌّ في تخصصه.

3) **الحكم الإنسـانية للقرآن:** شيء آخر أسـهل وأجمل: لماذا لا نستخرج من القرآن الحكـم الإنسـانية العالمية، مبادئ على شـكل حِكَم. أحلم أن أجد شـخصًا هنديًّا

أو صينيًّا أو فرنســيًّا يقول: أنا لست مسلمًا ولن أسلم، لكن سأعيش بحكمة قرآنية تقول كذا وكذا...

القرآن غني بحكمه.. ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾.. من الذي يجمع ويستخرج حكم القرآن الإنســانية؟ ما أكثرها في القــرآن... لنحولها لكتاب صغير بعدة لغات في شكل جمل صغيرة "Quotes" مفيدة للبشرية.

مثـل مــاذا؟

1 - ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾. الخيــر يــدور ويعود لصاحبه والشر كذلك.

2 - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾. لا أحد يحمل خطأ أحد.

3 - ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥﴾.

4 - ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾. اجعــل لنفسك هدفًا، وإياك وثقافة الصوت العالي فإنها ستحرمك من الوصول للهدف.

5 - ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾. احتــرام التخصــص فــي كل مجــالات الحياة.. الطب، الميكانيكا.. لا لثقافة «الفهلوة».

6 - ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ مبدأ التفاؤل في الحياة.

هذه أمثلة نريد أن تكون مائة أو أكثر. تخيلوا 100 مبدأ وحكمة في كتاب يقدم بكل لغــات العالم. وتكون منظومة متكاملة تخــدم أهداف الحياة، وتدور حول قيم «الخير ـ الجمال ـ الرحمة».

لابد أن نولد علومًا وحلولًا من فكرنا ليحترمنا العالم.

هـذا هـو دور القرآن.. هناك أمل كبير أن نحقق مبدأ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ بشـيء من الفكر والجهد والتجديد.

لو أنك تُحب القرآن فلابد من أن تقوم بعمل للقرآن يشفع لك به يوم القيامة. إذا كانت سـورة البقرة ستشـفع يوم القيامة لمن حفظها فما بالك بمن يحفظ العالم بمبادئها؟! إذا كان يقال لقارئ القرآن يوم القيامة اقرأ وارتقِ.. فما بالك بمن أسعد البشرية بحلول القرآن؟! إذا كان لكل حرف من القرآن حسـنة فما بالـك بمن جعل الناس تعيش بحِكَم ومبادئ القرآن؟!

نريد ختمة قرآن لكل إنسـان في تخصصه لإحياء مجالات الحياة.. لو أنك تغار على القرآن فاجعل القرآن فعالًا في الحياة، هل أدركتم حجم الجهد المطلوب في القرآن.

وهذا الكلام السـابق ليس نهائيًّا، ولكنه يحتاج مجهـودًا وتفكيرًا وفتح حوار طويل حوله.

القرآن جملة واحدة..

فهم آيات الجهاد والرد على داعش
القرآن ودوره في الحياة

إن أحد أسـباب التطرف والتشـدد هو التعامل مع القرآن كل آيـة على حدة.. فنأخذ آية ونفهم منها معنًى خطأ دون النظر لباقي الآيات ذات العلاقة بالموضوع نفسـه. إنه اجتزاء آية من القرآن دون رؤية باقي الآيات ذات العلاقة.. فيحدث التطرف والتشدد..

لذلك نريد رؤية جديدة للقرآن!

القـرآن جملة واحـدة.. أي: إنك إذا جمعـت كل الآيات ذات العلاقـة بموضوع معين؛ لخرجـت بجملة مفيدة متكاملة لا نقص ولا تناقض فيها، وبشـكل معتدل وسـطي بلا تطرف..

القرآن جملة واحدة.. فهو بكل سـوره وآياته وأجزائـه يُعدُّ كأنه جملة واحدة، فكذلك موضوعاته.. كل موضوع جملة واحدة.

القـرآن جملـة واحدة.. فعندمـا تريد التحدث فـي موضوع أو قضية خـذ كل الآيات وجمعها وضعها أمامك وافهمها معًا.

القرآن جملة واحدة.. لأن سـور القرآن وموضوعاته شـبكية وليسـت خطية.. بعكس التـوراة فهي خطية، أي إن لكل موضوع خطًّا مسـتقلًّا بذاته وحـده، تكون في النهاية خطوطًـا متوازيـة غير متشـابكة، وليس بينها ترابـط.. ولكن الحياة ليسـت كذلك! أما القرآن فكما قلنا إنه شـبكي، أي: إن موضوعاته متشـابكة ومتداخلة؛ لأنه يمثل الحياة.. والحياة متشابكة وليست خطية..

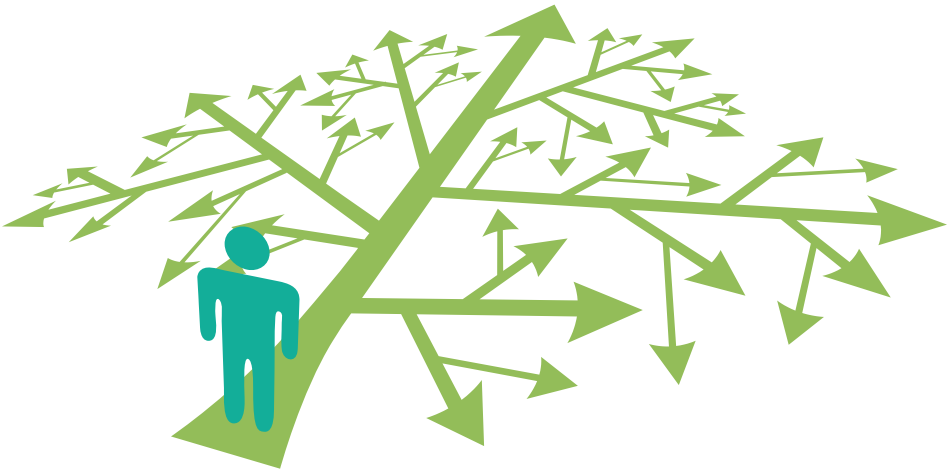

القرآن مكافئ للحياة.. فلابد أن يكون متشابكًا مثلها.. لكي نفهم الحياة؛ لابد من ربط القضايا ببعضها، ولكي نفهم القرآن لابد أن نربط آيات الموضوع كلها ببعضها.. ولو أردت فهم كل آية على حدة وبمعزل عن الموضوع كله؛ تكون قد جزَّأت القرآن، والقرآن كما قلنا يُؤخذ جملة واحدة، ولو جزَّأته؛ لفقد فاعليته في إنجاح الحياة، وكأنك تفهمه خطأ، فتظهر داعش التي أخطأت في فهم آيات الجهاد.

والقرآن يعيب على من يحاولون تجزئته فيقول تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ الذين قسموا القرآن على ما وافق هواهم، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ والتعضية أي: تفريق المعاني المجتمعة وتمزيقها. لذلك يتوعدهم القرآن: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

عندما قرأ المسلمون القرآن قراءة تجزئة وصاروا مثل هؤلاء المقتسمين؛ فقدوا أنوار القرآن وظهر التطرف فيهم!

وأول من علمنا أن القرآن جملة واحدة هو النبي ﷺ عندما نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، شق على الصحابة، فاشتكوا للنبي ﷺ فقالوا: «ومن منا لم يلبس إيمانه بظلم يا رسول الله؟!»، فقال لهم النبي ﷺ:

«**أَلَمْ تَقْرَءُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟!». لقد علمهم بذلك فكرة أن القرآن جملة واحدة يُفسر ويُكمل بعضه بعضًا.

هل تستطيع أن تعيش مع القرآن بهذه الطريقة؟ على طريقة الحاسب الآلي أو على طريقة المعجم، اجمع الآيات في موضوع معين كموضوع الأخلاق مثلًا، فستشرق أمامك أنوار القرآن، فتعود فاعلية القرآن: نور، وهدى، وشفاء، ورحمة، وعلم.

عندما لا نقرأ القرآن جملة واحدة.. يحدث خلل في الرؤية يتبعه خلل في السلوك.. ويحدث تطرف وإفساد وتشدد، كما حدث في فهم آيات الجهاد مع داعش، حيث إنهم لم يقرءوها على أنها جملة واحدة، وقاموا بتجزئة القرآن تجزئة مخلة بالمعنى الشبكي.

فقد قامت داعش بأخذ بعض الآيات التي تتحدث عن القتال، وقاموا بعزلها عن باقي الآيات الأخرى التي تتحدث عن موضوع القتال أيضًا، مما أدى إلى تجزئة نصوص القرآن.

تعالوا نتخيل أن شابًّا تأثر بفكر داعش ويفكر في الانضمام إليهم ونحن نريد أن نحميه ونرده للصواب، من خلال الرد على شبهاتهم التي طرحوها عليه:

هو: ألم يأمرنا الله بالجهاد وقتال أعداء الإسلام؟!

نحن: هذا هو أول خطأ تقع فيه، فالقرآن فرَّق بين الجهاد والقتال، فالجهاد هو بذل الجهد في كل عمل لله، أما القتال فلا يأتي في القرآن إلا في معرض الحديث عن معركة عادلة بين جيشين، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾. أي بالقرآن وليس بالسلاح، فليس كل الجهاد قتالًا، فالجهاد أعمُّ من القتال.

هو: تمام.. لكن ألم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، وقال أيضًا: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وقال كذلك: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾؟ أليس بهذه الآيات يأمرنا أن نقاتل كل من كفر؟!

نحن: هذا ثاني خطأ تقع فيه؛ لأنك نسيت أن القرآن جملة واحدة! فلا تقرأ مجموعة آيات دون باقي الآيات في نفس الموضوع.

تعال نجمع الآيات:

ستجد أولًا هذه الآية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾، فقيَّد الآيات السابقة بقيد شديد وهو عدم الاعتداء، فلفظ ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ قيَّدَ لفظَ... و﴿وَقَٰتِلُواْ﴾، فالقتال في الإسلام **لرد الاعتداء!**

نعم، قال الله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾، ولكنه قال أيضًا: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، فلو اعتديت صرت أنت أيضًا عدوًّا لله!

هو: وهذا ما تفعله داعش.. إنها ترد الاعتداء الذي وقع على المسلمين.

نحن: لابد أن تقرأ القرآن جملة واحدة لأنك ستجد آية أخرى وضعت شرطًا دقيقًا وخطيرًا: أنك لاتعتدي إلا على ذات من اعتدى عليك؛ ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ **هنا عائدة على ذات المعتدي وليس غيره،** فإذا انتقمت أو قتلت أخاه أو أباه؛ يكون هذا الدم في رقبتك يوم القيامة، وهذه قاعدة ذهبية، فإذا قتلت صحفيًّا فرنسيًّا لا دخل له يكون في رقبتك دمه إلى يوم القيامة.. كذلك أن تفجر مترو الأنفاق في لندن وتقتل ناسًا لا صلة لهم أو تقتل الصيادين المصريين، أو المسيحيين في العراق، فكلهم أبرياء! فإنك تكون مفسدًا في الأرض.

هو: فكيف آخذ حقي ممن اعتدى عليَّ؟!

بناء على الشرط الشديد أن تحدد بدقة من الذي اعتدى عليك، وهذا مستحيل إلا بمعركة عادلة بين جيشين.

وقبـل أن تدخـل المعركة ابحث عن رد الحقوق بالوسـائل السـلمية؛ لأن السـلم في الإسلام هو الأصل والحرب هي الاستثناء؛ لذلك نجد الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾. ويقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فإذا لم تفلح الوسائل السلمية لرد الاعتداء؛ كانت الحرب لرد الاعتداء في معركة عادلة بين جيشين، وهنا مثل أي دولة تدخل حربًا يأتي الأمر، بل التحريض على القتال العادل، كمـا قال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾. وقال تعالى أيضًا: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾.

إذن؛ فالقـرآن جملة واحدة ينبغي أن يفهم هكـذا وإلا وقعنا في خطأ كبير: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾.

هيا نجمع الآيات بالترتيب:

(1) قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ القتال في الإسلام فقط لرد الاعتداء.

(2) شـرط شـديد دقيق: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾، هو ذاته ﴿بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، وهذا مستحيل تحديده إلا بمعركة عادلة.

(3) ابحثوا أولًا عن الوسـائل السـلمية لرد الاعتداء؛ لأن الأصل في الإسـلام السـلم، قال تعالـى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾، وقـال تعالى أيضًـا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(4) آخر الحلول الحرب، وعندها تكون آيات القتال الأخرى.

وفعل النبي ﷺ في حروبه كلها يؤكد هذا الترتيب، فالسنة شارحة للقرآن.

هـو: أنـت تقول إن القتال في الإسـلام قتال دفاعـي لرد الاعتداء، فمـاذا عن الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب وفتح الشام والعراق والانتصار على الفرس والروم؟

نحـن: الفتوحات كانت في أصلها لمواجهة خطر يحيط بالدولة الوليدة ليقضـي عليها حتى من أيام النبي ﷺ أي: إنها كانت قضية سياسـية؛ لأنهم كانوا يسـتعدون لمهاجمة المدينة، فقد كان هذا تهديدًا عسكريًّا، ثم إن الفرس والروم لم يكونوا أصحاب البلاد في مصـر والعراق والشام، وإنما كانوا محتلين ظالمين، والمسلمون لم يحاربوا أهل البلاد، بل حاربوا المحتل، ورفعوا الظلم عن أهل البلاد، ثم قالوا لهم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

هـو: فماذا عن حديـث النبي ﷺ: «**أُمِـرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّـاسَ حَتَّى يَشْـهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...**».

نحن: هذا نقص في علمك.. ولأن العلماء أجمعوا أن التشريعات الكلية وأصول التشـريع لابد أن تكون في القرآن، ولا يصح لنص قرآني أن يعارضه أي حديث، فالحديث شـارح فقط لتشـريع القرآن، ولا يناقضه، وإلا فالحديث غير صحيح، أو فهمه خاطئ.

هو: وما هي القاعدة التي يخالفها هذا الحديث؟

نحـن: قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وقوله تعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، فكل هذه الآيات إعلان عالمي للسلام، فالأصل في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم السلام وليس الحرب!

هو: فما تفسير الحديث؟

نحـن: كلمة «الناس» في اللغـة يُقصد بها كل الناس كما يقصد بها مجموعة من الناس وليس الكل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، وكان القائل واحدًا فقط، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾، والمقصود هنا قريش الذين حاربوا النبي ﷺ. فالنبي يقرأ المستقبل؛ أن الحرب مع قريش لن تنتهي إلا بإسلامهم، وليس الحديث هنا عن كل البشر.

هــو: عجبًــا! أنت بهذا تقضــي على أمــر الله بالجهاد، وتميع الجهــاد مصدر القوة في ديننا الذي هو ذروة سنام الإسلام!

نحن: أبدًا؛ فالجهاد باقٍ إلى يوم القيامة، لكن؛ **لكل عصر جهاده**، فالنبي ﷺ كان يقول: «**خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ**»، وجاهدهم بالســلاح عندما منعوه عن الناس، ونحن اليوم في عصرنا عصر السماوات المفتوحة أو العالم الذي أصبح قرية واحدة كما يقولون لا يمنع بيننا وبين العالم كله أحد، فوســائل التواصل المباشــر كثيرة والحمد لله، فلنجاهد إذن بالدعوة إلى الله، ولنجاهد بكتاب الله عن طريق الإنترنت والفضائيات ووسائل الاتصال الحديثــة؛ قــال تعالــى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾، نزلت في مكــة قبل القتال، فكان المقصود بها الدعوة، فقد أغناك «الإنترنت» كثيرًا عن السلاح.

هــذا نوع من الجهــاد متاح أمامك للعالم، ولكنك تفســده بالعنــف، ونوع آخر وهو **الجهاد البنائي**، فالمســلمون لديهم مشــكلة كبيرة بل ضخمة في الإنتاج، فهم كُسالى لا يعملون؛ لذلك يأتي غيرهم ويأخذ خير أرضهم.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل حرفي مُتقن لعمله ترك عمله وسافر سعيًا للجهاد: «ارْجِعْ؛ فَإِنَّ عَمَلَكَ جِهَادٌ حَسَنٌ!»، وحين بعث عمر رضي الله عنه سفيان بن مالك رضي الله عنه واليًا على البصرة، فبقي سنة، ثم استأذنه في الجهاد، فقال له عمر: «أَوَلَسْتَ فِي جِهَادٍ؟!».

هو: لكن هناك تفاسير تقول غير ذلك كله!

نحن: هل القدسية للقرآن أم للتفاسير؟! التفسير يمكن أن ترده أما القرآن فلا..

هو: سَكَتَ.

نحن: هل عندك حجج أخرى؟!

هو: لا.

نحن: لكن عندنا شيء!

هو: وما هو؟

نحن: نرى في وجهك قسوة وشدة وهذا عكس شخصية النبي ﷺ.

أنت تعيش تحت مظلة فكر أعداء الإسـلام وليس تحت مظلة محمد ﷺ، وأنت تواجه الصـراع بفكر الصـراع، هذا ليس فكر محمد ﷺ!!

نحـن: إنك تحتـاج لقراءة القرآن جملة واحدة في كل الموضوعات الشـائكة التي تؤدي قراءتها بشكل مجتزأ إلى ظهور التطرف والإلحاد.

موضوعات شائكة تحتاج أن نقرأ القرآن جملة واحدة لنفهمها فهمًا صحيحًا؛ هذه الموضوعات الشائكة مثل:

1) الفهم الصحيح للجهاد والقتال.

2) العبادة دافع للإنتاج والعمل «أقم الصلاة وأقم الحياة».

3) الهداية ليست جبرًا بل هي اختيار.

4) فقه حب الحياة.

5) الحقوق في الإسلام خاصة بين الرجل والمرأة قائمة على المساواة وليس التساوي.

6) الفقر عدو الإسلام.

7) الإسلام دين عمل وإنتاج وإعمار.

8) رد اعتبار الأخلاق «الأخلاق قبل الأحكام».

9) القرآن أقوى رد عقلي على الإلحاد.

10) معضلة الشر والألم.

11) الإسلام دين التعايش والإنسانية.

12) الإسلام ليس ضد الجمال.. الجمال جزء أساسي في تكوين المسلم.

13) الدين ليس ضد التطور البشري.

14) حفظ حقوق الملكية «الفكرية والاقتصادية والصناعية» مبدأ أصيل في القرآن.

15) القرآن يلغي فكرة «العالم ضد الإسلام والإسلام ضد العالم».

الفصل الثاني

الأخلاق

منظومة الأخلاق

الهدف: بناء منظومة خلقية تصل إلى شــعور الأعماق فتحقق قيم الخير ـ الجمال ـ الرحمة.

المرحلة الأولى ـ مرحلة الوعي
«رد اعتبار الأخلاق»

المرحلة الثانية ـ مرحلة المشاهدة
برنامج توليد الخير «برنامج عملي»

المرحلة الثالثة ـ مرحلة الاختيار والممارسة
«منظومة أخلاق الانطلاق تحقق الإبداع ـ الإنجاز ـ التعايش»

1 – الحب	2 – التسامح
3 – السلام	4 – الرحمة والإنصاف
5 – الإحساس بالآخر	6 – المبادرة والهمة العالية
7 – الطموح	8 – التعاون
9 – الأمل	10 – البساطة

المرحلة الرابعة ـ الأخلاق طريقة حياة تصل لشعور الأعماق
وسائل تثبيت أخلاق الانطلاق.. HOW.. منظومة تناغم الكيان الإنساني

	(1) الجسد	(2) العقل	(3) النفس	(4) القلب	(5) الروح
وعاء	وعاء جامع	الفهم والفكر	الإرادة (التقوى والفجور)	الإدراك (الفهم مع الوجدان)	الصلة بالله (الربوبية)
يغذى بـ	الرياضة والعمل	القراءة والمعرفة والتدبير والتأمل	مجاهدة النفس والتقوى	الحب وذكر الله	إرسال الروح إلى الله

مراحل ترسيخ الأخلاق: أربع مراحل لتوصيل الأخلاق إلى شعور الأعماق:

المرحلة الأولى: الوعي بقيمة الأخلاق ـ رد اعتبار الأخلاق:

عن طريق 50 فكرة ذكية ترسخ التربية على الأخلاق.. مثال:

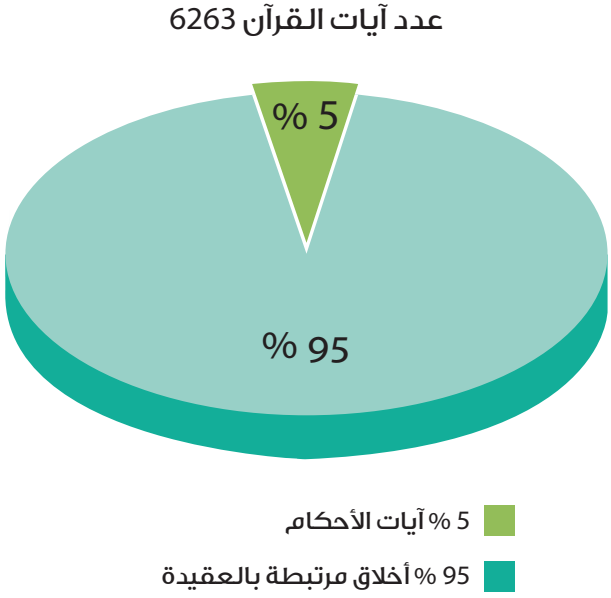

مثال: لا يوجد حكم فقهي إلا وراءه قيمة أخلاقية أو جمالية ـ عرض مجموعة من القيم الأخلاقية والجمالية المتعلقة بالأحكام الفقهية.

المرحلة الثانية: المشاهدة لنماذج أخلاقية:

عن طريق برنامج توليد الخير: ابحث عن الخير في كل إنســان تلقاه ولا تبحث عن شــخص واحد فيه كل الخير ـ الخير منتشــر في الكون وليس مركزًا في شــخص واحد «برنامج تدريبي».

المرحلة الثالثة: اختيار وممارسة:

عن طريق منظومة أخلاق جديدة تسمى أخلاق الانطلاق..

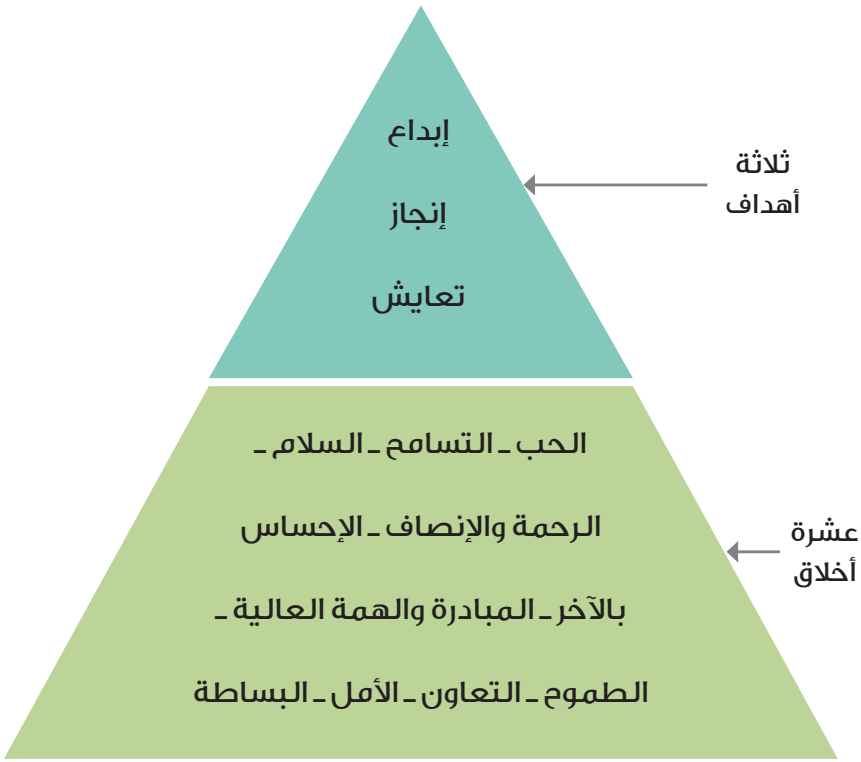

المرحلة الرابعة: طريقة حياة «Life Style» بما يحقق الخير والجمال والرحمة:

عن طريق منظومة التناغم الإنساني..

المكونات	الجسد	العقل	النفس	القلب	الروح
وعاء	وعاء النشاط والحركة	الفهم والفكر	الإرادة (التقوى والفجور)	الإدراك (الفهم مع الوجدان)	الصلة بالله (الربوبية)
يغذى بـ	الرياضة والعمل	القراءة والمعرفة والتدبير والتأمل والتعلم المستمر	مجاهدة النفس والتقوى	الحب وذكر الله	إرسال الروح إلى الله
	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة

كل ما سبق يُعرض على ميزان ومعيار القيم (الخير ـ الجمال ـ الرحمة).

استراتيجية تجديد الأخلاق

لا شـك أن أهم شيء يحتاج أن يدخل مصانع التجديد هو الأخلاق. والسؤال الآن: هل الإيمان يستطيع أن يقدم حلًّا لإصلاح الأخلاق التي انهارت في هذا العصر؟ وهل طريقة عرض التدين مسئولة عن انهيار الأخلاق؟ لماذا كان خط التدين في ارتفاع في العشرين سنة الأخيرة بينما خط الأخلاق في انخفاض؟

وضع الأخلاق في العالم الإسلامي:

هناك دراسـة هامة تمت سـنة 2010 قامت بهـا جامعة (جورج تـاون)، وفكرتها الأساسـية هي طرح السـؤال: ما مدى التزام دول العالم بمعايير الأخلاق الإسلامية؟ لقد رتبت دول العالم بحسب التزامها بأخلاق الإسلام، كما هي في القرآن والحديث: وقد قام بها دكتور هندي اسمه رحمان خان.

هـل تعرفون ما الدول التـي كانت في المقدمة؟ وما مكان الدول الإسـلامية في هذا الترتيب؟ أول دول كانت أيرلندا والنرويج والسـويد!! ولكن ما ترتيب الدول الإسلامية؟ أول دولـة كانت ماليزيا بترتيب 33، وكانت أول دولـة عربية دولة الكويت بترتيب 81، وكانـت مصـر في ترتيـب 128، وكانت سـوريا في المرتبـة 168، وجـاءت اليمن في المرتبة 180.

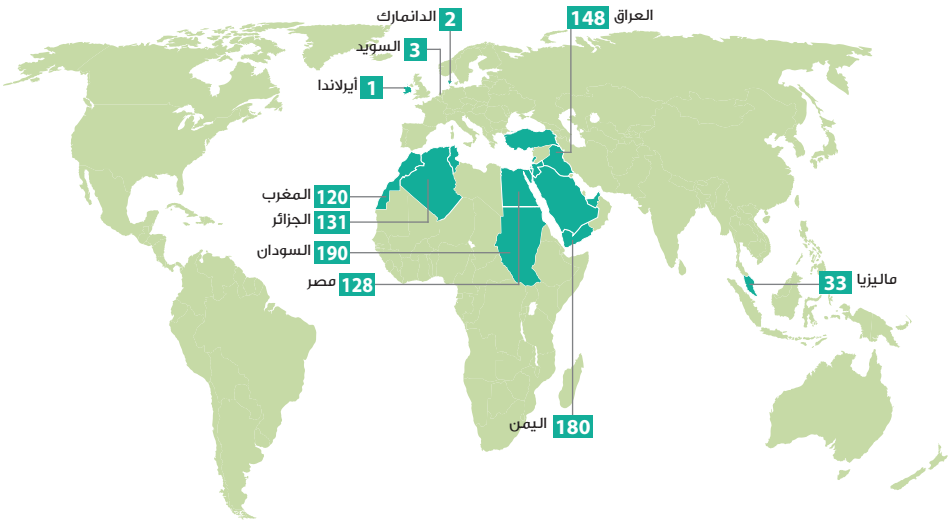

والسؤال الآن: كيف حدث هذا الانهيار؟

لقد وقعنا في خطأين كبيرين:

خطأ مسئول عنه علماء الدين والدعاة: تهميش الأخلاق لحساب الأحكام الفقهية.. صار الفقه أهم من التربية على الأخلاق.. صارت الروحانيات أهم من الأخلاق.. صار الإسلام السياسي أهم من الأخلاق، فأصبحنا نردد كلمات الحلال والحرام دون ربطها بالأخلاق، ودن فهم حقيقي لمقاصد الفقه، إذ إن هناك من فهم كلمة (الشريعة) فهمًا قاصرًا واختزلها على أنها الحدود، وهناك من استغل هذا لأهداف سياسية.وعدم فهم جوهر الشريعة على أنها أخلاق. فإذا كانت الشريعة كتاب قانون، فإن الفصل الأخير فيه هو فصل العقوبات الجنائية، أما سائر فصول الكتاب فهي فصول أخلاقية في جوهرها. لقد أخَّرنا الأخلاق بينما يقول النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

أول خطأ إذن وقعنا فيه في العشـرين سـنة الماضية كان تهميش الأخلاق لحسـاب الفقـه والأحـكام، ومن ثم يجب رد اعتبار الأخـلاق، وهذه مسـئوليتنا جميعًا، وتبدأ من البيت والمدرسة. لقد نزعنا المادة الفعالة وهي الأخلاق من الإسلام.

ما الحل إذن ليحدث تجديد حقيقي لدور الدين في الحياة؟ إنني أعرض كلامًا وأفكارًا ليسـت نهائية لاسـتراتيجية التعامل مع الأخلاق. يجب - إذا أردنا تجديدًا حقيقيًّا - رد اعتبار الأخلاق في مجتمعنا، في كلام علمائنا.. وفي فكرنا الإسلامي.

وكيف يتم هذا؟

المرحلة الأولى: رد اعتبار الأخلاق:

يقول الغزالي في المستصفى.. عدد آيات القرآن 6236 آية، ومجموع آيات المعاملات والأحـكام 300 آيـة، أي 5 % فقط من مجموع آيات القرآن، بينمـا الـ 95 % المتبقية أخلاق مرتبطة بالعقيدة.

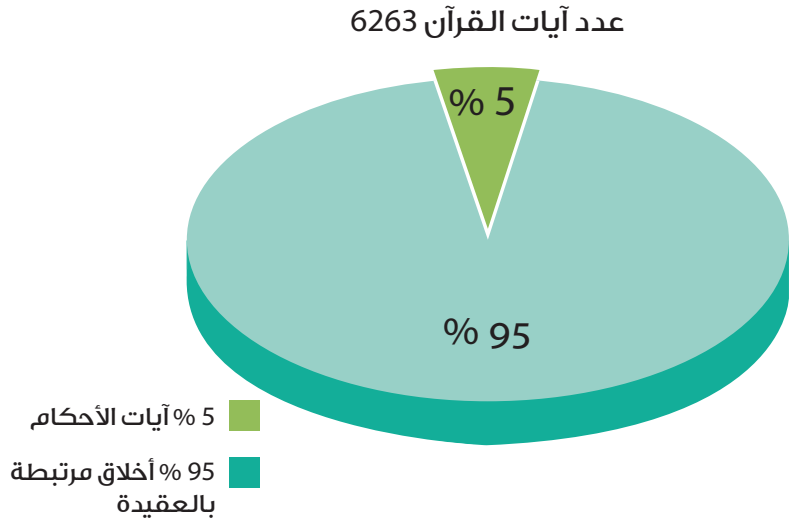

عـدد الأحاديث الصحيحـة حوالي 60 ألف حديث، منهـا 1800 حديث عن الأحكام، وهذا يعني أن 5 % حدود، والباقي 95 % أخلاق.

من الذي قام بتغيير الأولويات إذن؟!

التربيــة على الأخــلاق مقدمة على الأحكام الفقهية، فالذي يجب أن يتصدر المشــهد هــو الأخــلاق، الأخلاق قبــل أحكام الفقه، ولا نقلل هنا - حاشــا لله - مــن قيمة الأحكام الفقهية وضرورة الاهتمام بتعلمها وتعليمها، ولكننا نؤكد على ضرورة الاهتمام بمكارم الأخلاق اهتمامًا كبيرًا يليق بكونها هي الهدف الأسمى من رسالة الإسلام، ثم إن كل حكم فقهــي وراءه قيمة أخلاقية أو جمالية.. فلماذا نعرض الأحكام الفقهية ولا نعرض القيم الأخلاقية المرجوة منها؟

الأخــلاق أولًا قبل الأحكام؛ أتى شــاب إلــى النبي ﷺ فقال: يا رســول الله، ائذن لي بالزنــا!، فأقبل القوم عليــه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال لــه النبي: **اقترب**، فاقترب من النبــي، فقال له النبــي: **أتحبه لأمك؟**، قــال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فــداك، قال: **ولا الناس يحبونــه لأمهاتهم**، قال: **أفتحبه لابنتك؟**، قال: لا واللَّه، يا رســول اللَّه جعلني اللَّه فداك، قــال: **ولا الناس يحبونه لبناتهم**، قال: **أفتحبه لأختك؟** قــال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداك، قال: **ولا الناس يحبونه لأخواتهم**، قال: **أفتحبه لعمتك؟** قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداك، قــال: **ولا الناس يحبونه لعماتهم**، قال: **أفتحبه لخالتك؟** قال: لا واللَّه جعلني اللَّه فداك، قــال: **ولا الناس يحبونه لخالاتهــم**. ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: **اللَّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصِّنْ فرْجَه**. فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

لم يكلمه النبي ﷺ عن الحكم، وإنما كلمه عن قيمة أخلاقية!!

لا نقلل من قيمة الفقه، بل إننا نضع الأولويات والأشــياء في حجمها حســب رســالة النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

بــل نقول: من لا يفهــم الأخلاق فلن يفهم الفقــه؛ لأن الفقه ســيتحول بين يديه إلى قانــون مثل باقي القوانين الصماء.. بينما الإســلام روح وجمال وقيم وأخلاق من أجلها جاءت الأحكام.

إذن يجب أولًا رد اعتبار الأخلاق..

الخطأ الثاني: الذي وقعنا فيه والمسـئول عنه المجتمع كله وليس الدعاة إلى الإسـلام فقط، وهو أننا حولنا الكلام عن الأخلاق إلى أفكار نظرية، كلام لا حياة فيه، كلام نظري بحت، يبتعد مئات الأميال عن الأداء العملي، كلام لا روح فيه.

في حياتنا الآن صارت الأخلاق كلامًا، مواعظَ، ومقدمات فلسـفية، وجثثًا مُحنَّطة في متاحف الحياة اليومية. يجب الانتقال من جمود الفقه إلى سعة الأخلاق ثم بعدها يأتي الفقه.

إذن فالجـزء الثانـي في اسـتراتيجية تجديد الأخلاق هو تحويـل الأخلاق من فكرة نظريـة إلى طريقة حياة، عن طريق تفعيل الأخلاق فـي حياتنا اليومية، فلابد أن نحرك الأخـلاق على يدين وقدمين، كان هذا هو قصد السـيدة عائشـة عندما قالت «كان خلقه القرآن» كان قرآنًا يمشي على الأرض، فـ (يمشي) تعني يتحرك.

واعلـم أنه ينقص من حياة الإنسـان على قدر نقص أخلاقـه، فعمرك ناقص بمقدار نقص أخلاقك. إن الناس يتفاوتون في دينهم على قدر تفاوتهم في أخلاقهم، وهل الدين إلا الأخلاق؟ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فسروها «دين عظيم» لأن الدين هو الأخلاق.

أمثلة حياتية لتفعيل الأخلاق كطريقة حياة:

- اكتشـف حاجٌّ ماليزي بعـد عودته من أداء فريضة الحج إلـى بلاده وجود حجر في حقيبتـه من أحجار رمي الجمرات، فأصرَّ علـى إعادته مرة أخرى إلى مزدلفة، فقام بجلـب علبة زجاج بها منظف ونظَّف الحجـر وعطَّره ووضعه داخل العلبة، ثم كتب رسالة إلى مدير بريد العاصمة المقدسة، وأرفقها بمبلغ 10 ريالات وقال فيها: «أرجو إعادة الحجر إلى مكانه حتى يتقبل الله حجتي». هذا هو المعنى الذي نقصده لفكرة تحويل الأخلاق من كلام وعظي إلى طريقة حياة.
- وهذه قصة حقيقية لبطل رياضي حاز الميدالية الفضية في أولمبياد لوس أنجلوس عام 1984 في لعبة الجودو، وهو البطل العالمي محمد رشوان. هذا البطل الموهوب عندمـا دخـل الأولمبياد فاز بـكل المباريات حتى وصـل للدور النهائـي للعب على

الذهبيــة، وكانت المبــاراة النهائية مع البطل الياباني الحائز علــى الميدالية الذهبية لثــلاث دورات متتالية، ولكن البطل الياباني أصيب إصابة خطرة في قدمه اليســرى في الدور قبل النهائي وكانت ظاهرة ومعلومة للجميع لدرجة جعلته «يتكئ» عليها.. أي أن الفرصة كانت مهيأة للبطل المصري للحصول على حلم ذهبية الأولمبياد.

ولكــن البطــل المصري قــرر قرارًا عجيبًا أدهــش الجميع وهو أن يلعــب على القدم اليمنــى للخصم ولا يلعب على قدمه المصابة، ولم يصــدق الحكام ولا اليابانيون ما يحدث ولكنها الحقيقة، وانتهت المباراة بخسارة محمد رشوان للذهبية، مع أنه كان قــادرًا على الفوز بها بســهولة، ولكنه كســب حب واحترام العالــم بأجمعه حتى إنه عندما ذهب لليابان في زيارة استقبلوه في المطار استقبال الفاتحين.

أقــدم هــذه القصــة لأثبت أن الأخــلاق العاليــة تعيش طويــلًا وتبقى دائمًــا ملازمة لأصحابها؛ لأن أصحاب الأخلاق تعيش أخلاقهم أكثر من موهبتهم.

استراتيجية تجديد الأخلاق عبارة عن:

خطة عملية لرد اعتبار الأخلاق، عن طريق:

1) التربية على الأخلاق قبل الأحكام.

2) جعل الأخلاق طريقة حياة وليست أفكارًا نظرية.

لكــن كيف نفعل ذلك؟ وما هي طريقة عودة الأخلاق؟ طبعًا الفكرة الأولى التي تقفز إلــى عقولنا هي عودة القدوة .. لكن الأمر صعــب، فالقدوة لم تعد موجودة، تم تدميرها وتحتاج إلى عشــرات الســنين لعودتها. تم تشــويهها.. المدرس لم يعد قــدوة.. وكذلك رموز المجتمع خدشت.. بل على العكس، صارت القدوات السيئة هي الغالبة.. مما أنتج صدمات للشباب وأفرز ناسًا أبعد ما يكونون عن الأخلاق، بداية من داعش المتطرفة إلى رموز الإباحية في الفن والأفكار التي لا تقل خطورة وتطرفًا هي أيضًا.. غابت القدوة.

لذلك فهي فكرة جديدة لا ندعي أنها نهائية.. بل تحتاج إلى حوار.

المرحلة الثانية: برنامج توليد الخير:

الحـل هـو أن نربي جيلًا من الشـباب علـى فكرة جديـدة اسـمها.. «**برنامج توليد الخير**».. ورمزها النحلة ومسـتوحاة من سـورة النحل.. سـورة النحل تدور حول فكرة أن الخير موجود مغروس في الكون ولكنه موزع وليس مركزًا في شـيء واحد.. النحل نموذج مناسب لذلك.

برنامـج توليـد الخير فكرتـه: ابحث عن الخير في كل إنسـان تلقـاه ولا تبحث عن إنسـان واحد فيه كل الخيـر، ابحث عن خلق جميل في كل إنسـان تلقاه في الحياة ولا تبحث عن شخص تجد فيه كل الخير.

كن مثل النحلة.. الخير منتشر في الكون.. فكر بطريقة النحلة.. خذ أفضل ما في كل إنسـان تلقاه ولا تنظر لباقي أخطائه. خذ ابتسامة عم عبده البواب واترك طريقته.. خذ رحمة أمل واترك عصبيتها.. خذ شـهامة صديقك واترك سبابه.. خذ من الإنترنت أفضل مـا فيه.. خذ من أبيك أفضل ما فيه.. خذ مـن عالم الدين أفضل ما فيه.. لا تنظر لعيوب الأشخاص.. انظر للرحيق فقط.. خذ الثمرة وألق العود في النار.

هـذه الطريقة هي بداية عـودة الأخلاق.. لماذا؟؟ لأن الخير منتشـر في الناس لكنه موزع وليس مركَّزًا في فرد واحد وخاصة في عصرنا.

كـن إيجابيًّا.. انظر لما هو جيد في الناس. «**الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة**»، «**من قال: هلك الناس. فهو أهلكهم**».

هذه الطريقة تنشر الخير أسرع.. لكنها تحتاج تربية لأنها طريقة تفكير.. كيف ترى الجميل في كل إنسان؟

هذه الطريقة تولد التعايش؛ لأنك سترى الجانب الخير في جميع الناس وستتخلص من العنصرية الدينية.. سترى الخير في المسلم والمسيحي والبوذي.

هذه الطريقة تخلصنا من التطرف والتشدد القائم على نفسية الكراهية.

وهي أيضًا تخلصنا من الإلحاد القائم على فكرة غياب الإنسانية.

إذا جربتها.. ستشعر بنهر جارٍ من الأخلاق يتدفق بسهولة في نفسك..

ولنلخص فكرة عودة الأخلاق.

- انهارت الأخلاق.. والسبب أننا:

1 - ركزنا على الأحكام على حساب الأخلاق.

2 - عرضنا الأخلاق بشكل نظري وليس كطريقة حياة.

الاستراتيجية لتجديد الأخلاق.

الحل:

المرحلة الأولى: رد اعتبار الأخلاق.. عن طريق:

1 - التربية على الأخلاق قبل الأحكام.

2 - العمل على أن تتحول الأخلاق من فكرة نظرية إلى طريقة حياة.

المرحلة الثانية: نموذج توليد الخير:

ولكي ننفذ هذه الآليات فإننا نحتاج إلى جهد مضاعف وتدريب شـاق مستمر، ليس فقط على مستوى الأفراد وإنما على مستوى المجتمع كله.

على مسـتوى الأفراد تعالوا نجرب هذه الفكرة.. لا نقول إنها نهائية.. لكنها محتاجة إلى تجربة ومتابعة نتائج، إلى دراسة وتقييم، جربها.. فقد تتحسن حياتك للأفضل.

على مستوى الفرد.. كيف أنفذها؟

1 - اقـرأ قصـص حياة الناس وخذ كل ما يسـمو بالأخلاق ودع مـا ينافيها ويؤدي إلى ضياعها.

2 – اقرأ تصرفات الناس.. ابحث في أصحابك عن أجمل ما فيهم وخذه..

3 – جرب لمدة شهر هذه الطريقة مع كل من حولك.. ستتحول بعد شهر لطريقة حياة وستكون أنت إنسانًا خلوقًا.. أفضل وأجمل.. جرب.

4 – ولكـي تتضـح الفكرة أكثر..!! ابحث فـي كل من حولك عن ثلاثة أشـياء (الخير – الجمال – الرحمة).

اسمها «**توليد الخير**» ابحث ثم جرب واكتب ملاحظاتك.

أما على مسـتوى المجتمع فإننا لو أردنا تنفيـذ أو تجريب فكرة نموذج توليد الخير فإن آلية تنفيذها في المجتمع هي:

1 – تدريب أساتذة المدارس على برنامج توليد الخير.

2 – تدريب أساتذة الجامعات على برنامج توليد الخير.

3 – عـودة مادة الأخلاق في المدارس بعنوان «توليـد الخير» بحيث تركز على «الخير– الجمال – الرحمة».

تخيلوا لو فهمنا ديننا بهذه الطريقة، كيف يمكن أن تتغير حياتنا للأفضل، نحتاج أن نفكر سـويًّا.. نحتاج مجهودًا رهيبًا، كلامي هـذا محاولة واجتهاد وليس نهائيًّا. لابد من عودة الفاعلية لديننا. كل هذا لسد الفجوة بين الحياة والدين.

أخلاق الانطلاق

نريد ترسـيخ الأخلاق لتصل إلى شـعور الأعماق.. ليتحقق ذلـك نحتاج عدة مراحل: المرحلة الأولى «الوعي»: رد اعتبار الأخلاق، المرحلة الثانية «المشـاهدة»: برنامج توليد الخير.. والآن مع المرحلة الثالثة: مرحلة الاختيار والممارسة.

المرحلة الثالثة: أخلاق الانطلاق:

بعـد أن تكلمنا عن رد اعتبار الأخلاق وأهميـة أن نعيد لها الأولوية في ديننا.. يُطرح سؤال في غاية الأهمية: أي أخلاق بالتحديد نريدها؟ هناك عدد لا نهائي من الأخلاق فأي أخلاق تريد... حدد هدفك أولًا، ثم دعني أخبرك بما تحتاج إليه من أخلاق.

فكمـا أنه لا يصح أن تعطي مريضًـا بالكبد دواء للصداع وتقول له: كل الدواء مفيد، فكذلـك الأخلاق.. ماذا تريد أنـت؟ ما هي أهدافك؟ ما هي احتياجاتك؟ وقتها نسـتطيع تحديد أي نوع وأي مجموعة تحتاجها!

هناك ما يسـمى منظومة الأخلاق وهي ببسـاطة مثل هرم، قمتـه عدة أهداف مطلوب تحقيقها وتتكون قاعدة الهرم من عدد من الأخلاق من 10 أو 15 خلقًا تحقق هذه الأهداف.

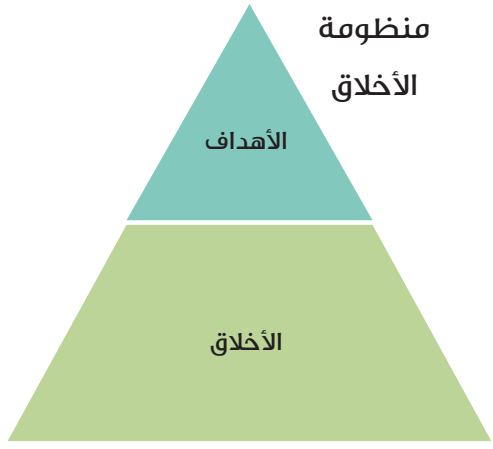

إننـا نتحدى أن يكون هناك من يعرف ما هـي منظومة الأخلاق المطلوبة في بلادنا. لا أحد يعرف ما هي منظومة الأخلاق التي نعيش بها. ونُربي عليها أبناءنا.

وتكمن مشكلتنا الكبرى في هذا الصدد في أننا:

(1) ليس عندنا أي تصور لمنظومة الأخلاق التي تحتاجها بلادنا.. لا يوجد مدير مدرسة أو رئيـس جامعة يعـرف ما هي منظومة الأخـلاق المطلوبة.. ولا يوجـد أب أو أم يعرفان ذلك!

(2) كذلـك فـإن الدعاة والعلمـاء ليس لديهم علـم بمنظومة الأخـلاق المطلوبة.. وإنما يقتصر الأمر علـى خطبة جمعة عن الأمانة وأخرى عن الصدق، وهكذا، دون هدف أو خطة واضحة.

فكانـت النتيجة تقليـدًا أعمى بدل الإبداع.. كسـلًا وعدم نجاح ونومًـا بدل الإنجاز.. صراعًا ودماء وكراهية وغلًّا بدل التعايش.

ولكي نحدد منظومة الأخلاق التي نحتاجها سأبدأ ببعض الأسئلة:

هل أنت إنسان مبدع ؟ هل أنت إنسان منجز ؟ هل أنت إنسان قادر على التعايش مع الناس ؟ هل فيك هذه الثلاثة.. هل أولادك فيهم هذه الثلاثة ؟

مـا هو آخر شـيء أبدعته في مجالك في السـنة الماضية ؟ هل تتذكر منها شـيئًا ؟ اذكر أفضل خمسة إنجازات حققتها العام الماضي؟ هل أنت صديق لعائلتك؟ وكم عدوًّا حولته لصديق؟ هل أنت متعايش مع الناس وتتعامل معهم بحب وود؟

لكـي تتقـدم بلادنـا نحتاج إلى جيـل فيه هـذه الصفات الثـلاث **(إبـداع - إنجاز - تعايـش)**.. ودور الدين أن يقدم أخلاقًا تؤثر في الشـباب، فيخرج جيل من أمثال: أحمد زويل «منجزين»، وسـتيف جوبز «مبدعين»، ونيلسـون مانديلا «متعايشـين»، هذا هو المطلوب بالتحديد.

لكـن مـا أهم الأخلاق التي يجـب أن نربي عليها أولادنا حاليًّا في البيت أو المدرسـة أو المسـجد أو المجتمـع عمومًـا؟ إنها ترتكز علـى مجموعة من الأخـلاق مثل: الأدب - الاحتـرام خاصة احتـرام الكبير - الطاعة - الانضباط - الصـدق والأمانة.. هذه الأخلاق ضروريـة... فهي تحافـظ على المجتمع من الانهيار.. سـميناها «أخـلاق البقاء».. إنها تمثـل أخلاق «بقاء» للمجتمع وتحقق صيانة له.. لكنها أخلاق غير كافية لدفع المجتمع «للانطـلاق» نحو قيم الإبداع والإنجاز والتعايش.. وهي القيم التي نحتاجها بشـدة الآن في بلادنا؛ لأن فقدانها هو السـبب المباشـر في الوضع المتأزم الذي تمر به بلادنا اليوم سواء من فقر وكسل وخمول...أو جمود وتبعية وتقليد أعمى... وكذلك من صراع وصدام وعنف وتطرف... كل هذه المصائب أحدثت انهيارًا اقتصاديًّا وانهيارًا اجتماعيًّا وكلاهما يحتاج منظومة أخلاق جديدة تحقق احتياجات العصـر من **التعايش والإبداع والإنجاز**.

إذن ما هو المطلوب ؟

نحـن نحتـاج لمنظومة أخـلاق جديدة مناسـبة لاحتياجات شـبابنا وبلادنـا.. هذه المنظومـة سـميناها «**أخلاق الانطـلاق**»، ولهـا ثلاثة أهداف هـي: «**الإنجـاز، والإبداع والتعايـش**»، وتتحقـق بعشـرة أخلاق هـي: «**الحب - التسـامح - السـلام - الرحمة والإنصاف - الإحساس بالآخر- المبادرة والهمة العالية - الطموح - التعاون - الأمل - البساطة**».

وكل مجموعة من العشرة تخدم هدفًا تشترك فيه:

فمجموعة (الحب - التسـامح - السـلام - الرحمة - الإحسـاس بالآخر): تحقق التعايش.

ومجموعة (التعاون - الأمل - الإحساس بالآخر): تحقق الإنجاز.

ومجموعة (المبادرة والهمة العالية - الطموح - البساطة - الأمل): تحقق الإبداع.

نحتاج **أخلاق الانطلاق** قبل أخلاق البقاء.. لنبدع / لننجز / لنتعايش..

القاطرة هي أخلاق الانطلاق..

ستقول لي: آباؤنا تربوا على الأدب والاحترام والانضباط ونجحوا!

أقــول لك: نجحوا لأنهم كان عندهــم أخلاق انطلاق.. أما الآن فقــد ضاعت.. نحن نربي أولادنــا على منظومة قديمــة دون تجديد، أيــن إذن متطلبات العصر التــي جدت علينا وتحتاج منا إلى تجديد؟ لابد أن نبدأ بأخلاق الانطلاق.

لا ندعي أن كلامنا هذا نهائي، ولكنه اجتهاد.. نفكر فيه.. نتحاور حوله.

أخلاق الانطلاق عندما تختفي يحصل الذي عندنا الآن من صراع وغلٍّ وكراهية ودماء بدل التعايش، وفشل وكسل بدل الإنجاز، وتقليد أعمى بدل الإبداع.

أخلاق الانطلاق فيها أشــياء رائعة.. كلها فاعلية - كلها حيوية - مثل تركيبة الدواء، فهي إعادة الفاعلية ولكن للحياة.

أفضل ما يميز أخلاق الانطلاق:

(1) **أخــلاق الانطــلاق:** يغذي بعضهــا بعضًا، فلو جــاءت واحدة تتبعها بقية العشــرة، فالحــب يُولِّد التســامح، وكلاهما يُولِّد الرحمــة، والطموح يُولِّد المبــادرة، وكلاهما يحتاج للأمل.

(2) **أخلاق الانطلاق:** مثل نســيج واحد له ثلاثة أهداف وعشــرة أخلاق، فتنتج شخصية متناســقة مثل لوحة متناغمة الألوان، فهو إنسان مسلم طموح بسيط.. كله تناسق، بعكــس أن تربي ابنك دون منظومة مثل لوحة غير متناســقة.. فهو مبادر طموح، لكنه عنيف متطرف في انفعالاته.

(3) هي أقرب للنفس؛ لأنها مرتبطة بالحرية، وليس بالإجبار أو الإكراه، والشــباب يحب الحرية، فهذه أقرب فكرة للشباب؛ لأن فيها حرية وعدم تقييد للشباب الغاضب من القيود.. تخيل لو أن كل الأخلاق التي نكلمهم فيها تبدأ بالحب والسلام.

(4) ثـم إنها أخلاق منفتحة (حب - سـلام - أمل)، وليسـت أخلاقًا مغلقـة تُنتج تطرفًا وانغلاقًا.

وهـذا ليس كلامًـا نهائيًّا.. تعالوا نحـاول ونجرب ونتحاور.. هذه المنظومة ليسـت موجودة في كتب، ولا يعرفها الغرب.. وإنما هي طرح جديد من خلال ديننا الذي يحض على مكارم الأخلاق ويدعو إلى السلام.

تعريف أخلاق الانطلاق.. مجموعة أخلاق دافعة لانطلاق المجموعة نحو ثلاثة أهداف (الإبـداع - الإنجـاز - التعايش)، أخلاق الانطـلاق عبارة عن منظومـة جديدة نعرضها للحوار.. ثلاثة أهداف.. وعشرة أخلاق.

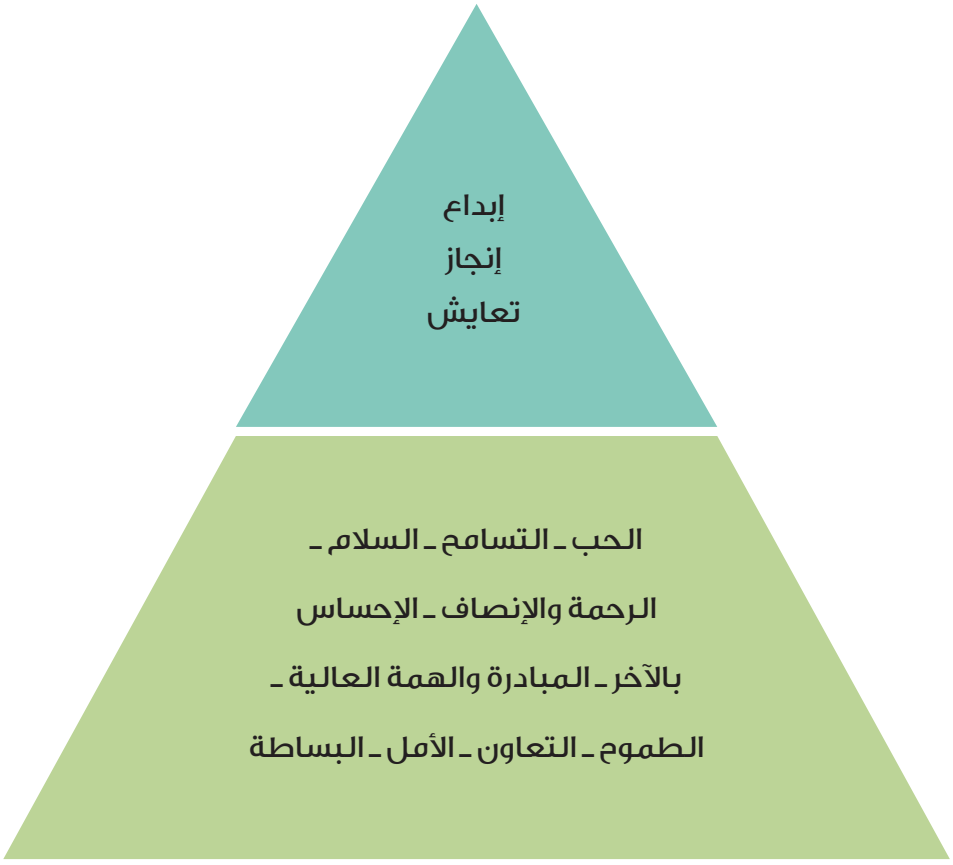

وهنا يأتي سؤال: هل أخلاق الانطلاق لها أصل في ديننا..؟ وماذا عن النبي وشخصية النبي بين أخلاق الانطلاق والبقاء.. وأخلاق الصحابة ماذا كانت ؟

لقد قمنا بعمل دراسة عن أخلاق الانطلاق في سيرة النبي ﷺ فوجدنا ما يلي:

أخلاق الانطلاق هي أخلاق رسالة النبي ﷺ (في المرحلة المكية):

(1) **السنة الثالثة للرسالة:** الجهر بالدعوة، ويصعد النبي ﷺ على جبل الصفا وينادي على قبائل قريش ليعلن الدين الجديد. هذا الفعل هو أحد أخلاق الانطلاق (المبادرة والهمة العالية).

(2) **السنة الخامسة للرسالة:** إسلام عمر بعد دعوة النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ أَوْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**». وهذا أحد أخلاق الانطلاق «الإنصاف» فرغم عداوتهما الشديدة لم ينس ﷺ صفاتهما الجميلة.

(3) **السنة السابعة للرسالة:** الهجرة إلى الحبشة، واختيار النبي ﷺ ملك الحبشة المسيحي ليهاجر لبلده المسلمون ويمدحه بقوله: «**هُوَ مَلِكٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ**». (الإنصاف - الإبداع في إيجاد الحلول الذكية للمشكلات).

(4) **السنة التاسعة للرسالة:** رحلة الطائف. السفر مائة كيلومتر ماشيًا لدعوة أهل الطائف للإسلام! (الأمل - والمبادرة - والهمة العالية).

رفض أهل الطائف الإسلام ورموا النبي ﷺ بالحجارة ونزل ملك الجبال عليه السلام يعرض على النبي ﷺ إهلاكهم: «**لَوْ شِئْتَ أُطْبِقُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ**».. فماذا كان رد النبي ﷺ؟ كان قوله: «**لَا.. عَسَى اللهُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ بَيْنِ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ**». (الحب – والتسامح – والسلام - والطموح).

(5) **السنة العاشرة إلى الثالثة عشرة للرسالة:** دعوة القبائل للإسلام في موسم الحج ورفض ستة وعشرين قبيلة مع إصرار النبي ﷺ حتى وجد ستة من شباب

الأنصـــار في آخر أيـــام منى وهم يحلقون رءوســهم في نهاية الحــج. (المبادرة – والهمة العالية – والأمل).

أخلاق الانطلاق في المدينة.. (لقطات):

(1) **الهجــرة إلى المدينة:** خطة الهجــرة كلها إبداع، فلم تقدر قريش برجالها وقادتها وأموالهــا وفرســانها علــى الوصول لمــكان النبي ﷺ رغــم أنه هاجــر وحده مع أبي بكر رضي الله عنه. (الإبداع).

(2) **اســتقبال الأنصار للنبي ﷺ** عند دخوله المدينــة بأغنية طلع البدر علينا. (الحب والبساطة بلا تعقيد).

(3) **أول خطبة للنبي ﷺ** عند دخول المدينة: «**أَيُّهَا النَّاسُ.. أَفْشُــوا السَّــلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَــامَ، وَصِلُــوا الْأَرْحَامَ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَــلَامٍ**». (الســلام والرحمة والإحســاس بالآخر).

(4) **إعداد دســتور المدينة** الذي اعترف باليهود كأمة مع المســلمين، وأعطاهم حرية الاعتقاد وممارســة شعائرهم. (التعايش – الإنصاف – السلام – الإبداع لأول دستور يؤمن بفكرة المواطنة في العالم).

(5) **غــزوة أحد:** قتلوا عمه وأســالوا دمه الزكي وهو ﷺ يدعو لهــم: «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُــمْ لَا يَعْلَمُــونَ**».. وســماهم قومه أي أهلــه، ولم يقل أعدائــي أو حتى قريش. (الحب – الرحمة – التسامح).

(6) **غــزوة الخنــدق:** واعتماد النبي ﷺ لفكــرة جديدة غريبة علــى العرب وهي حفر الخندق. (الإبداع).

(7) **فتح مكة وعفو النبي ﷺ** عن قريش بعدما حاربوه ما يقرب من عشـــرين عامًا ومــع ذلك يقول لهم: «**مَا تَظُنُّونَ أَنِّــي فَاعِلٌ بِكُمْ؟!**» قَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.. قَالَ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**». (الحب - التسامح – السلام).

(8) **إرسال النبي ﷺ** الرسائل لملوك العالم يدعوهم للإسلام. (تعايش).

(9) **دعوة النبي ﷺ** نصارى نجران للحوار وإنزاله لهم بالمســجد النبوي ليقيموا فيه، وكتابته عهد أمان لهم رغم أنهم لم يسلموا! (التسامح - السلام - الإنصاف).

كذلك فإن أمهات كتب الحديث النبوي مليئة بدعوة المسلم لأخلاق الانطلاق.

- «**الْمُسْــلِمُ مَنْ سَــلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَــانِهِ وَيَدِهِ**». (السلام). وفي رواية أخرى: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».
- «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». (الحب - الإحساس بالآخر).
- «**مَثَــلُ الْمُؤْمِنِيــنَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَــدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْــتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**». (التعاون).
- «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**». (الرحمة).
- «**الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ سَهْلٌ**». (البساطة).
- «**يسروا ولا تعسروا.. بشروا ولا تنفروا**». (الأمل).
- «**بَــادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَــبْعًا، هَلْ تَنْتَظِــرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِــيًا، أَوْ غِنًــى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِــدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ؛ فَشَــرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ؟!**». (المبادرة).
- هذه نواة أربعين حديثًا على غرار الأربعين النووية في أخلاق الانطلاق.
- ثم إن كلمة حسن الخلق هي كلمة انطلاق.. لأن الحسن ليس له منتهى.. فالحسن آفاق غير محدودة لا نهاية لها..ولأن الجزاء من جنس العمل فحسن الخلق ثوابه غير محدود..

أخلاق الانطلاق.. في أخلاق الأنبياء:

- مفتاح شـخصية نوح: (المبادرة والهمة العالية)، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾.
- مفتاح شخصية إبراهيم: (الإبداع الفكري)، (الأسلوب العلمي للإجابة عن الأسئلة الكبرى).
- مفتاح شـخصية يوسـف: (الإبداع). (الاقتصادي - الإداري)، و(التسـامح). مع (إخوته - زوجة العزيز).
- مفتاح شخصية موسى وجوهر رسالته: (المبادرة).
- مفتاح شخصية عيسى وجوهر رسالته: (الحب).
- مفتاح شخصية الرسول ﷺ وجوهر رسالته: (رحمة للعالمين).

وإليك نماذج لدول ارتكزت على أخلاق الانطلاق لبناء نهضتها:

دول تحولت إلى أخلاق الانطلاق مع الاحتفاظ بقدر من أخلاق البقاء..

التجربة اليابانية:

التجربـة التاريخية تؤكـد أن اليابان لم تتقدم إلا عندما وازنـت بين منظومة أخلاق البقـاء (العـادات والتقاليد)، وبين أخـلاق الانطلاق، لتكـون ركيزة الإبـداع والتقدم... فوضعت لنفسها شعار: تقنية غربية بروح يابانية.

بالبحث في أدب الطفل الياباني، تجد موروثًا هائلًا من القصص الرمزية الجميلة التي تعمل على صياغة أخلاق اليابانيين بصورة فاضلة تحمل كل أنواع الخير والحب والعطاء.

ولا يجـادل عاقل في أن الطفـل العربي يولد مثله مثل الطفـل الياباني وأن الفروق التـي تتكون في الشـخصية بعد ذلك إنما تعـود إلى التربية المنفتحة والإنسـانية التي يتلقاها الطفل الياباني مقابل التربية المعتمدة على التلقين التي يتلقاها الطفل العربي،

ولا يوجد حل للأمة العربية سوى بتغيير شامل لمناهج الأطفال لتحويلها إلى تغذية أخلاق الانطلاق التي لو ترسخت في نفسية الطفل وتربى عليها وصارت جزءًا من شخصيته، فإنها ستكون بعد ذلك منهج حياة له وتحقق أخلاق البقاء للمجتمع؛ لأن من يحب يعطِ ومن يرحم ينضبط ومن ينضبط يكن عادلًا صادقًا.

نحتاج إلى غرس أخلاق الانطلاق في الأجيال القادمة من خلال المدارس والمساجد وكذلك الإعلام.

نحتاج إلى حوار حول هذا الموضوع.. الأمل كبير في عودة الأخلاق لو حدثت المشاركة. وجربوها حتى نعرف إمكانية تطبيقها..

ويمكنك استقصاء قياس أخلاق الانطلاق في شخصيتك..

(1) هل تفضل العمل ضمن فريق عمل أم تجيده أكثر وحدك؟ (1 – 4).
(2) عندما تختلف مع شخص أو وجهة نظر هل تذكر مميزاتها مع عيوبها؟ هل أنت منصف؟ (1 – 4).
(3) هل لديك قدرة على مسامحة من ظلمك ؟ (1 – 4).
(4) هل أبدعت أي شيء جديد في أي مجال السنة الماضية ؟ (1 – 4).
(5) هل تعيش حالة من الأمل والتفاؤل في المواقف المختلفة في الحياة (حُلوها ومُرها)، أم تغلب عليك روح الإحباط والقلق والخوف من المستقبل؟ (1 – 4).
(6) هل أنت شخصية إيجابية مبادرة أم أنت تابع لمن يبدأ أولًا؟ (1 – 4).
(7) هل تحب نفسك وتقدرها؟ (1 – 4).
(8) هل أنت شخصية مسالمة لينة أم شخصية صدامية؟ (1 – 4).
(9) هل تحب المرح؟ (1 – 4).
(10) هل تشعر أن حب الناس – كل الناس – يملأ قلبك؟ (1 – 4).
(11) هل حبك للناس يدفعك لفعل الخير ومساعدتهم والعفو عن أخطائهم أم يتوقف الأمر على منزلتهم عندك؟ (1 – 4).
(12) هل أنجزت أعمالًا مهمة الشهر الماضي؟ (1 – 4).
(13) هل أنت صديق لعائلتك؟ هل أنتم أصحاب داخل البيت؟ (1 – 4).

تناغم الكيان الإنساني

تكلمنـا في الموضوعين السـابقين عن الأخلاق، وسـوف نكمل الحديـث عنها؛ لأننا نحتـاج إلى التجديد الفكري لسـد الفجـوة بين الدين والحياة، نحتـاج إلى تجديد يعيد الفاعلية للدين بما يسعد الناس في الحياة.

لكن لا يمكن تحسين أخلاق الإنسان دون أن نفهم الكيان الإنساني ومكوناته؛ لأننا لو فهمنا الإنسان بصورة صحيحة فسنعرف كيفية التعامل معه بتلقائية وسهولة.

والمكونات الأساسية للكيان الإنساني خمسـة: الجسد، والعقل، والنفس، والقلب، والروح.

المرحلة الرابعة: تناغم الكيان الإنساني:

وعندما نسـلط الضوء على النظرة الحالية للكيان الإنسـاني في الشرق والغرب نجد أن النظرة مشوشة بالنسبة «للمكونات الخمسة» ففي مجتمعاتنا العربية، نجد أن نسخة التدين الحالية مشوشة، حيث توجد نسخة معطِّلة للعقل لا تعرف إلا «الروحانيات فقط»، ونسـخة معطِّلة للجسد، «كل شـيء محرم، المسلم لا يسـتمتع بالحياة ؛بسبب تضييق الحلال» لأن الجسـد ليس له أهمية والصحة لا قيمة لها، ونسخة مغيرة لترتيب مكونات الكيان الإنسـانى الخمسـة، لا تعرف الفرق بين النفس، والروح، والقلب، لا تفرق بينها مـع أن هناك فرقًا في الترتيب والأولوية، وإلا لما ذكر الله «سـبحانه وتعالى» الخمسـة في القرآن.

وعنـد النظـر للمجتمع الغربي، نجـد أنه متقدم علينـا في أمور كثيـرة، مثل العلم – التكنولوجيـا – النظـام – لكن فيما يخص الكيان الإنسـاني، نجـده أكثر تخبطًا من المجتمع العربي.

فالفكر الغربي مادي، قام بوضع الجسد أولًا وأعطاه الأولوية، مما يعني أن تتحكم الغرائز في الإنسان حتى في التفكير الصحيح؛ لذلك فالجنس والخمر مباحان بلا قيود، ولا يوجد عندهم القدرة على تغيير ذلك فالجسد يتحكم في العقل ويسكته أحيانًا، والعقل يتحكم في القلب ويسكته «لا تفكر بعواطفك»، وأيضًا تقديم المصالح على المبادئ... مع أن الأصل في الإنسان أنه كائن وجداني حسي قبل أن يكون عقليًّا ماديًّا.

وعلى ذلك فإن مكونات الكيان الإنساني عند الغرب ثلاثة فقط هي (الجسد – العقل – القلب) وهذا الترتيب ألغى النفس والروح لأنهما ليستا ماديتين وهم لا يعترفون بغير المادة.

فما هو الحل؟

الحل هو أن تعمل مكونات الإنسان الخمسة سويًّا بشكل متناغم في شكل منظومة متناغمة.

وهل هناك مشكلة كبيرة لو لم تعمل هذه المكونات الخمسة؟

لو لم تعمل هذه المكونات الخمسة يحدث مرض خطير وهو عبارة عن «تعطيل أجهزة الإنسان» مرض سماه القرآن «الغفلة».

وهذا المرض يصيب الإنسان فيفقده الشعور والإحساس، فتتعطل أجهزة الإرسال والاستقبال، وتتوقف محركات ومولدات الأخلاق، الضمير يموت والفطرة تتعطل.

ووصف لنا «القرآن الكريم» هذا المرض وحذرنا منه مرات عديدة:

- ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.
- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

ودائمًا ما يأتى في القرآن ذكر مرض «الغفلة» مقترنًا بتعطيل الأجهزة، وما نناقشه اليوم فكرة نابعة من الإسلام، ولكننا سوف نعرضها بشكل معاصر، من وجهة نظرنا المحدودة، فكرة جديدة ومعاصرة، ولا ندعي أنها نهائية، إنها عن كيفية عمل الإنسان بصورة صحيحة، بمكوناته الخمسة في شكل منظومة متكاملة سميناها «**تناغم الكيان الإنساني**» **القلب، والروح، والنفس، والعقل، والجسد.**

كيف تعمل مكونات الإنسان الخمسة؟ كيف تتناغم سويًّا؟

الكيان الإنساني خمسة أجزاء ومكونات، ليست أجزاء متفرقة وكل جزء بمفرده كما يراه الغرب، لكن كل جزء من الأجزاء الخمسة وعاء لشيء معين، ويتغذى بشيء معين.

ما هو الوعاء: الوعاء هو ما نضع فيه الأشياء، فالعقل وعاء الفهم، فكل واحد من الخمسة وعاء لشيء محدد، ويتغذى بشيء محدد وليكون الإنسان سعيدًا وناجحًا يجب عليه استخدام المكونات الخمسة بطريقة متكاملة سليمة؛ لأنها بطبيعتها يكمل بعضها بعضًا، ويكون الإنسان بذلك قريبًا من الله قريبًا من الناس قريبًا من الجنة.

مكونات الكيان الإنسانى والوعاء الخاص بكل منها، وكيفية تغذيتها:

1 – الجسد: وعاء النشاط والحركة وغفلته «الكسل، الخمول، النوم» ويقظته وتغذيته في أمرين:

1 – **الرياضة اليومية**، للرجل والمرأة، للصغار والكبار، وذلك عن طريق تمارين يومية من خلال الاشتراك في نادٍ رياضي أو ممارسة رياضة «المشي أو الجري» بشكل مستمر ساعة يوميًّا «**إن لبدنك عليك حقًّا**» هذا هو حقه.

2 – **عمل دءوب:** العمل والإنتاج اليومي 10 ساعات يوميًّا.

فإذا مارست الرياضة وعملت بجد أيقظت جسدك ونجا من غفلة الكسل.

2 – **العقل:** هو وعاء الفهم والفكر، ويقظته وتغذيته في:

1 – **القـراءة والمعرفة،** أول آية فـي القرآن الكريم ﴿اقْرَأْ﴾.. فلابـد إذن من قراءة كتاب أسـبوعيًّا بهدف الارتقاء في المعرفة، فكل كتاب تقرؤه بمثابة كنز جديد يضاف إلى ثروتك، وكأنك تضيف إلى عقلك عقلًا جديدًا.

2 – **التفكـر والتأمل والتركيز** (فعقولنا أمواج متلاطمة، وخمس دقائق من التركيز كل يـوم تصنع الفارق) فلا إبداع ولا ابتكارإلا بتعلم وتفكر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

3 – **التعلم المسـتمر:** الفرق بين التعليـم والتعلم؛ أن التعليم: مرحلة معينة لمهمة معينة وهي الحصول على الشهادة أما التعلم: فهو عملية مستمرة مدى الحياة «life style» لغـة، معرفـة، مهـارة، دورة، لعبة، فلا إبداع ولا ابتـكار إلا بهذه الثـلاث (قراءة وتأمل وتعلم) فـإذا لم يُغَذ العقل بهـذه الثلاثة يعطل وعطلته (الغباء والبلاهة والتقليد الأعمى).

3 – **النفـس:** هـي وعـاء الإرادة... أي التقوى والفجـور ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ ويقظتهـا وتغذيتهـا في مجاهدة النفس، فحـرارة المجاهدة مثل تدريب العضلات مؤلمة لكنها رائعة.

جرب أن تتوقف عن ذنب كبير، جرب أن تغلق موقعًا إلكترونيًّا سيئًا من على تليفونك، وانظر إليه بعد أسـبوع ستشـعر بشعور رائع، هذا الشـعور هو «غذاء النفس» فالنفس لا يغذيها شـيء إلا المجاهدة «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» لأنه سيتذوق حلاوة رائعة.

فالنفس تنتقل بالمجاهدة من النفس الأمارة بالسـوء، إلى النفس اللوامة، إلى النفس الراضية، إلى النفس المطمئنة، إلى النفس المرضية، فاللوم هو حرارة المجاهدة.

وقمــة مجاهــدة النفس: الوصول إلــى التقــوى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾.

4 – القلب: وعاء الإدراك.. قد يظن البعض أن القلب وعاء للحب والعواطف فقط، ولكن هذا جزء منه؛ لأنه وعاء لأكبر من ذلك، فهو وعاء «للفهم مع الحس» للوصول للإدراك التام، خلطة العقل مع الوجدان، لاتخاذ القرار الصحيح.

إن فقــه العقل مغايــر لفقه القلب؛ فقه العقل: مسـلمات ونتائـج (2=1+1)، وفقه القلب: جمع الفهم مع الوجدان؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**استفت قلبك**» وليس عقلك، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾.

القلــب خليــط من الفهم والوجــدان ينتج عنه قلب حي، والقلب جهاز حســاس جدًّا، ولكي يقوم بدوره الوجداني يجب أن يبقى نقيًّا بنســبة كبيرة جدًّا، لذلك قال النبي ﷺ: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**». وهذا هو هدف إنكار المنكر بالقلب، حتى لا يفقد القلب حاســته للإدراك؛ لذلك جاء قول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». لأن المنكر إن لم تغيره غيرك.

كيف يغذى القلب؟

1 – غرس الحب: سلامة الصدر وخلوه من الغل أو الحقد أو الحسد تجعل القلب مؤهلًا للقيــام بدوره في الإدراك واتخــاذ القرار الصحيح.. فالقلــب مضخة تعطيه الحب فيضــخ الحب، ويبقى القلب حيًّا لأن مصدر الحب هو الله، وما كان لله دام واتصل، فالحب حياة القلب سواء حب الله، أو حب الناس، أو حب الكون كله.

2 – ذكر الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

والذكر ليس باللسان فقط، بل لابد من حضور القلب عند الذكر، فليس المهم العدد في الذكر؛ لأن الأرقام في الإسلام، لملاطفة العبد بالود الرباني. لكن المطلوب هو الشعور والإحساس القلبي.

روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول: «**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**». وكونه معك أكبر حافظ وضامن لصحة قرارك.

والذكر دواء «لقسوة القلب»؛ جاء رجل إلى الحسن البصري، يشكو إليه قسوة قلبه، فقال له: أذبه بالذكر.

وحديث النبي ﷺ واضح في ذلك: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت**».

مشكلة الغرب مع القلب: إشكالية الغرب أنه متوقف عن إدراك الوجدان بجوار الفهم، فهو مقتصر على مسلمات العقل فقط، في حين أن هناك شيئًا ينقصه ألا وهو الوجدان وأثره في اتخاذ القرار.

فالغرب فصل العقل عن القلب، وهذا الفصل أضر بدور الاثنين معًا، أما القرآن فقد جعل عقل الأشياء مرتبطًا بالقلب، فكما أن دور العين النظر، ودور الأذن السمع، فإذا فصلت العقل عن القلب، فكأنك قد فصلت دور العين في أن تعي وتشعر بالشيء الذي نظرت إليه.

إننا لا نجد لهذه التفرقة أصلًا في «القرآن والسنة»، بل إن كل الشواهد تدل على أن «القرآن» يصل بين العقل والحس وصلًا قويًّا، بحيث يكون في الحس عقل، كما أن في النظر عقلًا، وفي السمع عقلًا، وفي النطق عقلًا كذلك في القلب عقل.

والغريب أننا كمسلمين تأثرنا بهذا الفصل على الرغم من أنه عكس ما أمر به ديننا، حتى علماء المسلمين مارسوا هذا الفصل، بدليل أن الفصل بين العقل والقلب، أدى إلى «الغلو» في الممارسات الدينية، فصرنا نتعامل مع الدين فقط بكلمة «حلال وحرام»،

وبشــكل عقلي مجرد من الوجــدان، ودون بحث في الحكمة مــن التحريم والتحليل من الناحية الأخلاقية والإنسانية؟

فالنبي ﷺ وضع يده على قلب الشاب الذي جاء يطلب الزنا «وهي إشارة لها معنى» ثم خاطب وجدانه وقال له: «**أترضاه لأمك.. لأختك.. لعمتك؟**».ولم يقل له «حلال وحرام» بشكل عقلي مجرد، ولكن الآن صارت القواعد الفقهية عقلية جامدة، نتيجة فصل العقل عن القلب.

والأصــل في كل حكم شــرعي: هو أنه يراعي قيمة خلقية أو جمالية في الإنســان ليزداد جمالًا وإنسانية.

والغرب نفسه بدأ يثور على هذا الفصل بين العقل والقلب.

تأمــل قصة فيلم «interstiler»؛ «تدور أحــداث الفيلم عن انهيار كوكب الأرض وعلى البطل والبطلة المغادرة واختيار أحد الكواكب الأخرى وليس لديهما معلومات تهديهما، فالعقل وحده في حيرة لا نهائية، وهنا نجد أن البطلة اســتخدمت «الوجدان مع العقل» للوصول لأفضل كوكب، هذه هي رسالة الفيلم: العلم وحده لا يكفي ولكن نحتاج إلى ما وراء العقل «الإحساس والوجدان».

إذن فكلما كان القرار يجمع «فهمك ووجدانك» كان قرارًا صحيحًا؛ لذلك أحيانًا تأخذ النســاء قرارًا أكثر صحة من الرجال لأن «الجانب الوجداني» عند المرأه أكثر حيوية، أما إذا كان القلب ليس حيًّا «بالذكر والحب» فإنه يصبح معطلًا عن اتخاذ القرار الصحيح، والمغــزى مــن ذلك أنك كلما نقيت قلبك من (الغل، والحقد، والحســد، والكراهية) زادت مساحة الحب فيه وعمل الوجدان بشكل أفضل.

5 – الروح: هى وعاء الصلة بالله، فهي قبس من نور الله.

ويقظــة الــروح: تكون بتحقيــق الصلة بالله، وإرســال الروح إلى الله، والوســيلة لتحقيــق ذلك هى الصلاة، فهي الفرصة اليومية لإرســال الروح إلــى الله، هذا هو هدف الصلاة، فإذا لم تســتطع فاجلــس ثلاث دقائق وحدك واجمع ذاتك بين يدي الله وســلم

كيانك له «عز وجل»، أو اسـجد له سـجدة وادخل عليه بكل حواسك، طوبى لمن صحت له سـجدة، فقط ركز وأغمض عينيك، وأرسل روحك للسماء، ضع كيانك كله في حضرة الله عز وجل.

تناغم المكونات الخمسة:

هذه المكونات الخمسة لابد أن تتناغم لتعمل سويًّا، ولن يفيد إن عمل بعضها والبعض الآخر معطل، ففيما يخص الجسد مثلًا: فالرياضة والوزن المناسب لهما أثر على حيوية القلب والروح والنفس «العقل السليم في الجسم السليم».

والعمل والإنتاج لهما أثر على العقل، والعمل الجاد الدءوب يعوض الفهم والذكاء.

والعمـل أقـوى حماية للإنسـان من الهـوى، فالمجهد بالعمل لا وقـت عنده للهوى، فالعمل يسهل مجاهدة النفس، وهو أقوى جهاد.

ثـم إن الانتقـال من النفس الأمارة بالسـوء، إلـى النفس اللوامة، إلـى الراضية حتى النفس المرضية، لا يتم إلا بالعمل.

والعمل يذهب أمراض القلوب، فالذي يعمل وينتج ويحلم بالإبداع لا يفكر في الغيرة، والحسـد، والحقـد على الآخريـن؛ لأن عمله يجعله يركز على نفسـه وإنتاجـه، فالعمل والقدرة على الإنتاج، سبب لشفاء القلوب.

وفيما يخص الروح: فبدون الروح الموصولة بالله، لا قيمة للجسد ولا للعمل، فبدون الـروح يصير الإنسـان مثـل: تمثال لا حياة فيه. وبـدون الروح الموصولـة بالله - ولو لدقائق - تنهزم إرادة النفس في أول اختبار حقيقي لها.

وبدون الروح، تنطفئ حرارة الحب في القلب، فالله هو مصدر الحب في الكون.

وفيمـا يخص النفس: فالإرادة وجهـاد النفس مركز المكونـات الأربعة الأخرى، فلو نجح الإنسان في جهاد النفس، فسينجح في الأربعة الأخرى.

فالإرادة وجهاد النفس: هي التي ستحملك على المداومة على الرياضة ساعة يوميًّا.

والإرادة وجهاد النفس: هي التي ستحملك على الصبر على القراءة اليومية والتفكر.

والإرادة وجهاد النفس: هي التي ستحملك على الصبر على الصلاة حتى تصل بروحك للسماء ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

وهكذا تتحرك المكونات الخمسة سويًّا فتسري في أجسادنا، وتستنير بها عقولنا، وتزكى أنفسنا، وتطهر قلوبنا وتسمو بها أرواحنا.

وتوازن المكونات الخمسة، يجعلك إنسانًا متوازنًا نفسيًّا، مستقرًّا وجدانيًّا، وكل هذا يحقق أخلاقًا راقية ثابتة ومستقرة.

المكونات	الجسد	العقل	النفس	القلب	الروح
وعاء	النشاط والحركة	الفهم والفكر	الإرادة (التقوى والفجور)	الإدراك (الفهم مع الوجدان)	الصلة بالله (الربوبية)
يغذى بـ	الرياضة & العمل	القراءة والمعرفة & والتدبر والتأمل & التعلم المستمر	مجاهدة النفس	الحب & ذكر الله	إرسال الروح إلى الله

ومن هنا تتضح لنا العلاقة بين مكونات الإنسان الخمسة والأخلاق؛ لأننا لو فهمناها جيدًا، وعملت كلها بتناغم وفي إطار من التكامل لأصبح الإنسان أرقى ما يكون خلقًا، ويكون ذلك بشكل تلقائي مستمر، كسريان الماء في الورد.

لا ندعي أن هذه نتيجة نهائية، بل نفتح حوارًا حولها، ونعيش التجربة؛ لأن أى نظرية لابد من تجربتها في البداية لمعرفة نتائجها النهائية.

الفصل الثالث

العمل والإنتاج

التجديد والعمل

تحدثنا في الفصلين السابقين عن تجديد الأخلاق وفهم القرآن الكريم، أما الآن فسوف نتناول موضوعًا في غاية الأهمية هو العمل.. لأننا نريد أن يكون ديننا فعالًا للغاية في الحياة المعاصرة!

نحن أمة لا تُنتج ولا تعمل.. فالإنسان العربي مصاب بمرض خطير اسمه الكسل.. وهو مرض فقد الشهية للعمل.. فلا يوجد حافز للعمل.. مما أدى إلى أن صار هذا المرض مرضًا وبائيًّا وأصبحنا أكثر منطقة في العالم إصابة به.

لقد أظهرت أحدث دراسة للاتحاد العربي للتنمية الإدارية سنة 2012 أن متوسط إنتاجية الموظف الخليجي ثماني عشرة دقيقة في اليوم.. والسوداني عشرون دقيقة.. والمصري ثلاثون دقيقة.. والجزائري اثنان وعشرون دقيقة.. ولكن ماذا عن بقية دول العالم؟

المعدل في فرنسا ست ساعات ونصف.. وفي ألمانيا سبع ساعات.. أما في الهند فخمس ساعات!! هل ترى الفرق؟!

(رسم بياني) يوضح إنتاجية بعض دول أوربا مقارنة بإنتاجية كل العالم العربي..

مجموع الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية ودول أوربا مقارنة 2012
الناتج المحلي الإجمالي 2012 (بمليارات الدولارات الأمريكية المثبتة عند عام 2005)

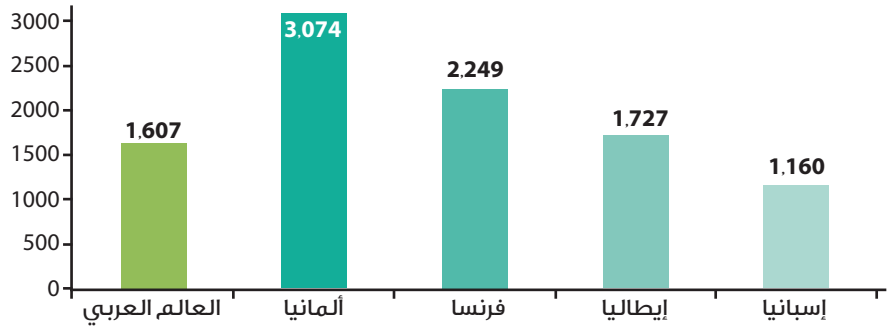

إنتاجيــة ألمانيا ضعف إنتاجيــة كل العالم العربي وإنتاجية فرنســا ضعف إنتاجية العالم العربي.. إيطاليا وحدها أكثر.. وإســبانيا كذلك يعني أن الألماني يساوي عشرين عربيًّا مســلمًا، والإيطالي يساوي عشرة مسلمين والمرأة الفرنسية تساوي عشر سيدات عاملات مســلمات، مــع أن الآية الكريمــة ذكرت عكس ذلــك: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾.

إننا لا ننتج شيئًا، وهذه أمثلة لصادرات دول مختلفة تكشف عن إنتاجية كل شعب:

صادرات ألمانيا 1410 مليار دولار

صادرات الفلبين 71,9 مليار دولار

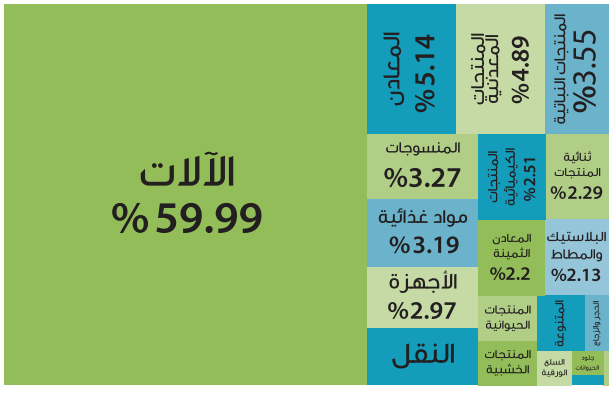

صادرات العراق 56,7 مليار دولار

صادرات ليبيا 16,8 مليار دولار

من الطبيعي إذن أن يكون هذا هو السبب الأساسي للفقر.. الفقر الذي يؤدي إلى كثير من الشرور والمشكلات.

فما هو موقف فكرنا الديني في آخر مائة سنة من هذا الموضوع؟ من المؤكد أن الدين بريء من الوضع المؤسف الذي وصلنا إليه، لكن المسئول هو تعاملنا نحن مع الدين وفهمنا العقيم له، وفكرنا المتغافل غير المهتم بالعمل وأهميته، ولكن لماذا أهمل فكرنا أهمية العمل؟

(1) يـرى بعض الناس أن أصل المشـكلة هـو عدم وجود مادة دينيـة لهذا الموضوع! لا يوجـد كتـاب واحـد ذو مـادة دينية خصبـة.. هنـاك آلاف الكتب فـي العبادات والروحانيـات والرقائـق، ولكن لا يوجد كتاب واحد غني بمـادة مؤثرة عن العمل.. وحتى خُطب الجمعة ودروس المساجد أيضًا لا يُوجد فيها تلك المادة العلمية!!

(2) يرى فريق ثانٍ أن كثيرًا من الأفكار الإسـلامية عاشـت فكرة المؤامرة على الإسلام.. فعندما تطرح السـؤال: لمـاذا نحن متخلفون؟ يأتي الـرد: لأن هناك مؤامرة، وهذا المعنى عاش الشـباب عليه وتمكن من عقولهم وأصبح ذريعة للتكاسـل والإهمال، وليسـت هذه هي الحقيقة! إنما الحقيقـة أننا غير منتجيـن.. إن الكاميرا اليابانية الصنع أصل زجاجها من رمال سيناء، والتليفزيون الياباني الصنع أصله حديد من أرض الأردن.. لكننا نبيع المواد الخام بدولارات معدودة.. فتعود إلينا بضاعة بآلاف الدولارات؛ لأننا كسالى لا نريد أن نعمل.

(3) يرى فريق ثالث أن السـبب في تخلف المسـلمين ليس فـي العمل ولكن في نقص التدين، أننا مبتعدون عن الله، فمن أجل ذلك لا يكرمنا الله، وعندما يصبح عدد من يصلي الفجر مثل عدد من يصلون الجمعة؛ عندها ينتصر الإسلام وتحل مشاكلنا.. ولا أعفي نفسي من الخطأ فقد قلت مثل هذا الكلام قبل ذلك.. وبالطبع هذا مفهوم غير صحيح، فربنا يقول: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾، ثم إننا شـعوب متدينـة بالفعل، والإيمان جـزء من حياتنا، فماذا تريـد؟ إذن ليس هذا هو السبب بالتأكيد.

(4) أننا فقدنا فاعلية الإسـلام ودوره فـي تحريك الحياة.. فهل العمل أصلًا له قيمة في الإسـلام؟ ضع يدك على أي مكان في الخريطة ستجد أن المسلمين أكثر فقرًا.. هل هذا مصادفة أم أن الدين له علاقة بذلك؟!

هل يسـتطيع الدين عام 2015 أن يسـهم في حل مشـكلة التحفيز للإنتاج والعمل، الدين ليس مسـئولًا وحده.. لكن هل يسـهم؟ هل يوجد جديد في الفكر الإسلامي يحفز

للعمل؟ هل فكرة العمل أصلًا موجودة في الدين؟ هل يستطيع الدين أن يقدم لنا حلولًا عملية معاصرة لذلك؟

فلنحدد هدفنا أولًا، وهو «عودة فاعلية الدين في إثراء الحياة والتحفيز على العمل» ثم كيف نحقق هذا الهدف الجليل الذي يحل كثيرًا من مشكلات أمتنا؟

لابد من إعادة قراءة وفهم العقيدة الإسلامية من القرآن ومن السنة ومن سيرة النبي ﷺ لكي تظهر قيمة العمل الحقيقية في الإسلام، فالعقيدة هي الأساس وهي المحرك الأول للإنسان.

تخيلوا المادة الغنية الموجودة في العقيدة عن العمل وأثرها الكبير الذى سوف يغير النظرة تمامًا. وستكون القماشة الواسعة القوية للتحفيز.

هل يمكن أن تكون عقيدة المسلم دافعة له للعمل عشر ساعات يوميًّا بإتقان؟ كيف ذلك؟ وما هي الأدوات؟ هل لدينا فكرة قوية في الدين تحفز الناس للعمل؟ وأي فكرة هذه؟

التجديد يكون بعودة الفاعلية!

أولاً: من العقيدة:

في سورة البقرة كبرى سور القرآن (الآية الثلاثون) تحمل إعلانًا غير مسبوق في تاريخ البشرية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ خليفة بمعنى مكلف بإعمار الأرض؛ لتتحدد بهذه الكلمات الشديدة الوضوح الإجابة عن أهم سؤال في تاريخ البشرية ألا وهو: لماذا خُلِقنا؟ وما الهدف من وجودنا على كوكب الأرض؟ إنه أول سؤال في العقيدة.. فجاءت الإجابة محدِّدة هدف الوجود ومهمة الإنسان على هذا الكوكب.. أنت الخليفة المسئول عن إعمار الأرض وإصلاحها بالعمل، والكون كله مسخر لك؛ لتكافح وتعمل لأداء مهمتك.. ومن هنا كان سجود الملائكة لأبيك آدم.. إنها سجدة الاعتراف بالمهمة العظيمة لهذا المخلوق الجديد.

ما هي واجبات هذا الخليفة؟ أن يعمل ليعمر الأرض وفق مراد الله.. إذن؛ لا خليفة بلا عمل.. صار العمل من لوازم الاعتقاد، ولأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ فقد صار العمل هو جوهر الاستخلاف. إما أن تعمل بجدٍّ أو تكون ناقصَ الإيمان.

وبمعنى آخر: صار العمل كل العمل من (طب، وهندسة، ومعمار، وفنون، وتكنولوجيا، وأدب، وفكر، وزراعة، وصناعة، وتعليم، وخدمات) هو جزءًا من عقيدة وإيمان المسلم، بل صار العمل جزءًا أساسيًّا في مركزية حياة المسلم. أنت مكلف من ربنا.. اعمل كل يوم عشر ساعات.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؟

تعودنا على لفظ ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ دون أن نفهم ماذا تعني في لسان العرب، وكيف فُهِمت هذه الآية عند نزولها للمرة الأولى..

قال القرطبي في تفسيره: ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾. أي: أن يُترك مهملًا، فلا يُؤمر ولا يُنهى، قاله ابن زيد ومجاهد، ومنه إبل سُدى: ترعى بلا راعٍ. أي إبل مهملة!..

أتحسب أيها الإنسان أن تترك كإبل بلا راعٍ؟..

ليس أن تترك كإبل فقط!..

بل كإبل بلا راعٍ..!..

أي أن ترعى، تبحث عن الكلأ.. والماء، دون أن يكون لك ضابط أو راعٍ أو قيد.. مجرد إبل تُركت تسرح على غير هدى!..

لماذا كان العرب يفعلون ذلك؟.. لماذا يترك صاحب الإبل إبله وهي رأس ماله؟

لأنها تكون قد كبرت.. شاخت، ولم يعد بإمكانها لا أن تُنجِب ولا أن تنتج، حتى لحمها سيكون قد جفَّ وصار غير قابل للأكل..

إبل متروكة إذن. متروكة عن قصد من راعيها وليس سهوًا، بل مهملة لأنه لا فائدة مرجوة منها.

ولأن الأمر ليس وجهة نظر، بل هو عقيدة، وفي العقائد لا مجال إلا لهدف واحد خُلقنا من أجله جميعًا.. إما أن نصيب فيه.. وإما أن نخطئ.. هذا الهدف هو العمل لإعمار الأرض.

إذن؛ فالتعمير والإصلاح اختار الله لهما كلمة: «خليفة» عندما أخبر ملائكته أن هذا الكائن الذي سماه «خليفة» أصبح مسئولًا عن تعمير الأرض. هذا هو المقصد الأصيل من خلق الإنسان.

بطاقة تعارفك مع الملائكة.. خليفة يعمل.

خلق الله آدم ثم أمر الملائكة أمرًا عجيبًا وجديدًا على عالم الملائكة.. وكان هذا الأمر هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ

﴿صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

إنَّ سجود الملائكة لآدم هو إعلان عام للملائكة بدور الكائن الجديد.. هذه هي الوظيفة في بطاقتك الشخصية عند الملائكة.. فأنت في جواز سفرك مكتوب سوري أو مصري أو برازيلي أو ياباني، أما عند الملائكة فبطاقة تعريفك عندهم ككائن مكتوب فيها أنك الخليفة.. هكذا أنت معرف عندهم من يوم سجدوا لأبيك آدم. إن أداءك لدورك كخليفة يشبه امتلاكك لبطاقة ممغنطة تجعل الملائكة تفتح لك الأبواب احترامًا وإجلالًا.. لأنك تذكّرها عند أدائك لوظيفتك في الكون بسجدتها الأولى لأبيك آدم.

ما خُلقت إلا لهذه المهمة.

إنَّ الإعلان الإلهي عن خلق الكائن الجديد (الإنسان) جاء مرفقًا ببيان المهمة المطلوبة منه... هذا الارتباط والتلازم بينهما تأكيد على أنك ما خُلقت إلا لهذه المهمة، فلم يقل إنه خلق كائنًا جديدًا، ثم لما نزل إلى الأرض كلفه بالخلافة.. لا لم يحدث ذلك، لقد تلازم خلق آدم وتحديد مهمته في نفس الوقت.. بل إن تسمية هذا الكائن الجديد بمجرد خلقه كانت تسمية بحسب وظيفته وهي الخلافة، فلم يقل إني جاعل في الأرض إنسانًا.. ولكن سماه بالوظيفة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهذا يدل دلالة بالغة على إبراز هذه الوظيفة والتأكيد عليها وما زال القرآن بعد هذا الإعلان الأول يُعظِّم هذه المهمة، ويُبيِّن محتواها وأهدافها عبر كل سور القرآن.

ثم إنك ما خلقت إلا لهذه المهمة؛ لأنك مصمم لها وهي مصممة لك.

فما وضعه الله فيك من إمكانيات وقدرات لم يكن اعتباطًا، حاشا لله أن يكون في أفعاله ما لا يصدر عن حكمته..

هـذا الموضع موضع الخليفة من الخلـق، المؤتمن الذي لم تكـن إمكانياته وقدراته جائـزة أو هدية عرضية فـي عالم تحكمه المصادفة، بل كانـت لهدف مجرد من لحظة خلق الإنسان.

عَنْ عِمْرَانَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ لَهُ**»..

فعندمـا تُؤمن أنَّك خُلقـت لتكون «الخليفـة»، وتُؤمن أيضًا أنَّك ميسَّـــر لذلك.. فإن مجرد إيمانك بذلك سيُقدم لك مزيدًا من الطاقة للعمل، وبذل الجهد فيما خلقت لأجله.

أي معصية أكبر من أنك مزقت العقد؟!

إنك خليفة.. هذا عقد بينك وبين الله.. الطرف الأول في العقد هو الله تعالى والطرف الثاني هو الإنسـان.. كل إنسـان.. أما التاريخ فقد تم توقيـع العقد يوم نفخ فيك الروح على أن يسـري العقد بمجرد وصولك لسن البلوغ.. أما نص العقد فهو: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.. وأما بنود العقد فتنص على أن يتسـلم الكائن الجديد المعرف باسم الخليفة.. مسئولية الأرض ويسخر له كل ما فيها من قوى وطاقات وكنوز وخامات على شرط أن يعمل بجد لينمي كل ذلك بما يعمر الأرض.. وفي النهاية بند جزائي يشير إلى أن أي خروج على هذا الشرط فهو مبطل للتصرف ناقض لعقد الخليفة، فأنت إذا تركت مهمتك فقد مزقت العقد وأبطلته.. أنا أعجب من إنسان نسـي أنه خليفة، ثم يبكي ندمًا إذا فعل ذنبًا أو معصية في يومه وليلته وينسـى أنه قد ارتكب أكبر ذنب وأكبر معصية يوم ترك مهمته التي كلفه الله بها!!

وبمعنى آخر: أنت مؤتمن على الأرض، مسـئول عنهـا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، نعـم إنَّهـا أمانة في عنقـك، وإياك ثم إيـاك وخيانة الأمانـة خاصة أن الأمانـة من الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

لقد «خلقك» فيها، و«خلَّفك» فيها في الوقت ذاته لتكون مسئولًا عنها.. مؤتمنًا عليها.. وسوف تحاسب يوم القيامة بهذه الصفة.

تخيل أنك وقفت بين يدي اللـه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾.

تخيل أن يسألك الله تعالى: ما فعلت فيما أمنتك عليه؟

فتقول: لقد صليت وصمت و..؛ فيُقال لك: نعم فعلت لكنك نسيت أنك خليفة، نسيت سبب وجودك.

هذا ما قدمه الدين للمسلمين للتحفيز للعمل في مجال العقيدة.

مثـال: أب عنـده ولـدان.. ترك لهما ثـروة ضخمة، وقـال لهما سـأترك لكما العمل والتصـــرف في ثروتي لفتـرة من الزمن، وترك لهما حرية الاختيـار في مجالات العمل بشرط أن يعملا بجدية لتنمية ما تركه لهما، فالأول اختار مثلًا مجال المقاولات، والثاني اختار مجال السـياحة.. فلما تركهما الأب أهملا العمل وقعدا.. فلما عاد الأب بعد سنوات ووجد أن ابنيه لم يفعلا شـيئًا، وقد صدئت المعدات، سـألهما لماذا تكاسلا عن العمل.. فقالا له: لم ننسَـكَ لحظة يا والدنا.. لقد كنا نذكرك كل يوم صباحًا ومسـاءً.. فهل تشفع لهما هـذه الإجابة حتى لو كانا صادقَيْن فيها، وهل يرضـى عنهما أبوهما؟! نحن كذلك أمام الله يوم القيامة؛ فلنستعد للسؤال.

أنت كخليفة بين أمرين.. أن تحمل الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، وبيـن كارثـة خيانة الأمانـة، قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

إذن فالعقيدة في أصلها تدعم العمل وهو أساس وأصل فيها.

ثانيًا: التحفيز للعمل في القرآن:

وردت كلمة العمل في القرآن الكريم في ثلاثمائة وواحد وسبعين موضعًا بأكثر من تصريف، فمثلًا جاءت لفظة «عَمِلَ»: تسعَ عشرة مرة، وجاءت لفظة «عَمِلُوا»: ثلاثًا وسبعين مرة. وجاءت لفظة «تعملون»: ثلاثًا وثمانين مرة. وجاءت لفظة «يعملون»: ستًّا وخمسين مرة. وجاءت لفظة «أعمالهم»: سبعًا وعشرين مرة. هذا بخلاف ألفاظ مثل يصنع، واصنع، ويصنعون.

ولإيضاح دلالة هذا الرقم نقول: «إن الإشارات إلى الصلاة ومشتقاتها في القرآن الكريم تقارب المائة وفي أغلبية الإشارات ذكرت الصلاة مقرونة بالزكاة، ومعنى هذا أن إشارات القرآن الكريم إلى العمل هي أضعاف إشاراته إلى الصلاة».

وهذا لا يقلل من قيمة الصلاة ولكن يؤكد على مدى ارتكاز هذا الدين على قضية العمل وأثرها في تفعيل دور الدين في الحياة..

يجب أن نعيد قراءة كل آيات العمل في القرآن بوصفها دعوة للإنتاج والإعمار والبناء وليس بوصفها فقط شعائر تعبدية من صلاة وصيام.

لابد أن نعيد قراءة القرآن من منطلق أنه كتاب مُعِدٌّ للإنسان الذي يجب عليه أن يعمل لتعمير الكون.

تعالوا نعيش مع معاني العمل في القرآن.. نغوص أكثر فيها.. لابد أن نقرأ القرآن ليس للبكاء والخشوع فقط.. بل للعمل والإعمار.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة فاطر: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾، نحن خُلقنا لإعمار الأرض وفي المقابل وهبنا الله أعمارنا لنقوم بهذه المهمة.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؟

ولــن تكون مصادفــة أن يكون الحوار مع الطــرف الآخر وهم الذين لــم يذهبوا إلى ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ متضمنًا تلك العبارة ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾.

وبيــن الإعمار الذي هو طــول «العمر»، والإعمار الذي هو عمارة الأرض علاقة وثيقة، فالثاني هو ما نفعله، والأول هو ما تمنحه لنا المشيئة الإلهية... والاثنان يرتبطان بشبه معادلة محكومة: الإعمار مقابل الإعمار..

إعمار الله لنا في الأرض مقابل إعمارنا لها.. طول أعمارنا في الأرض هدفه إعطاؤنا فرصة لإعمارها.

نحن نقرأ الآيات الســابقة للبكاء في الصلاة وللتأثر بقدرة الله في كونه وهذا رائع.. لكننــا لم نقرأها يومًا علــى أنها أمر بالتفاعل مع الكون لإعمــار الأرض.. ولقد آن لنا أن نقرأها هكذا..

وعند هذا التفاعل.. يجيب الله تعالى دعاء المضطر ويكشف السوء.

المضطر بذل جهدًا حتى وصل لحالة الاضطرار، لو كان هذا الداعي قد قضــى وقته فــي النــوم والتثاؤب والثرثرة، ثم قرر أن يدعو الله أن ينصره أو يغير له حاله، لما دخل أصلًا في هذه السُّنَّة، سُنَّة استجابة الدعاء..

لكن يجب عليه أولًا أن يكون قد كرَّس كل جهوده لهذا الهدف، يجب أن يكون قد بذل أقصــى ما يمكنه لكي يدخل في مساحة الاضطرار التي يُستجاب الدعاء من خلالها..

إنها السُّنَّة التي لا تتم إلا من خلال الالتزام بكل السنن الأخرى.. ومحاولتها إلى الحد الأقصــى... ثم يأتي بعدها نصــر الله.. وتوفيقه.. هذا رد قوي على السؤال: لماذا يدعو الملايين في رمضان بنصــر الإسلام ولا ننتصــر؟ والجواب ببساطة هو أننا لم نبلغ بعد سنة الاضطرار.

سورة يونس «كيف» وليس «لماذا».

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾، وذلك بعد أن جَعَلَنا ﴿ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، وبين الجملتين رابط هو (لام التعليل) ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.. لينظر كيف نعمل، كيف نتحمل مسئولية الاستخلاف.

الحديث هنا والتركيز على الكيفية «كيف تعملون»، الكل يتكلم في تحليل المشكلات والوصف لها.. الكل يتكلم عن ماذا؟ ولماذا؟ ولكن لا أحد يتكلم عن كيف.. وبكيف هذه أو HOW سبقنا العالم الغربي وبقينا نحن في ماذا ولماذا رغم أن القرآن سبق الجميع إلى فكرة «كيف».. مطلوب إذن حلول عملية ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ليس أي عمل وإنما عمل الحلول.. هذا هو دورك كخليفة.

- كذلك فإن ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في القرآن ليس فقط معناها «عملوا الخيرات».. فهذا متضمن في معنى آمنوا.. لكن ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي أنتجوا وعمروا الأرض.. لابد أن نعيد قراءة كل آيات ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في القرآن في هذا الإطار.. سنجد أن القرآن كتاب إنتاج وعمل.. هذا هو التجديد المطلوب.
- هذا ليس مجرد عمل.. بل حلول عملية ليكون العمل أكثر نجاحًا.

أتعجب ممن يقول: الغرب لهم الدنيا ونحن لنا الآخرة.. التكنولوجيا هذه من الدنيا.. هم ينتجون ونحن نستفيد بها في الدنيا ثم ندخل الجنة وهم لن يدخلوها.. هذا فكر خاطئ، وهو عكس مراد الله في خلقه.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في القرآن ليس فقط معناها عملوا الخيرات.. بل تعني: أنتجوا، اخترعوا، بنوا، اكتشفوا، فتحوا مصانع، فتحوا أبواب رزق للناس.

كل تقدم علمي وتكنولوجي دليل على عظمة الله، هل يصدق إنسان أن التراب وصل للقمر، هذه آية على عظمة الله.. لو أعدنا فهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في القرآن فسوف نحدث ثورة دينية فكرية.. نثبت بها أن القرآن كتاب عمل وإنتاج. هذا هو التجديد المطلوب. لابد أن نعمل عشر ساعات يوميًّا.

سورة العصر.. اعصر عمرك بالعمل.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ العصر مشتق من عَصَر أي ضغط على الشيء ليخرج أفضل ما فيه.. ومنه جاء معنى العصير.. وهو ضغط الفاكهة لتعطي شرابًا حلوًا، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ المعصرات: «السحاب»، أي: يتعصر السحاب لنُخرج منه ماء حلوًا..

ما هو المعنى الذي جاءت به سورة العصر؟ كأن ربنا يقول لك: اعصر عمرك عصرًا، احذر من تضييع عمرك، اعصره لتخرج أفضل ما فيه لخيرك وخير البشر.

اعصروا أعماركم أيها الناس.. وإن لم تعصروها.. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.. أي: إن الذي لم يعصر عمره في خسران.

لماذا سمي الوقت قبل المغرب بالعصر؟ لأن المقصود اعصر وقتك قبل أن ينتهي يومك، وقبل أن يأتي المغرب (نهاية اليوم).. اعصروا يومكم قبل المغرب.. واعصروا عمركم قبل أن ينتهي وتغرب شمس حياتكم.

الجملة قاطعة وحاسمة. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

ولكن «الإيمان والعمل الصالح» ينجي أصحابه من هذا الخسران؛ وذلك لأنه أوصل العاملين به إلى الهدف المنشود وهو الإعمار.

سورة التين والزيتون.. إنتاج يتحدى الصعاب.

سورة التين نزلت بعد سورة العصر بفترة لا يمكن تحديدها، فبينما كانت سورة العصر تحمل الرقم الثالث عشر حسب النزول، فإن سورة التين تحمل الرقم الثامن عشر..

التين خاصة من كل الأشجار المثمرة يمتلك صفة تميزه عنها جميعًا، ولا بد أن يكون لها ارتباط بإيراده في مقدمة هذه السورة...

التين رمز للثمرة التي تتحدى الأغصان المجدبة والقحط المسيطر.. التين رمز لما يمكن أن يفعله بعضنا عندما يقدمون الواجب على الحقوق.. رمز لمن يعمل مهما كانت العوائق.. يعمل بلا توقف.

التين درس مهم من دروس العمل والإنتاج.

أي عربي أو مزارع يفهم فورًا مراد الله تعالى من قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

ولماذا الزيتون..؟

الزيتون شجرة معمرة، بل هي من أكثر الأشجار تعميرًا في العالم، بعض أشجار الزيتون يبلغ عمرها 1500-2000 عام.

كثيرة هي الأشجار المعمرة ولكن الفرق هو أن الزيتون هو الشجرة الوحيدة التي تظل تنتج.. الأشجار المعمرة الأخرى تكف عن الإثمار.. تصبح بالتدريج عالة على البيئة المحيطة بها وعلى المجتمع، ولا شيء يثير الاهتمام فيها غير كونها قديمة، بالضبط مثل تلك الحضارات القديمة البائدة، لم يَبقَ منها إلا ما يوضع في متحف ما وخلف خزانة زجاجية..

أما الزيتونة فهي عريقة العطاء والإنتاج حيث تظل مثمرة منتجة مهما تطاولت القرون.. مثلها مثل المشروع الحضاري الذي يستنير بنور الله عز وجل.. يبقى فاعلًا

وقادرًا على أن يكون البوصلة والمنارة للناس.. اســتمرار النور مرتبط باستمرار الإنتاج الإيماني في حياتنا.

وكالعادة تختم الســورة بالعمل.. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، فلما نسي دوره ﴿رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾.

الذين رُدوا إلى أســفل سافلين استثنى منهم الذين تمسكوا بالإيمان والعمل الصالح، العمــل الجــاد، الدءوب، لابد أن نعيد قــراءة القرآن بهذا المنظــور.. اعمل لإعمار الأرض بهدف إرضاء الله.

ثلاثــة أمور عظيمة كلهــا تحفيز للعمل والإنتاج في الإســلام.. تكلمنا عن اثنين منها هما: العقيدة، والقرآن، والآن نتكلم عن السيرة.

ثالثًا: السيرة النبوية والعمل:

نريد إعادة قراءة السيرة على أنها مشروع للعمل والإنتاج.

- **أولًا:** نتساءل: لماذا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة بالذات.. هل لأنه لم يجد من يؤويه غير أهل المدينة؟ لا. فهذا ليس صحيحًا.. كانت هناك عدة قبائل لديها موارد طبيعية ومائية تعيش منها ومن الممكن أن تقبل النبي ﷺ لكنه أراد المدينة.. فلماذا المدينة بالذات؟! لأن المدينة مجتمع منتج.. مجتمع زراعي منتج.. والنبي ﷺ كان يبحث عن مجتمع منتج ولم يكن يريد أن يعيش على الموارد التي عنده دون جهد أو عمل.

- ثم لماذا سماها النبي ﷺ المدينة؟.. المدينة كان اسمها يثرب.. ويثرب اسم ديني عند العرب.. فحوَّل النبي ﷺ اسمها من اسم ديني لاسم مدني.. لم يحول اسمها وهو نبي الإسلام إلى اسم ديني آخر مثل «المحمدية أو الإسلامية» ويرفع لافتة دينية.. لكنه حولها إلى اسم مدني.. المدينة من المدنية أي العمل والإنتاج والانطلاق نحو الحضارة.

- يعلمنا النبي ﷺ أن الإنسان المنتج أكثر وطنية وأكثر حفاظًا على تراب أرض وطنه من غيره.. لأنه عرق فيها وزرع وبنى عليها، فيستحيل أن يفرط فيها أبدًا؛ لذلك لما حاصر الأحزاب المدينة بعشرة آلاف مقاتل فكر النبي ﷺ أن يعرض على قبيلة غطفان ثلث ثمار المدينة على أن يرحلوا ويفكوا الحصار.. فلما استشار الأنصار لأنهم أهل المدينة.. قال له سعد بن معاذ سيد الأنصار: أهو الحق يا رسول الله أم شيء تفعله لنا؟.. قال: بل لكم. قال: ما كانوا يطمعون في تمرة من تمر المدينة قبل الإسلام إلا بحقها.. أيوم نسلم يأخذون ثلث الثمار بلا ثمن!! لا والله..

- انظر، لقد صار المجتمع المنتج أكثر وطنية وأرضه غالية عليه لأنه تعب وكدح فيها.

- المُنتج أكثر ثقة في الله وأكثر عطاء وأكثر كرمًا وسخاءً، بينما الكسول والعاطل أكثر بخلًا وحرصًا وشُـحًّا.. هذا سـيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أخرج كل ماله لله مرتين.. كيف استطاع أن يفعل ذلك!! يعرف أنه يقدر أن يرجع ماله مرة أخرى بالعمل.. إنه رجل منتج.. وحديثًا هذا «بيل جيتس» يفعل الشيء نفسه ففي عام 2007 كانت ثروته أربعة وعشـرين مليار دولار.. تبرع بها عدا أربعة مليارات.. وفي سـنة 2011 عادت ثروته إلـى اثنين وثلاثين مليارًا! إنهـم أناس منتجون فصاروا أكثر عطاءً وكرمًا.

النبي ﷺ ومشـروع تشجير المدينة..

كان سلمان الفارسي عبدًا لأحد أثرياء اليهود بالمدينة وكان سيده يمنعه من الخروج مـع النبي ﷺ في أي معركة حتى فاته مع رسـول اللـه ﷺ حضور غزوتي بدر وأحد.. وكان هنـاك نظام يسـمى المكاتبة بمعنى أن يكاتب العبد سـيده علـى مبلغ من المال يدفعـه لـه مقابل الحصول على حريته. يقول سـلمان: فكاتبت صاحبـي على ثلاثمائة نخلـة أحييها لـه وأربعين أوقية.. فقال رسـول اللـه ﷺ لأصحابه: «**أعينـوا أخاكم**».. فأعانونـي فـي النخل، فـكان الرجل يأتـي بثلاثين «شـتلة نخل»، والرجل بعشـرين، والرجل بخمس عشـرة، والرجل بعشـر، والرجـل بقدر ما عنده، حتـى اجتمعت لي ثلاثمائـة.. فقال لي رسـول الله: «**اذهب يا سـلمان، فإذا فرغت فآذنـي أكون معك، أنا أضعهـا بيدي**».. فذهبـت وجهزتها وأعاننـي أصحابي حتى إذا فرغـت جئته فأخبرته، فخرج رسـول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسـول الله ﷺ بيده حتـى فرغنا فوالذي نفس سـلمان بيده ما مات منها نخلة واحـدة، فأديت النخل وبقي عليَّ المال فأتى رسـول الله بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، قال: **ما فعل الفارسـي المكاتب؟** فدُعيت له فقال: **خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سليمان**.. فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك.. فوزنت له منها؛ فوالذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وأعتِق سلمان وشهدت مع رسول الله الخندق ثم لم يفتني معه مشهد.

عاش النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين.. بينما عدد الغزوات التي غزاها سبع وعشرون غزوة على الأغلب. فإذا حسبنا عدد أيام القتال والسفر والإعداد لهذه الغزوات السبع والعشرين فسنجد أنها تحتاج إلى عشرين يومًا في المتوسط لكل غزوة، أي حوالي خمسمائة وأربعين يومًا، أي سنة وخمسة أشهر تقريبًا. فأين بقية السنوات العشر.. لقد قضاها النبي ﷺ كلها في إعمار الأرض والبناء والعمل والإنتاج والتعليم لهذه الأمة.

إن تجديـد النظر للعمل في العقيدة والقرآن والسـنة يجعلك تفتخر بهذا الدين الذي حرك أمة كاملة للعمل. لابد من عودة فاعلية الدين في الحياة.

كل هذه محاولات ليسـت نهائيـة.. اجتهاد ليس نهائيًّا.. يحتـاج إلى حوار ومجهود كبير.

لكـن الحلم موجود والأمـل قائم في أن يتحول هذا العمل إلى كتاب ومنهج دراسـي وبرامـج تدريبيـة للعاملين وأفكار جذابـة على «الإنترنت» لإحياء قيمـة العمل في الأمة الإسلامية كي تعود إلى سابق أمجادها يوم أن تمسكت بجوهر دينها.

العبادة والعمل

مازلنا مع العمل والإنتاج، ولكن دعونا ننظر من زاوية جديدة.. فنحن أمة لا تعمل ولا تنتج.. عالة على باقي الأمم.. تلك الأمم التي أصبحت لها اليد العليا على المسلمين، وهذا هو أصل المصيبة.

إن العبادة لها مكانة عظيمة في الإسلام.. لكن هل العبادة دافع وحافز للعمل؟ هل لها علاقة بالحياة أو العمل والإنتاج ؟

ما الذي تضيفه العبادة للمسلم عام 2015 ليعمل وينتج؟ ما الدور الحقيقي للعبادة في حياتنا فيما يخص العمل؟

للأسف في عصرنا الحالي أصبحت العبادة غير فعالة.. العبادة أصبحت شخصية ولم تعد تضيف للحياة العملية شيئًا يذكر.

النسخة الحالية من التدين تحتاج إلى مراجعة دور العبادة في الحياة.. ببساطة نحن جعلنا العبادة غير فعالة.. منفصلة عن الحياة.. لم يعد لها علاقة بها.. والعجيب أن أي داعية أو حتى مسلم متدين يرفض بشدة من يقول بفصل الدين عن الحياة.. في حين أننا نحن من نفصله عنها، ونحن السبب في ذلك.. لقد حولنا الصلاة من مشروب طاقة يدفع للإنتاج إلى موضوع روحاني فقط مفرغ من فاعليته.

وللأسف فإن بعض المتدينين بدلًا من أن يضعوا الاختراعات العلمية الحديثة في جانب العمل وضعوها في جانب البدع.. فزاد الفصل. إننا لم نرَ يومًا مؤسسة دينية في العالم الإسلامي تُكرِّم المخترعين والناجحين في عملهم.. تُكرِّم فقط حفظة القرآن.. مما أدى إلى اختفاء دور العبادة في حياتنا.. كلنا نعرف نظريًّا أن العبادة ينبغي أن تدفعنا للنجاح، هذا نظريًّا! لكن كل ممارساتنا العملية على النقيض من ذلك، وكان الفهم المحدود لآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مساعدًا على ذلك.

وقـد أدى ذلك إلى ظهور متشـككين في دور الدين كلـه في الحياة.. بل إنه قد أوجد ملحدين!

والحـل هو: عودة فاعلية الدين في الحياة.. لابـد أن تُفعَّل العبادة في الحياة.. وقتها سنشعر أكثر بقيمة وحلاوة العبادة.

ولكن ما التجديد المطلوب؟ المطلوب هو أفكار جديدة مؤثرة علمية وعملية تنتشـر بين أجيال الشـباب لتجعل العبادة مفتاحًا للعمل والنجاح. فما نقدمه عبارة عن أفكار.. والأفـكار هـي أولى خطـوات التغيير.. أفـكار عملية لا ندعـي أنها نهائيـة.. ولكن هي دعوة للحوار حولها.. وسـوف نعرض أربع أفكار.. ويمكـن الحوار حولها إلى أن تصل إلـى ثلاثمائة فكـرة.. ففكرتي مع فكرتك تنتج أفكارًا.. هذه الأفكار كلنا مسـئولون عن استنباطها من الحياة وليس علماء الدين فقط.

أربع أفكار لعودة فاعلية العبادة:

الفكرة الأولى: أقم الصلاة، وأقم معها الحياة!

إن الأمـر الوارد في القـرآن الكريم بالصلاة لم يأت قط مجـردًا هكذا «صلوا» ولكنه دائمًـا جاء مقترنًا بالإقامة حيث قـال لنا: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فكلمة الصلاة في القرآن لا تأتـي إلا ومعهـا كلمة أخرى هي الإقامة.. فلا صلاة بـلا إقامة، فالعلاقة متلاحمة بين الاثنتين!

لكـن العجيب أن كلمة إقامة الصلاة لم تأتِ في القرآن الكريم إلا جاءت بعدها إقامة الحياة..

وإليك القاعدة: إذا وجدت في القرآن لفظًا يستخدم في أكثر من موضع فالهدف من ذلـك أنه يريدك أن تربط هـذه المعاني ببعضها.. فالقرآن دائمًا يربط بين إقامة الصلاة وإقامة الحياة.

تأمل قول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.. ثم قوله له عندما قابل الخضر: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾، أي: أصلحه وأعاد بناءه.. أقام الصلاة ثم أقام الجدار بالبناء!! ما رأيك إذن في أن تقيم شيئًا من أمور الحياة بعد إقامة كل صلاة؟!

لقد قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾.

ثم قال لهم بعدها: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ﴾.

إن الإقامة هنا أعمق! فهي تنقل التوراة والإنجيل من مجرد كلام إلى واقع مقام في حياة الناس.. إنها إقامة تطبيق الأفكار... أقيموا الصلاة ثم أقيموا الأفكار.

وقال تعالى لأمة محمد ﷺ مرات ومرات: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولكن لم يقتصر الأمر على ذلك، بل قال أيضًا: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾.. فالإقامة هنا إقامة العدل وقيمة العدل.. أي القيم والأخلاق. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معها ثلاث إقامات: «البناء، والأفكار، والقيم». هل تستطيع كل يوم تصلي فيه أن تفكر فيما ستقيمه بعد الصلاة؟

قال الله لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ صلِّ.. ثم قال له في السورة التالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾.. أي قم صلِّ ثم قم أصلح.

إن هدف إقامة الصلاة هو أن تقيم الحياة.. أقم الصلاة وأقم معها مدرسة.. أقم الصلاة وأقم مستشفى، أقم الصلاة وأقم مصنعًا يفيد الناس، أقيموا الصلاة وأقيموا بلدكم.. هذا هو مفهوم القرآن عن الصلاة.

أول دورة لكل مسلم قرأ هذا الكلام.. «ابدأ من اليوم، صلِّ بنية إقامة الحياة». وأول فكرة عملية «لماذا لا تعقد دورات تدريبية لخطباء المساجد عن هذا المفهوم.. دور الصلاة في إقامة الحياة؟».. إن الفهم الصحيح للدين أن العمل جزء منه، وأن الصلاة وسيلة لدفع الناس للنجاح، والذي لا يفهم هذا يكون فهمه قاصرًا.

أعرف قصة لشريكين اختلفا في اجتماع في العمل على مال حرام.. فقام أحدهما أثناء الاجتماع وقال لشريكه: أنا أصلي لإقامة هذه الشركة للخير و للناس.. أصلي وأنا أنوي إقامة الخير من خلال هذه الشركة.. لا تفسد علي صلاتي... هذا هو معنى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾.. فهل يمكن أن تقيم صلاتك هكذا؟

لا يمكن أن تكون صلاتك لمجرد أن تمحو اسمك من سجلات الغائبين أو لتثبت حضورك وانصرافك.. تؤدي الركعتين فقط، ولا تأنيب لضميرك. اكتب هذا الشعار في غرفتك.. في مكان صلاتك.. في شركتك... «**أقم الصلاة وأقم معها الحياة**».. شعار رائع.

الصلاة دورة تدريبية مستمرة خمس مرات يوميًّا طوال عمرك؛ لتعطيك الطاقة الروحية لتكون قادرًا على إقامة الحياة والعمل والإنتاج، هذا هو الهدف من الصلاة!

لماذا يكون الذي صلى الفجر في جماعة في ذمة الله؟ لأن كمية الطاقة فيها أعلى؛ لأنك تبذل فيها للاستيقاظ مجهودًا رهيبًا.. وقدرتك على الاستيقاظ ستعطيك قوة لإكمال إقامة الحياة طوال اليوم.. لذلك فإنك ستنتج أكثر.

سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: «إني أجهز جيوش المسلمين وأنا أصلي». لم يقصد أنه يسهو في الصلاة.. بل يقصد أنه ينوي نوايا كبيرة لله و هو يصلي .

قلد عمر وقل: نويت إقامة الصلاة و إقامة الخير طول اليوم. جرب أن تصلي من الآن هكذا. أقم الصلاة وأقم الحياة.

إن الصلاة بهذا المفهوم تشبه عملية إزالة للحشائش الضارة التي علقت بك طوال اليوم.. عملية تنظيف وجداني لتنطلق للإبداع.

المشكلة التي يواجهها المتدين دائمًا هي التوفيق بين الإيمان.. العبادة.. الروح.. وبين التطور المستمر الرهيب للحياة.. المسيحية واجهت هذه المشكلة بتقديم الروح على المادة.. والإسلام جاء يقول: لا تعارض بينهما، بل إنه يقول: الروح والعبادة لا يمكن فصلهما عن التطور.. الإسلام يسد الفجوة بين العبادة والحياة.. الحياة كل يوم في تطور مستمر.. تكنولوجيا واختراعات.. والحل أن المؤمن العابد ينتج ويعمل وينتج ويطور.. يعني أن يكون بإيمانه وعمله جزءًا من عملية التطوير، فلا يشعر بالفجوة، وأن تكون صلاته نفسها دافعًا للنجاح وتطوير الحياة.. أما أن تكون العبادة في ناحية وتطور الحياة في ناحية؛ فهذا ضد مراد الله.. وضد الإسلام.

فكرة ثانية مهمة لعودة فاعلية الصلاة في الحياة: قال تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المقصود هو العمل والإنتاج. ولكننا نفهمها بصورة خاطئة، نفهم أن ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هي: صلوا وأصلحوا.. والذي يقرأ القرآن لا يجد مشقة في أن يلاحظ أن كلمة آمنوا لا يمكن أن تأتي بمفردها أبدًا. دائمًا يأتي معها فعل.. آمنوا وهاجروا. آمنوا واتقوا.. آمنوا وأنفقوا.. آمنوا وعملوا الصالحات كثيرة جدًّا.. ولا تأتي أبدًا آمنوا وحدها. لابد مع الإيمان من فعل شيء. لابد أن يؤدي الإيمان لأمر ثانٍ.. نحن نفهم الإيمان خطأ ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾.. هذا معنى ضيق فالإيمان ليس كلمة تقال هكذا دون عمل يؤكد هذا الإيمان.

فالصلاة والعبادة.. جزء من الإيمان.. فإذا آمنت فلابد بعدها: ماذا فعلت؟ وماذا قمت به من عمل؟ آمنت يعني أنا مصدق بالله ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ لم يصدق فلم يصلِّ، ولو صدق لصلى.. فالعبادة جزء من الإيمان.

والفهـم الصحيح لآيـة ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أن الإيمان والعمـل عبارة عن نظام (system) مثـل أي نظـام في العالم. فأي نظـام عبارة عن مدخلات يحـدث لها عملية تشـغيل ثـم ينتج عنها مخرجـات.. آمنوا هي المدخـلات التي يتم عليها عملية تشـغيل وتفعيل داخلي بالصلاة والصوم والشعور بالثواب، فينتج عنها مخرجات ألا وهي عملوا الصالحات.

نحن نُصِرُّ أن نفهم المخرجات التي ينبغي أن تكون العمل نُصِـرُّ أن نفهمها بشـكل خاطـئ.. نرى ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هي: الصلاة والصيام والحج والعمرة، وهذا مسـتقر في عقلنا الباطن بشدة.

مدخلات - تشغيل - مخرجات:

ولذلـك لايوجد «feed back» لأن العملية أصلًا غير صحيحة.. فالمهندسـون يقولون لك أي نظام ليس فيه «feed back» هو دليل على أن العملية غير صحيحة!

المفـروض أن الإيمـان مشـتمل على العبـادات وأن المخرجات هي الإنتـاج والعمل وإعمار الأرض.

كيف خلطنا الأمر فصارت المخرجات هي هي نفس المدخلات؟!

نريد نظامًا صحيحًا يجعلنا ندرك أن صيام رمضان له مخرجات وهي إتقان العمل؛ لأن الصيـام يربي التقوى.. وكذلك القدرة على المثابرة في العمل لسـاعات طويلة؛ لأن الصيام يربي الصبر.

نريد نظامًا صحيحًا يجعلنا ندرك أن الصلاة لها مخرجات عملية إعمارية.

مدخلات - تشغيل - مخرجات:

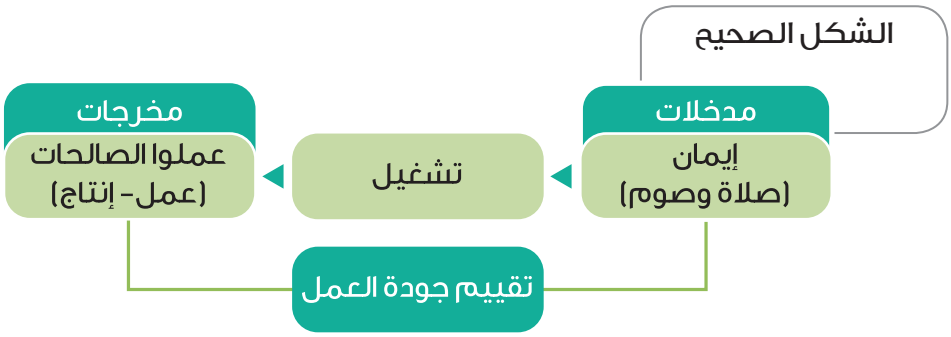

وبناء على ذلك فإن كلمة ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في كل آيات القرآن يمكنك إعادة قراءتها وفهمها على أنها إعمار الأرض.. عندها ستتغير نظرتك كليًّا للقرآن وفهمك للمراد من آياته.

لابد لنا من إعادة قراءة القرآن بهذا الفهم الجديد.. نريد إعادة قراءة آيات ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من زاوية أنها عمل وإنتاج، وتخيل ماذا يحدث في الفكر الديني عندما نربطها كذلك بآيات تحث على العمل.. مثل قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ هذه أفكار لربط العبادة بالحياة وبالعمل.. وهو كلام مبدئي.. ونحتاج مئات الأفكار تنتشر في بلادنا من شباب وخبراء وعلماء دين.. أعيدوا قراءة وفهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من جديد في القرآن الكريم.

الفكرة الثالثة التي أقترحها لربط العبادة بالحياة وتجديد فاعليتها في الحياة: العبادة لا تعطل العمل.

تأمل هذه القصة النبوية.. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، وكان يصلي خلفه رجل هو عبد الله بن حِرام فتجوّز عبد الله بن حرام في صلاته (أي لم يكمل الصلاة مع معاذ وإنما خرج منها وأكمل الصلاة وحده)، فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا

فقـال: إنـه منافق. فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسـول الله، إنا قوم نعمل بأيدينـا ونسـقي بنواضحنا، وإن معـاذًا صلّى بنا البارحة فقرأ البقـرة، فتجوّزت فزعم أنـي منافق، فقال النبي ﷺ: «**أفتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَـاذُ؟**، قالها ثلاثًا، **اقرأ:** ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، **ونحوها**» متفق عليه.

هـذا الحديث نجده فـي كتب الفقه تحت قاعدة: جواز انفـراد المأموم عن الإمام في الصلاة، هذا من زاوية فقه الصلاة، لكن إذا نظرنا لنفس الحديث من زاوية العمل فسنجد أنه عندما أطال معاذ الصلاة شعر عبد الله بن حرام بالحرج؛ لأنه يريد أن يسقي نخله، فـكان بين أمرين: الإسـراع نحو العمل في مزرعته أو البقاء فـي الصلاة، ولم يكن لديه حكم فقهي يرشده لكيفية التصرف في هذه الحالة ففضل هو العمل فترك معاذًا، وأكمل صلاته وحده وخرج من المسجد إلى مزرعته، وهو ما رآه معاذ نفاقًا، لكن النبي ﷺ لم يلُـم عبـد الله بن حرام ولم يره مُفضِّلًا الدنيا على الآخـرة ولم يره مخطئًا، بل لَام معاذًا بكلمـة دقيقـة: «**أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَـاذُ ؟**»، والمعنى القريب لكلمـة النبي ﷺ أي: لا تفتن النـاس بالإطالـة عليهم، لكن المعنى الأدق أنه إذا ترك الناس العمل للبقاء في المسـجد طويلًا؛ ستكون فتنة؛ لأن حياتهم ستفسد، وبعدها سيفسد دينهم كما حدث معنا.

إننـا نجد في بلادنا موظفين يذهبـون أثناء عملهم لصلاة الظهر والعصر فيطيلونها أكثـر من معـاذ ليس تعبدًا ولكن هروبًا مـن العمل، وأتحدى لـو أن أحدهم كان يصلي المغـرب والعشـاء في بيته بهـذا التطويل! إنه الهـروب من العمل عن طريـق الله.. أما النبي ﷺ فيأبى أن تعطل العبادة العمل؛ لأنه إذا حدث ذلك تكون فتنة.

إذن فالفكرة الثالثة.. لا للهروب من العمل باسم الدين والعبادة.. **أفتان أنت يا معاذ.**

الفكرة الرابعة لربط العبادة بالعمل والإنتاج: إعادة فهم الآية: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، والفهم الصحيح كما أراه: أن العبادة مشروع للحياة.. لماذا؟!

هذه الآية هي رقم ستة وخمسين من سورة الذاريات؟! أي إنها تقريبًا في ختامها، بحيث نستطيع أن نقول إن الآية في ذروة السورة وتقدم تلخيصًا لها بأكملها.. ولا يمكن أن نفهم الآية بمعزلٍ عن السياق الكلي للسورة؛ لذلك فإننا نحتاج إلى نظرة فاحصة لسورة الذاريات.

سورة الذاريات: العبادة مشروع حياة:

إننا بنظرة كلية إلى سورة الذاريات نجد أنها من بدايتها إلى نهايتها تتحدث عن العمل والتفاعل مع الكون من أجل الرزق الواسع. إنها ليست سورة الروحانيات ولا الشعائر التعبدية فقط كما نظن، ولكنها سورة العمل والإنتاج كذلك.

العبادة مشروع للحياة.. تبدأ سورة الذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾. ومع تتابع الآيات في السورة سنرى أن الذاريات، والحاملات، والجاريات، والمقسمات، كلُّها «أطوار» أو «أدوار» في مشروع عمل مشترك، وهي ترتبط مباشرة بمحاور السورة.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾.

الذاريات هي «الرياح» التي تذرُّ التراب والبذور، والحاملات هي «السحب» التي تحمل المطر ليسقي هذه البذور، والجاريات يسرًا هي «السفن» التي تحمل البضائع بعد إتمام نمو البذور، والمقسمات أمرًا هي «الملائكة» التي تقسم الأرزاق بأمر الله تعالى لهؤلاء الذين عملوا..

هذه الخطوط الأربعة موجودة في كل مشروع عمل حقيقي، لا يمكن أن نجد مشروعًا لا يتضمن هذه الخطوط..

كل المشاريع تحتوي على «فكرة» ما، قد تكون في البداية مثل حلم، أو هدف أعلى..

هــذه هي مرحلة ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾.. يكون فيها المشـــروع مجــرد بذرة بعيدة عن موسم الحصاد، مجرد فكرة بعيدة عن التطبيق.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ هــذه تمثل كل ما يقوي البذرة وينميها، ويحولها من مجرد فكرة إلى نواة لمشــروع، ويمكن أن تصبح كلَّ المؤسسات التي ينبغي أن تتوافر لكي تضمن الحماية والإنماء لتلك البذرة التي نثرت في المرحلة الأولى.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ إنها عملية التســويق والنقل للمنتجات التامة، والجريان في لسان العرب يعني السير إلى هدف محدد..

هذه المراحل المتتابعة هي جزء من السنن الإلهية التي تسيِّر الكون، والتي يمكننا أن نكــون جزءًا منها فنحقق الهدف الذي خلقنا الله من أجله.. هناك موارد وخيرات متاحة تساق إليكم لكن لابد من الجهد والعمل ليأتي الرزق.

الحياة الإنسانية كما يريد لها خالقها أن تكون هي مشــروع يشارك فيه كل من يعبد هذا الخالق، بل إن المشــاركة في هذا المشــروع هي جوهر عبادة هذا الخالق ســبحانه وتعالى.

إنها مشروعٌ جوهرُه العبادةُ، ولكن بالطريقة التي قدمتها لنا سورة الذاريات.

ثم إن السورة تكشف لنا عن نظام كوني يؤثر في بيئة العمل، فلا يمكن أن تنجح في مشروعك إلا بمعرفة البيئة التي تعمل فيها والتي تصفها السوره بصفتين:

الأولى: الاتساع المستمر ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

والثانية: التمهيد ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾.

ثم تســتعرض السورة نماذج لحضارات فشــلت في إعمار الأرض. كان إعمارًا خاليًا مــن الجوهــر الذي يضمن له البقــاء؛ كان لا يحقق فكرة «يعبــدون»، فكانت نهاية هذه الحضارات الفشل.

- ثم نجد في قلب سورة الذاريات الآيات عن المؤمنين الذي يقومون الليل.. يتعبدون بين يدي الله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾، لكن قيام الليل والاستغفار في الأسحار ورد وسط سورة تدعو للعمل وإعمار الأرض فهذه الآيات إذن تمثل الطاقة الدافعة للعمل... إنها بمثابة شحن ليلي لإنسان سيكون ساعيًا مكافحًا في النهار تحت ضوء الشمس.. فيكون قيام الليل طاقة عمل بالنهار.

- بذلك ندرك أن العبادة في حقيقتها هي وسيلة وليست غاية، وهذا لا يقلل من قيمة العبادة ولا أهميتها، بل يجعلنا نتعامل معها بشكل صحيح حيث ندرك دورها في حياتنا.. إنها هي مصدر الإمداد بالقوة والطاقة في الحياة.

إذن فنحن أمام أربع أفكار لنجدد نظرتنا لدور العبادة في العمل والإنتاج:

(1) أقم الصلاة وأقم معها الحياة.

(2) ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هي كفاح وإنتاج.

(3) العبادة لا تعطل العمل.

(4) العبادة مشروع للحياة.

وهذه أفكار أولية تحتاج إلى حوار ومجهود وتفكير منا جميعًا لنصل بها إلى مئات الأفكار المحفزة للعمل لتتحول إلى ثقافة تعيش بها الأجيال القادمة.

الفقر عدو الإسلام

مازلنا مع رحلة المفاهيم السلبية التي نسعى جاهدين أن نحولها إلى طاقة إيجابية في حياتنا.

ولا شك أن الفقر سبب رئيسي لكثير من المشكلات. إن أكبر مشكلة تواجه العالم الإسلامي هي الفقر، وإذا نظرت لأساس كل المصائب الأخلاقية، فستجد أنها تبدأ من الفقر.

لكن ما تفسير أن أعلى معدلات الفقر في العالم موجودة في بلاد المسلمين؟ ما تفسير أنك إذا وضعت يدك على أي بقعة فقيرة في العالم تجد سكانها من المسلمين؟ هل للدين علاقة بهذا الوضع المؤسف؟

لا يوجد أحاديث تجعل الفقر أفضل من الغنى عند الله، ولا توجد نصوص دينية مشجعة على الفقر، ما جذر المشكلة إذن؟ هل الإسلام يفضل الإنسان الفقير؟! هل النبي يدعو لثقافة الفقر كما يدعى البعض؟ هل الإسلام يشجعنا على الرضا بالفقر؟

إن تمجيد الفقر أصبح منتشرًا في ثقافتنا الدينية في المائة سنة الأخيرة، وأصبح لها تسرب إشعاعي من الكتب إلى الإنترنت إلى المنابر، ومن المنابر إلى مفاهيم الناس وعقولهم ورؤيتهم للحياة، حتى صارت هذه المفاهيم محصنةً داخل اللاوعي والوعي معًا، وصارت تشكل جزءًا من بديهيات الرؤية الإسلامية، إنها ثقافة ترضي الفقراء وتخدرهم فيزدادون فقرًا.

لا بد من مفهوم إيجابيٍّ يحرك الناس لرفض الفقر والسعي للخروج منه بكل وسيلة، لابد أن نعلنها بقوة: **الفقر عدو الإسلام الأول**، نريد ثورة في عقولنا نعلنها على ثقافة قبول الفقر باسم الدين.

الفقر عدو الإسلام الأول:

دائمًا يحدثنا أصحاب الدعوات الإسلامية عن أعداء الإسلام والمسلمين من الأمم الأخرى، لكننا لم نسمع من يحدثنا عن العدو الأول للإسلام والمسلمين ألا وهو الفقر. نعم إنه العدو الأول لأنه وسيلة الشيطان لإفساد حياة الإنسان، وهذا بنص القرآن: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾،ولأنه من الشيطان ولأنه وسيلة الشيطان لإفساد البشر حتى يصل بهم إلى الكفر فمن الطبيعي أن يتعوَّذ منه النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**».

ثم انظر لربط النبي ﷺ بين الكفر والفقر، وكأنه يكشف علاقةً بينهما، والفقر قد يأتي بالكفر وبكل المفاسد الأخلاقية السلوكية.

فلا عجب إذن أن يروى عن رسول الله ﷺ: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**» رواه البيهقيُّ في الشعب.. وكان علي بن أبي طالب يقول : «لو كان الفقر رجلًا لقتلته». ألم تسمع دعاء رسول الله لخادمه أنس بالغنى: «**اللهم كثر ماله وولده**» فلم يمت إلا وهو من الأغنياء؟!

إنَّ دعاءَه ﷺ لنفسه: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**» هو في ذاته تعليم لأصحابه ولنا أن الغِنى من المقاصد التي ينبغي أن ندعو بها ولا عيب في ذلك، ثم انظر إلى قوله: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» بل يجعل ﷺ عدم الإنفاق على الأهل والعيال من الآثام الكبار،يقول: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**».

دلوني على السوق:

تجسد عبارة (**دلوني على السوق**) منهج الصحب الكرام في التعامل مع الحياة، السوق حيث التجارة والبيع والشراء والتعامل.وهنا أقول لكم: هل تعلمون أن السوق

كان السبب في انتشار الإسلام في إندونيسيا والهند والصين. والسوق هنا يعني التجارة، والتجارة تعني تحريك المال وتداوله بالبيع والشراء..

كيف تؤسس حضارة على حب الفقر؟

«**مـن رأى منكم منكـرًا فليغيره**» لماذا نطبقه فقط على الذنوب؟ لماذا ندعي الغيرة علـى الحرمات ونتشـنج فيما هـو أقل خطورة مـن الفقر؟ أليس هـذا تناقضًا في فهم أولويات الإسـلام؟ بل إن المحرمات سببها الفقر. فمن الذي يغضب ويغير منكر الفقر؟ اكره الفقر بقلبك وهذا أقل الإيمان.

كراهيـة الفقـر وتغييره عمـل ديني تثاب عليه، هكـذا يصبح الدين فعـالًا، لو ربينا الأجيال على هذا المعنى.

أتمنـى أن أرى جماعـة دينيـة تهدف إلى تغييـر منكر الفقر،فهل يعقـل أن كل من هـو متدين يقـاوم المعاصي وينهى عن منكر اختلاط الرجال بالنسـاء ولا ينهى عن أم المصائب والمنكرات ألا وهو الفقر؟!

منظومة القرآن الكريم للخروج من الفقر إلى الغنى

أولاً : بناء عقيدة (الغنى) من خلال أسماء الله الحسنى:

1 – الغني: الذي يغني عباده من فضله.

2 – الرزاق: الذي يرزق عباده بغير حساب.

3 – الكريم: الذي لا يرد السائلين.

4 – الواسع: الذي يوسع على عباده.

5 – العزيز: الذي لا يرضى لعباده الذل.

إن هذه الأسماء تدعوك للاعتقاد الجازم بأن الله يريد أن يغنيَك ويعطيك ويوسع عليك بما يحقق لك حياة كريمة غنية.

ثانيًا: التذكير الدائم بنعم الله المنتشرة في الكون لإغناء البشر:

الآيات التي تُعدد نعم الله على البشر بما يمتعهم ويسعدهم في الحياة كثيرة جدًّا في القرآن:

1) ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾.

2) ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

3) ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ثالثًا: استعراض الكون المسخر لاستخراج النعم «تسخير الكون»:

1) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

2) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

3) ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

رابعًا: فرص الحياة بعدد أنفاس البشر:

فالذي خلق البشر لم يبخل بالفرص لحياة كريمة.. أي وفرة الموارد والفرص.

1) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾.

2) ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ۝١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢١﴾.

وإذا ضاقت فرص العيش الكريم كان السفر:

3) ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾.

خامسًا: العمل ضرورة لتحقيق الغنى:

فــي النهاية يطالبك فقط بشــيء واحد هــو العمل لتتفاعل مع الكون المســخر ومع النعم المتنوعة لتضمن تحقيق الغنى.

1) ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

2) ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾.

3) ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

النبي ﷺ كان غنيًّا ولم يكن فقيرًا:

يقول الشــيخ محمد الغزالي: (إن أعدادًا كبيرة من المســلمين زعموا أن الرسول ﷺ آثــر الفقــر على الغنى، ودعا إلى الفقر، وبهذه الفلســفة الجبانة نشــروا الفقر في الأمة الإسلامية عدة قرون).

النبي ﷺ غني وليس فقيرًا أبدًا والدليل في القرآن:

إن الدليــل القرآني مشــرق وواضــح على غنى النبــي ﷺ، ولن تتعب كثيــرًا في أن تجده في إحدى قصار السور، ففي سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾. فانظر إلى وضوح الدليل؛ قال تعالى: ﴿عَآئِلٗا﴾ ولم يقل: فقيرًا، والعائل في اللغة هو كثير العيال. لقد أظهر الله فضله على نبيه بأنه أغناه والغنى هنا مادي؛ لأنه ربطه بشــيء ماديٍّ آخر هو أنه عائلٌ أي كثير العيال.﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾؛ فلو كان الفقر أفضل من الغنى لم يكن للامتنان معنًى وفائدة.

نعم، لقد مرّ رسول الله ﷺ – كسائر الناس – بأحوال عصيبة ومختلفة طوال حياته، من ضيق وشــدة، وخاصة في حصار الشِّــعب بمكة، وبعد الهجــرة، وفي فترات طارئة

أخرى، وفي أوقات مخصوصة، ولكن كان في معظم الأحوال غنيًّا وميسورًا، وملَك أموالًا كثيرة، سـواء في مكة أو فـي المدينة، ثم زادت أمواله بعد الغزوات والسـرايا والفتوح، وعلـى الأخص بعد غزوة بني النضير، وخيبر، وحنيـن. تعالوا نحلل وضع النبي المالي أكثر، أو بعبارة أخرى تعالوا نتعرف إلى ميزانية النبي ﷺ.

النبي ﷺ غنيٌّ بدليل مستوى إنفاقه السنويِّ :

مصاريف المعيشـة: كان ينفق على 9 زوجات؛ مهورهن وكسوتهن وطعامهن، بل كان كما جاء في الحديث يدخر لأهله قوت سـنة كاملة، أي كان يوفر في بداية كل سـنة ميزانية السنة بالكامل.

المسكن: اشترى رسول الله ﷺ أرض المسجد، وأقام بيتَه على جزء من تلك الأرض، فليـس بيته من تبرُّعات المسـلمين، أمَّا دُورُ أزواجِه بالمدينـة فإنه قد أعطى كلَّ واحدة منهنَّ الدَّارَ الَّتي تسـكنُها، ووصَّى بذلك لهنَّ. أما مارية المصرية فأسـكنها في العوالي. ثم إنَّ الزَّواج بهذا العدد من النِّساء وما يتبع الزَّواج من التكاليف والصَّداق والإنفاق على هذا العدد من البيوت والنِّسـاء لا يطيقه إلَّا ذو سَـعَة، وكان الصَّداق في عهده يَصِل إلى أربعمائة درهم، وصداقه لزوجاته ﷺ زاد على ذلك.

إنفاقه ﷺ على شئون حياته الخاصة :

وكان لا يأكل وَحْدَه، ولكن كان يأكُل مع أهله وخَدَمه، ومع مَن يدعوه من المسلمين، إلَّا أنْ ينزل بهم ضيفٌ، فيأكل مع الضَّيف.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ**».

وكان ﷺ حريصًـا على مظهَره ولباسـه وشَـعره وطِيبه...، بل إنـه كان يحرص - كلَّ الحـرص- علـى التَّجمُّل أمام النَّاس عامَّة، وأمام الوفـود خاصَّة. وعن ابن عمر: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ»، وعن أبي رمثة قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ وعليه بُردان أخضران».

العطور: وعن عائشــة – رضي الله عنها – قالت: (كأنِّي أنظر إلى بريق المِســك في مفــرق رســول الله ﷺ وهو مُحــرِمٌ). وجدير بالذِّكــر هنا أنَّ ثمن العطــر والطِّيب كان مرتفعًا في زمنه، ومع ذلك كان ﷺ يُكثِر منه.

وســيلة مواصلات خاصة: كان ﷺ يملك ناقة تسمى القَصْواء، وبغلة تسمى دلدل وفرسًا يسمى السَّكب.

- كان ﷺ كريمًــا كثير العطاء حتى قال عنه ابن عباس: «كان رســول الله جوادًا، وكان أجود ما يكون في رمضان فرســول الله أجود بالخير من الريح المرسلة» البخاري.
- إنفاقه على أهل الصفة، وهم فقــراء المهاجرين الذين هاجروا من مكة للمدينة، وليس لهم عمل أو مأوى وكان عددهم يصل إلى 70 صحابيًّا وكان ﷺ يطعمهم من ماله الخاص.
- وإنفاقه على ضيوفه من الوفود التي كانت تأتيه والتي زاد عددها على ســبعين وفدًا في عام الوفود.
- ثم إنفاقه على خدمه ومواليه. والمولى: هو المملوك الذي يمنّ عليه صاحبه بأن يفــكَّ رقبته فيعتقه،ويصير المملوك بذلــك مولًى لمعتقه، فكان النَّبيُّ ينفِق على مَواليه مِن خُمسه؛ لأنَّ الزَّكاة والصَّدقة لا تَحِلُّ لهم، فقد كان يعتبر نفسه مسئولًا عنهم بعد أن أعتقهم.

جدول بأسماء المُطعَمين على مائدة النَّبيِّ ﷺ:

المطعَمون على مائدته ﷺ	نساؤه		وهنَّ: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زَمْعَة، وأمُّ سَلَمة واسمها هند بنت أبي أميَّة، وأمُّ عبد الله عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة بن الحارث أمُّ المساكين،وزينب بنت جحش، وأمُّ حبيبة رَمْلَة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث، وجويرية بنت الحارث، وصفيَّة بنت حُيَي بن أخطَب. وثلاثٌ يُلحَقْن بهنَّ: خولة بنت حكيم السُّلَمي الَّتي وهبَت نفسها للنَّبيِّ، وكان له سريَّتان يقسم لهما مع أزواجه: ماريَّة القبطية، وريحانة الخندقيَّة.
	بناته		وهن: زينب، ورقيَّة، وأمُّ كلثوم، وفاطمة الزَّهراء، ويلحق بهن : الأولاد الذين ماتوا: القاسم، وعبد الله (ابنا خديجة)، وإبراهيم (ابن ماريَّة)، ويلحق بولده:عليٌّ بن أبي طالب.
	ربائبه	أبناء خديجة	زرارة بن النَّبَّاش الأسَديّ.
			هند بن أبي هالة.
			الحارث بن أبي هالة.
		أبناء أمّ سَلَمة	سَلَمة بن أبي سَلَمة.
			درَّة بنت أبي سَلَمة.
			زينب بنت أبي سَلَمة.
			عمر بن أبي سَلَمة.
		بنت أمِّ حبيبة	حبيبة بنت عبيد الله بن جَحش.
	مواليه		نحو السَّبعين وعدَّهم العراقيُّ **(81)**
	خدَمه		وكانوا ستة عشر رجلًا، وامرأتين، وعند العراقيِّ أنَّهم **(35)**

مجموع مَن كان النَّبيُّ ﷺ يُنفِق عليهم: حوالي ثمانية وعشرين ومائة نفس (128)، ويُزاد عليهم أربعون نفسًا أعتَقَهم قُبَيلَ وفاته، فيصيرون حوالي (168) نفسًا.

ملخص مصارف إنفاق النبي ﷺ:

1 – على نفسه ﷺ: طعامه وشرابه، ملابسه وزينته، فراشه، أدواته، سلاحه، بهائمه: الناقة والبغلة والفرس.

2 – على أزواجه: مهورهن، بيوتهن، وولائم الأعراس. كيف ينفق على 13 بيتًا وهو فقير وهو لا يقبل الصدقة، ويقول: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»؟!!

3 – على أهل بيته : الطعام والشراب، بناته، ومن يعولهم في بيته غير بناته.

4 – على مواليه : 30 رجلًا و 11 امرأةً.

5 – على خدمه : 14 رجلًا وامرأتان.

وعلى ذلك نقول : ما كان للرسول ﷺ أن ينفق كل هذه الأموال على هذه الجهات المتعددة إلا وهو غني مقتدر، خاصة أنه كان يتعفَّف عن أموال الناس بما في ذلك أزواجه وأصحابه.

فمن أين له هذا؟؟

بداية لا يصح لأحد ادعاء أن هناك من كان ينفق على النبي ﷺ: لا يستطيع أحد أن يدعي أن هذا الغنى كان من أموال أصحابه أو من مال زوجته خديجة أو من أموال المسلمين. وهذه هي الأدلة :

النبي ﷺ لا يقبل الصدقة: إن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد**» حتى التمرة في فم أحد أحفاده كان يأباها..

تأمل هذا الموقف البسيط مع أحد أحفاده (الحسن) عندما همَّ بأكل تمرة من تمرات الصدقة، فجعلها في فمه، فقال رسول الله ﷺ : «**كخ.. كخ.. ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»...

النبي ﷺ لا يقبل عطاء أهله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فهو لم يأخذ حتى من عمه أبي طالب مالًا، بل على العكس فهو الذي ربى ابن عمه علي بن أبي طالب حتى يخفف عن أبي طالب صعوبات الحياة.

النبي ﷺ لا يقبل مالًا حتى من أصحابه، وفي ذلك تروي أُمُّنا عائشة - رضي الله عنها - أنَّ أبا بكر رضي الله عنه حين أعلمه الرسول بالصحبة، كان قد جَهَّز ناقتين للرحلة - وقد كان يتوقعها - وقال: «يا رسول الله، إنَّ عندي ناقتين أعددتهما للخروج، فخذ إحداهما» فقال النبي ﷺ : «**قد أخذتها بالثمن**». فحتى في الهجرة دفع الرسول لأبي بكر ثمن الناقة التي حملته من مكة إلى المدينة.

ولقد غمز بعض الكُتَّاب بذلك فقال: (ولقد مرّت على النَّبي أوقاتٌ عصيبة، وهو الذي لم يتَّخذ لنفسه عملًا، بل عاش على كرم المهاجرين والأنصار، وكثيرًا ما كان يأوي إلى فراشه جائعًا أو يسكّن جوعه بِما لا يزيد عن بضع حبّات من التمر). لو قرأ هذا المدعي ما قاله النبي ﷺ للأنصار والذين عاتبوه في إعطائه المهاجرين من ماله الخاص وليس من مال الدولة، لعَلِمَ مَن الذي يحق له أن يمن على مَن، ففي الخطبة المشهورة:«يا معشر الأنصار، ألَم أجِدكم ضُلالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم مُتفَرِّقين فَألَّفكم الله بي؟ وعالة فأغْنَاكُم الله بي؟». فقالوا : المن لله ولرسوله.

النبي ﷺ لا يقبل عطاء من أي أحد وهو الذي يقول: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**».

النبي ﷺ لا يقبل نفقة زوجته عليه.انظر لقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ ومعنى الآية أنه متى عَجز عن نفقتها لم يكن قوَّامًا عليها. فإذا كان الإنفاق من أسباب القوامة للرَّجل على زوجته، وكانت السَّيِّدة خديجة هي الَّتي تنفق على زوجها رسول الله - كما ادَّعى بعضهم-، ألا تسقط بذلك قوامَته في بيته؟! لم تكن السَّيدة خديجة هي الَّتي تنفق على زوجها رسول الله، ودليل ذلك:

ـ قول السَّـيِّدة خديجة عندما نزل الوحي لأول مرة على النبي ﷺ، في الحديث الَّذي أخرجـه البخاري: (... فدخـل النَّبيُّ على خديجة بنت خُويلد، **فقـال: زمِّلوني، زمِّلوني،** فزمَّلـوه حتى ذهَبَ عنـه الرَّوْع، فقال لخديجـة - وأخبرها الخبر-: «**لَقَدْ خَشِـيتُ عَلَى نَفْسِـي**»، فقالت له خديجة: كلَّا، أبشِـرْ، فواللـه لا يُخزيك الله أبدًا، إنَّـك لتَصِلُ الرَّحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمِل الكَلَّ، وتَكسِـب المعدوم، وتقْـرِي الضَّيف، وتُعين على نوائب الحقِّ). فهذه الصِّفات الأربع الأخيرة كلُّها صفات ماليَّة تدلُّ على اليُسـر والسَّعة والكرم والجود، فكيف يقوم هذا كلُّه على الفقر والعوز؟!

نعم، لقد قدَّمت خديجة المال، ولكن هذا المال كان دعمًا للرِّسالة لا للرَّسول، خاصة في أواخر أيام الحصار في شِـعب أبي طالب، فاسـتحقَّت لقَب خير نساء الدُّنيا، وتلقَّت سـلامَ الله لها، وبُشْـراه ببيت في الجنَّة، كما بُشِّـر عثمان بالمغفرة العامَّة لإنفاقه على جيش العُسْرة، فنِعْمَ ما أنفَقَتْ، ونِعْمَ ما أكرمَها الله به.

ما مصادر أموال النبي ﷺ؟

1 - تكسبه من مزاولة التجارة :

كان ﷺ تاجـرًا ناجحًا، وقد اسـتحقَّ النَّبـيُّ العمل مضاربًا في مال خديجة بسـبب السُّـمعة التِّجارية الحسَنة الَّتي اتصف بها وعرفت عنه، فقد كان يكسِب أكثر من غيره، وقـد فعل ذلـك بمال خديجـة.إنَّ العَمَـل المتقَن والأمانة هما أسـاس الرِّبح، فسُـمعة النبي ﷺ تاجرًا سـبَقَت نبوَّته إلـى خديجة رضي الله عنها، وهـذا درس للمتواكليـن والجبـرييـن الذين يعتقدون أن الظّروف تصنعُهم، وأنهم ريشة في مهب الريح.

واسـتمر ﷺ في التجـارة بعد البعثة ولشـهرة أمره في البيع والشـراء بعدها أثبت القرآن تعجب المشركين من إصراره على مزاولة التجارة؛ يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾.

والمشي في الأسواق هو تعبير عن الحركة المستمرة في البيع والشراء، فأوحى الله إليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾. فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات.وهذه الآية تصف تجارة النبي قبل البعثة وبعدها.

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أَنَّ رسولَ الله ﷺ اشترى من عبد بَيْعًا، وليس عندَه ثمنُهُ، فَأُرْبِح فيه، فباعه، فتصدَّق بالربحِ على أرامِل بني عبد المطلب، وقال: «لا أشتري شيئًا إلا وعندي ثَمنُهُ) وهذه القاعدة هي حل مشكلة الكساد بأمريكا والبيع على بطاقة ائتمان «credit card» بلا رصيد.

لكن كيف كان يخلو في غار حراء ليالِيَ طوالًا وهو بلا رزق؟ هل كان يقبل أن تنفق عليه زوجته؟! لقد كان غار حراء يمثل استراحة له ﷺ بعد سفر البيع والشراء مثل من يعملون الآن في بعض شركات البترول فيعملون أسبوعين ويرتاحون أسبوعًا. هكذا كان يقسِّم النبي وقته قبل البعثة بين التجارة عملًا يتكسب منه وبين التأمل في غار حراء عبادة وتأملًا روحيًّا وبين شئون بيته كزوج وأب، وفي كل ذلك كان ينفق من حر ماله الذي يكسبه من تجارته.

2 – ميراثه من والديه وأجداده:

النبي ﷺ حفيد عائلة عريقة غنية، فهاشم بن عبد مناف أبو جد النبي كان موسرًا، تولى السقاية والوفادة، وهو أول من أسس لرحلتَي الشتاء والصيف.وكان اسمه عمرًا، وكان في موسم الحج يهشِّم الكعك بالدقيق ليطعم الحجاج فسموه هاشمًا.

أما عبد المطلب جد النبي فقد استمرَّ على نَهج أبيه وجدِّه، ومما يدل على ثرائه فداؤه عبد الله والد النبي بمائة ناقة.

أما والد النبي عبدالله بن عبد المطلب فقد كان تاجرًا، توفي في أثناء مزاولة عمله التجاريِّ وهو يحمل تجارة قريش إلى الشام وكان عمره وقتها 25 عامًا.

وقـد ورث النبي ﷺ عن أبيه وأمه؛ عن أبيه أمـوالًا، وعن أمه آمنة بنت وهب الزهرية دارها التي ولد فيها؛ ولذلك أخذت مرضعته أجر رضاعه من أمواله التي ورثها من أبيه. وكانـت الدار التـي ورثها عن أمه في مكان مميز في أغلى أحياء مكة؛ لأنها كانت بجوار الكعبة.

لم يكن أبو طالب عم النبي موسرًا مثل النبي والعباس؛ لذلك يقول ابن عباس: (أصابت قريشًـا أزمة شـديدة حتَّى أكلوا الرمة، ولم يكن من قريش أحد أيسر من رسول الله ﷺ والعباس بن عبد المطلب، فقال رسـول الله ﷺ للعباس: «يا عم، إن أخاك أبا طالب قد عَلمـتَ كثـرة عياله، وقد أصاب قريشًـا ما ترى، فاذهب بنا إليـه حتَّى نحمل عنه بعض عيالـه». فانطلقا إليه فقالا: يا أبا طالب، إن حال قومك ما قد ترى، ونحن نعلم أنك رجل منهـم، وقد جئنا لنحمـل عنك بعض عيالك، فقـال أبو طالب: دعا لـي عقيلًا وافعلا ما أحببتما، فأخذ رسول الله عليًّا، وأخذ العباس جعفرًا، فلم يزالا معهما حتَّى استغنيا).

وبِهذا نَجد أن هذه العائلة الكريمة الرفيعة كانت عائلة ثراء وسيادة.

3 - ميراثه من خديجة :

وورث من زوجته خديجة بنت خويلد دارها بمكة بين الصفا والمروة خلف سوق العطارين.

4 - نصيبه من غنائم الحروب:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فجعل خمسها مقسومًا على هذه الأسهم الخمسة.

ومـن المهم هنا أن نذكر أنه ﷺ لـم يفتعل حربًا ليحصل على الغنائم، لم يفعل ذلك قـط، وذلك بدليـل أن المعارك الثلاث الأولـى مع قريش «بدر – أحـد – الخندق» كانت علـى حدود المدينـة، فهم الذين جاءوا ولـم يذهب هو إليهم.ومعاركـه الثلاث مع يهود المدينة كلها بدأت بخيانة منهم ولم يكن هو البادئ.حتى إن فتح مكة كان بسبب نقض

قريش صلح الحديبية، فكان منه الحرص على السلام وكان منهم نقض العهد وبالتالي فالغنائم حق له بشرف و أمانة.

ملخص ما حصل عليه النبي ﷺ من خمس الغنائم:

اسم الغزوة	المغنم
غزوة بدر الكبرى	مائة وخمسون من الإبل، وعشر أفراس.
غزوة بني سليم	خمسمائة بعير.
غزوة بني قينقاع	سلاح كثير، وذهب وأموال.
غزوة بني المصطلق	ألفا بعير وخمسة آلاف شاة.
غزوة بني قريظة	ألف وخمسمائة سيف، وألفا رمح، وثلاثمائة درع.
غزوة خيبر	سلاح وإبل و بقر وأراضٍ ونخيل.
غزوة حنين	أربعة وعشرون ألف بعير، وأكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية.

5 – هدايا الملوك: كان ﷺ يأخذ الهدية ولا يقبل الصدقة:

ملخص هدايا الملوك	
المقوقس	مارية أمّ ولده، وسيرين التي وهبها لحسان، وبغلة شهباء يقال لها دلدل، وحمار يقال له عفير.
النجاشي	بغلة، فقبِلها منه، وبعث إليه هدية عوضها.
فروة بن نفاثة الجذامي	بغلة بيضاء يقال لها فضّة ركبها يوم حنين.
مَلِك أيلة	بغلة بيضاء، فكساه رسول الله ﷺ بردة.
صاحب دومة الجندل	بغلة.
وفد الرهاويين	فرس يقال لها: المرواح.
مرداس بن مؤبلك بن واقد	فرس.

الرد على أحاديث فقر النبي:

الحديث الأول :

أخرج البخاري عن أمِّ المؤمنين عائشة قالت: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ**».

بلا شكٍّ، الرِّواية صحيحة سندًا ومتنًا، على أنَّ هناك اختلافًا على ما يؤخَذ من الحديث من أحكام؛ لأنَّ ظاهر الحديث يعارض ما ورد صريحًا في أحاديث أخرى عن غناه في آخر عهده.

يقول الشَّيخ محمَّد الغزالي: (**إنَّ الحكم الدِّيني لا يؤخَذ من حديث واحد مفصولٍ عن غيره،وإنَّما يُضَمُّ الحديث إلى الحديث، ثمَّ نقارن الأحاديث بما دلَّ عليه القرآن الكريم**). خاصة أن النبي ﷺ ترك أموالًا وأوقافًا أنفق منها على زوجاته وأهله بعد موته.

لكن لفهم الحديث يجب أن نذكر أن النبي ﷺ قد جهز جيشًا بقيادة أسامة بن زيد لغزو الروم وخرج في الجيش كبار الصحابة، وكان النبي مريضًا ومع ذلك أصر على خروج الجيش. إذن كانت هناك حالة حرب تمر بها المدينة، وفي ظل هذه الظروف الصعبة أتى ضيف بليل إلى النبي ﷺ فأرسله إلى هذا الرجل اليهودي ورهن له درعه ليطعم الضيف.. إذن فحادثة رهن الدرع هي حادثة إكرام ضيف نزل في ليلة حرب.

الحديث الثاني :

عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: (**كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار**)، **فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: (الأسودان) (التمر والماء)**. (صحيح البخاري).

لم يكن الحال المذكور في هذا الحديث هو حال النَّبيِّ في حياته كلِّها، وإنَّما كان ذلك في أوَّل الدَّعوة المدنيَّة، لما هاجر رسول الله والمهاجرون إلى المدينة وظهر فقراء

أهل الصفة فأسـكنهم النبي إلى جواره، فكان دوره كقائد أن يتفاعل معهم ويشـعر بما يشعرون ويواسيهم بماله ثم تغير الحال وفتحت أبواب الخير والرزق.

كذلـك الحال مع حديث ربط النبـي ﷺ الحجر على بطنه فإنه لم يربط الحجر على بطنه ثلاثةً وعشـرين عامًا مـن الدَّعوة، فزمن الحديث واضح في قول سـيِّدنا جابر بن عبد اللـه بـــ: **(يوم الخندق)**، وأخـرج الحديثَ البخاري في كتاب المغـازي، باب غزوة الخندق،وفي ذلك يظهر أنَّ هذا الجوع الَّذي دعا رسـولَ الله لربط الحجَر ما كان منبثقًا عن فقر، وإنَّما كان ناتجًا عن حالة حربٍ طارئة، ومواصلَة عملٍ، وحفرٍ، وتكسير صخرٍ، لسرعة إنجاز الخندق.

الحديث الثالث :

«اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»..

إنَّ المراد بهذا الحديث الاسـتكانة ومسـكنة القلب لله وليس مسكنة الحال والمال.. مسألة تواضع للفقراء ولأهل الصفة، لا علاقة لها بالمال على الإطلاق.

الخـلاصـــــة:

الأحاديث الخاصة بالنبي ﷺ والتي تستخدم لتمجيد الفقر واستحسانه، هي أحاديث الظـروف الطارئـة في حياة النبي كمـا يحدث لكل الناس، بل إن الغنـي تمر به أحداث طارئـة لفترات محددة من حياتـه يجوع فيها أو تقل موارد أمواله لسـبب طارئ، لكن لا يعقل أن نقضي بأحكام عامة بسـبب أحداث طارئة ونقول إن هذا هو أسـلوب حياته كلها.وإنما الذي حدث أن بعض الدعاة كانوا يسـتخدمون فكرة فقر النبي وربط الحجر على بطنه لدغدغة عواطف المسـتمعين لجذب قلوبهم لمحبة النبي بينما كان هذا خطأ جسيمًا وعلى حساب تقدم الأمة نحو العمل والإنتاج، ولا أعفي نفسي من المسئولية فقد وقعت في نفس الخطأ من قبل.

خلاصـة القـول إذن أن النبي ﷺ كان غنيًّا ولم يكن فقيـرًا، وأنه أطلق طاقات جيل ففتحوا العالم بنفسية تمجد إعمار الأرض وليس بنفسية تمجد الفقر.

الفصل الرابع

مفاهيم فعّالة

القضاء والقدر

مازلنــا مع أفكار التجديد، لا نقترب من الثوابت لكن نحاول أن نعيد الفاعلية لديننا، بدأنــا كلامنا عن القرآن والأخلاق والعمل والآن نُتبعه بالحديث عن مفاهيم الإســلام التي عطلنا الفاعلية منها وحولناها إلى مفاهيم سلبية.

وسوف نبدأ بتناول مفهوم في غاية الخطورة، مفهوم عميق أصيل في ديننا، فهمناه خطأ فتسبب عن هذا الفهم مشكلات كثيرة، هذا المفهوم هو القضاء والقدر.

لقد فهمنا القضاء والقدر على أنه استسلام وعجز وسلبية.. وبذلك نزعنا الفاعلية من ديننا وحولناه لدين غير فعال، خلطنا بين فكرة الرضا بقدر الله «أن تؤمن بالقدر خيره وشره» وبين فكرة الاستسلام والعجز والسلبية.

حولنــا القضاء والقــدر من دوره الإيجابي الفعال إلى دور ســلبي يعطل بدلًا من أن يدفع للأمام.

مــن ذلك أن يقول أحدهم: إن الله خلق الناس درجــات وفضل بعضهم على بعض.. وقد خلقنا الله فقراء لحكمة أرادها. وقدره كله خير، ولذلك فعلينا أن نرضى بقضاء الله فينــا. ويقول آخر: أنا فقير وأبي فقير وجدي كان فقيرًا.. هذا قدر الله في عائلتنا، كتب اللــه علينا الفقر وينبغي أن نرضى به وسنســتمر في دائرة الفقر المغلقة ويلينا أولادنا وأحفادنا، وعلى المؤمن الصادق أن يرضى بقدر الله.

وهنا أتساءل: هل هذا هو مفهوم قدر الله؟!

لقــد فهمنا القضاء والقدر على أنه إجبار من الله لنا علــى أفعالنا.. «الجبرية».. هذا الفهم العقيم الذي قد ينتج عنه الإلحاد والتشكيك، فبناء عليه يمكن أن يقول قائل: لماذا يحاسبنا إن كان أجبرنا على أفعالنا؟! وما معنى الحياة إذن؟!

وصل فهمنا للقضاء والقدر إلى أن نرضى بالذل لأن هذا قضاء الله وقدره، ليس هذا فحسب بل عليك أن تكون راضيًا وإلا أصبحت ناقص الإيمان!!

إن الرضـا معنـى جميل، لكن قبول الفقر والذل والسـلبية والعجـز ليس من الرضا بالقضاء والقدر.

كيف ظهر هذا المفهوم السـلبي الخطير؟ لقد ظهر بسـبب السياسة في عهد الدولة الفاطمية حيث استخدمت إرادة الله لتكون مبررًا شرعيًّا للسيطرة والحكم. ثم مع مرور الوقت تطور من الجانب السياسي إلى أن أصبح رؤية اجتماعية عامة تشمل كل أحداث الحياة.

ثم انعكس هذا المفهوم على كل ثقافة المسـلمين حتى صارت عبارة «**إن شاء الله**» علامة على تركنا الأمور تسير بلا فعل منا.. بلا تدخل منا.. حتى صارت علامة على عدم الفعـل.. حتى إن أحدهم ليقول: «اللهم أهلك الظالمين بالظالمين» وأنت ماذا سـتفعل؟ فيقول: أنا مستسلم للقضاء والقدر، الأمر بين الله والظالمين وأنا لا دخل لي.. أنا راضٍ بالقضاء والقدر.

ثم تفشى هذا المرض لدرجة أنه انعكس حتى على الأمثال الشعبية.

«من رضي بقليله عاش.. يا بخت من بات مظلوم ولا باتشي ظالم.. المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين».

إن ديننا بريء من كل ذلك، لكن فهمنا الخاطئ ليس بريئًا ألبتة..

لقد ماتت الإرادة... فماذا حدث؟!

بـدأ يظهر ملحـدون أو رافضون للدين وظهرت جملة «الدين أفيون الشـعوب».. إن ديننا بريء من أن يسـتخدم كمخدر. فالقضاء والقدر أشـبه بمشروب طاقة حولناه إلى مخدر..

إذن ما المفهوم الصحيح للقضاء والقدر؟

لو حدث فرضًا وجدلًا أن تعرف على سلوكياتنا شخص من جيل الصحابة.. لتعجب جدًّا من فهمنا المغلوط وسيتعجب من استخدامنا لعبارة «قدر الله وما شاء فعل» في سياقها التحسري الذي نعبر فيه عن عدم قدرتنا على فعل شيء.. قد يصرخ بنا أنْ لا.. إننا قد فهمنا كل شيء على نحو خاطئ.. وإنهم لو فكروا بطريقتنا لبقوا كما كانوا في الجاهلية... مجرد قبائل متناثرة تعبد أصنامًا قبيحة، وتتقاتل لأجل فرس سبقت أخرى.. لو أنهم فهموا الركن السادس من أركان الإيمان: «**أن تؤمن بالقدر خيره وشره**» كما فهمناه نحن لَمَا خرجوا من مكة، ولَمَا بنوا المدينة، ولما فتحوا العالم.

العجيب أن الرضا بالقضاء والقدر كان هو المحرك القوي للصحابة للانطلاق لبناء حضارة الإسلام، فكيف تحولت نفس الفكرة إلى سبب لقبول الفقر والرضا به؟!

كيف تحول مشروب الطاقة الهائل إلى حقنة مخدر؟

عندما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. فإن مقصد الآية واضح، وهو أن كل ما نسعى إليه ونكسبه إنما هو بعملنا وفعلنا واختيارنا وإرادتنا.

وعندما قال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. لم يقصد قط أننا لسنا نحن من يعمل هذا العمل الذي سيراه الله ورسوله والمؤمنون.

كل آية - ونشدد هنا على كل آية - فيها ذكر للنوع الإنساني أو خطاب له من حساب أو عقاب أو ثواب أو تكليف..كلُّها تقف ضد من يَدَّعون أننا مجبرون على أفعالنا حتى ولو كانوا يغلفون ادعاءهم ذلك بأزياء تنكرية.

إذن فما معنى القضاء والقدر؟ وكيف نفهمه بشكل إيجابي؟

القدر ليس شيئًا ضيقًا أغلقه الله عليك.. فمن أسمائه تعالى: الواسع.

قاعدة: كل قدر صعب تمر به فيه مساحات واسعة واختيارات جعلها الله تعالى مخرجًا لك من الضيق. وعليك التفكير وبذل الجهد لتنتقل إلى قدر جديد أجمل وأفضل. وبالتالي فالقدر يدفع نحو الإيجابية لأنك متأكد أنه واسع وليس ضيقًا أي أن القدر فكرة إيجابية دافعة وفعالة للحركة وليس عبارة عن مخدر كما اعتبره كذلك بعض المدعين.

القدر إذن معناه.. هذا التحدي أمامك ولن يضيق الله عليك الاختيارات.. فهيا تحرك لقدر جديد أفضل.

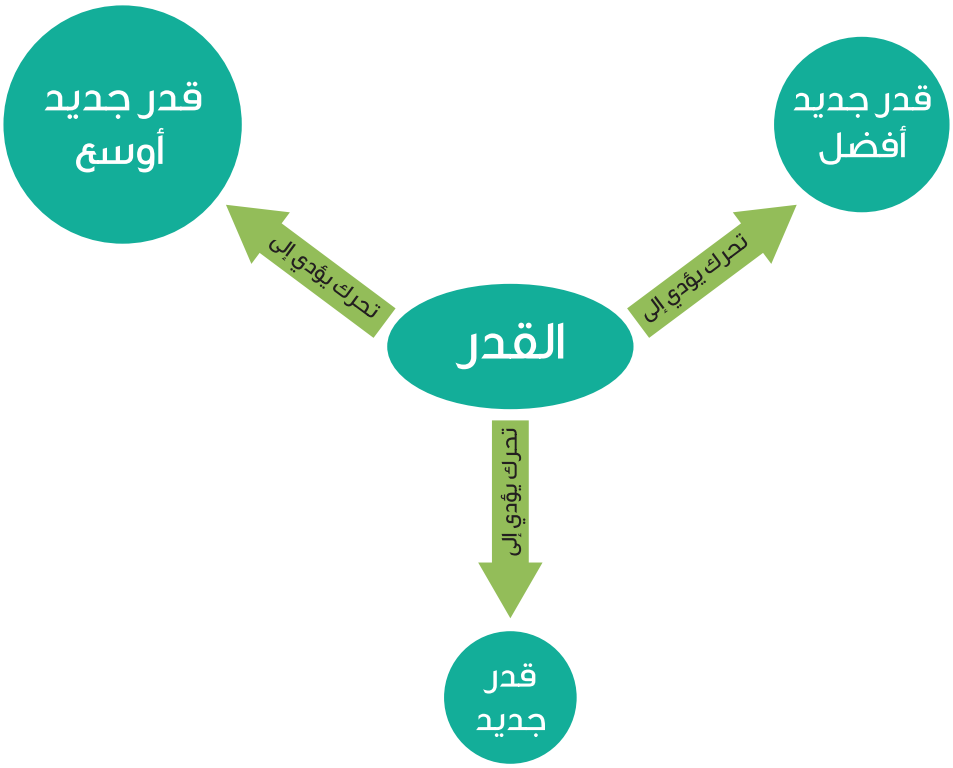

إن القدر الجديد هو محصلة حركتك بين الاختيارات المختلفة، وتظهر هذه الفكرة بوضوح في سورة طه.. في قصة موسى عليه السلام عندما تحرك من أزمة إلى أزمة حتى قضى سنوات وهو يبحث عن انفراجة، إلى أن جاءت لحظة تكليفه بالرسالة بقدر الله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ

﴿نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ فالقدر في الآية واضح، فموسى عليه السلام كان أمامه اختيارات مختلفة تفاعل معها بشكل إيجابي.. فأدى ذلك إلى انتقاله من اختيار إلى آخر حتى وصل إلى قدر جديد كله خير له وهو تكليفه بالرسالة..

إنك عندما تسمع هذه الآيات تتحرك فيك طاقات هائلة للعمل لتغيير واقعك نحو الأفضل..

كيف تحول الإيمان بالقدر والرضا به من كونه دافعًا إلى العمل في كل الظروف، أسوئها وأحسنها، خيرها وشرها.. إلى وسيلة للتسكين والتخدير.. وسيلة للقبول بالواقع كيفما كان.. مهما كان سيئًا وبعيدًا عما يرضي الله..؟! يجب أن نمحو هذا الفهم الخطأ لنعود للمعنى الصحيح الذي يُرضي رب العالمين.هكذا يكون القدر مشروب طاقة إيجابيًّا وليس مخدرًا.

وقد يسأل سائل: أليس معنى أن تؤمن بالقدر خيره وشره أنك مجبر عليه؟! لا.. فالخير والشر في موقفك منه.. في تعاملك معه.. هل ستسلم لهذا الاختيار أم ستتحرك إلى اتجاه آخر.. كن إيجابيًّا. فالله لم يجبرك على طريق واحد ضيق وإنما فتح لك طرقًا متعددة.

محمد الفاتح.. القدر وفتح القسطنطينية:

يروى أنه في الأيام الأولى لتولي محمد الفاتح (رحمه الله) الخلافة بعد موت أبيه.. ثارت المشكلات في وجهه، وكان صغير السن، لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، وظن الناس أنهم يستطيعون التلاعب به. فبدأ الولاة في إثارة المشكلات رغبة في الاستقلال، فكانوا يناورونه ليروا قدرة الخليفة الجديد على القبض على زمام الأمور. كما بدأ جيران الدولة وأعداؤها في الخارج يثيرون القلاقل ليروا إن كان الوقت قد حان ليقتطعوا بعض الأجزاء من الدولة العثمانية ويضموها إلى دولهم أم لا.

كما ظهرت بعض المشكلات التي أثارها ضعاف النفوس ممن يرغبون في الحصول على عطايا ومنح السلطان.

و كان السلطان يناقش هذه المشكلات مع وزيره باستمرار.وفي إحدى جلسات النقاش الحامية اقترح الوزير على السلطان أن تُرتب هذه المشكلات حسب أولويتها كي يشرع السلطان في معالجتها واحدة تلو الأخرى.

وهنا قال السلطان كلمة شديدة القوة والعجب...

قال: وهل سأقضي عمري كله في حل المشكلات؟! أعطوني خرائط القسطنطينية، الحصن الذي قهر كثيرًا من الملوك والسلاطين. وبدأ بالفعل في تجهيز الدولة لهذا الهدف البعيد، وتحقق الحلم، وتبخرت مشكلاته الآنية أمام تيار عزمه وهدفه الكبير.

لقد وجد أن المشكلات أمامه لا تنتهي وستهلكه لا محالة لو حصر نفسه داخل دائرتها فبحث لنفسه عن مساق جديد في مساحة واسعة.. كُتب بها قدر جديد له ولبلده وغير تاريخ البشرية بذلك.

هذه الطرق والمساحات الواسعة في قدر الله يعبر عنها أهل الإيمان وعلم القلوب بكلمات مؤثرة وهي.. إن الله كلما أغلق بابًا فتح لك أبوابًا.

النبي ﷺ يصحح فكر من تحججوا بالقدر.

شهد النبي ﷺ رجلًا غلبه رجل آخر على ماله فسكت.. فقال المغلوب: حسبي الله. فغضب النبي ﷺ، ورأى ظاهر هذه الكلمة إيمانًا، وباطنها عجزًا، فقال: «**إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله**». أي عليك بالحكمة والفكر لاسترجاع حقك وعندها تقول: «حسبي الله» هكذا صحح له النبي ﷺ مفهومه الخاطئ عن القدر... فالرجل يريد أن يريح نفسه التي ستؤنبه على الهزيمة.. فبادر بإعطائها «جرعة تنويم قدرية».. هو يرى أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، غير أن رسول الله ﷺ وجهه إلى أن هذا السلوك إنما هو سلوك العاجزين لا سلوك الراضين

بقـدر الله.... والخلاصة أن القدر لا ينبغي أن يكون «شـماعة» يعلـق العاجزون عليها عجزهم.

وأخـرج مسـلم فـي صحيحه عن علـيٍّ: أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ طَرَقـه وَفَاطِمَـةَ بِنْتَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: **أَلا تُصَلِّيَانِ؟** فَقُلتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَـلَّ، فَإِذَا شَـاءَ أَنْ يَبْعَثَهَا بَعَثَهَـا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْـتُ ذَلِكَ وَلَمْ يُرْجِعْ إِلَيَّ شَـيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ **وَيَقُولُ: وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا**».

تعلل عليٌّ بالقدر وعجب رسول الله من تعلله بالقدر في الركون إلى الراحة... تعجب من فهمه للقدر على هذا النحو... كم ضاع منه من الخير بهذا الفهم!! غير أن عليًّا حين يقـص هذه الواقعة بنفسـه، فإن ذلك يدل دلالة قطعية على تركـه لهذا المفهوم؛ لأنه لا يتصور أن يظل على ما هو عليه بعد أن فهم من فحوى اسـتدلال الرسـول ﷺ بالآية أن مفهومه عن القدر ليس في محله.

ملاحظة: يسـتعمل العوام هذا المفهوم في قولهـم: «بركة جت منك يا جامع»...كم خسرنا من خيرات بسبب هذه الكلمة!!

قـصـــة:

كان «ريك فان» إنسـانًا يائسًا بجدارة، فهو عاطل بلا عمل.. وهو غير محبوب وليس لديه أصدقاء. فقد كانت زوجته هي صديقته الوحيدة.

وكان ينفـق ماله على السـهر واللهو، يدخن ثلاث علب سـجائر في اليوم، ويشـرب الخمر، وانعكس ذلك على سلوكه وظهر إهماله على هيئته وصحته، فكان يبدو أكبر من عمره بسنوات كثيرة.

في ذلك الوقت رزق ريك بطفلة صغيرة جميلة سماها مادي، وبمجرد ولادتها غيرت هذه الطفلة حياته وقلبتها رأسًا على عقب، وجعلت لها هدفًا ومعنى.

لكن الأطباء اكتشــفوا بعد مرور شــهرين على ولادتها إصابتها بشــلل دماغي. كانت الصدمة أكبر من أن يحتملها الأبوان؛ فانهارا معًا، ولم يعد ريك اليائس الوحيد في منزله، فزوجته صارت في حال يرثى لها، ودخلا في دوامة من الحزن والإحباط لأسابيع.

لكــن فجأة اســتيقظ ريك من غيبوبة الألم، إذ شــعر بحاجة ابنته إليــه. كبرت البنت وكبر أمل ريك وزوجته في أن يمنحاها ســعادة تعوض حرمانها من الصحة التي يتمتع بهــا معظم الأطفال، لاحظ ريــك أن ابنته كلما حملها على كتفه وخرج بها إلى الشــارع ابتسمت وتوقفت عن البكاء؛ فأصبح يحملها على كتفه يوميًّا حتى يكافئ نفسه بابتسامة يقطفها من وجه ابنته.

أمســى ريك يســير بها طويلًا في الشــارع.. ساعات وســاعات دون أن يشعر بتعب أو ضجر. كانت ســعادتها التي تطفو على ملامحها البريئة بمثابة قارورات المياه التي يوزعها المتطوعون على المتسابقين المرهقين.

وذات يوم اســتوقفه جاره وهو يحمــل ابنته.. وقال له: أنت تحمل «مادي» ســاعات طويلة على كتفك دون تعب أو ملل، فلماذا لا تشارك في سباق الماراثون بالمدينة وأنت تحملها؟

نقــل ريك اقتراح جاره إلى زوجته التــي فرحت بالفكرة، وبدأ ريك يتدرب على حمل طفلته لكن بســرعات أكبر، حتى يســتطيع المنافســة في الماراثــون. ولم تمض أربعة أشهر من تدرب ريك على الجري حاملًا ابنته حتى فتح باب التسجيل في ماراثون لندن.

شــارك ريك في السباق.. ســجل رقمًا متواضعًا، لكن حضوره خطف الأنظار من كل الأبطال. رافقته طوال السباق عدسات المصورين والقنوات التلفزيونية. رصدت خطواته وابتسامة ابنته لساعات.. راقبت إصراره وبسالته بزهو.

في اليوم التالي تصدر ريك عناوين الصحف، وكان ضيفًا على العديد من المحطات التلفزيونية.

تحول ريك من إنسان تعيس محبط إلى إنسان عظيم تزهو به أسرته الصغيرة ووطنه.

هذا الاهتمام الكبير الذي حظي به ريك جعله يشارك في سباقات الثلاثي «ترياثلون»، وهو أشبه بالماراثون، يبدأ بالسباحة ثم ركوب الدراجات، وينتهي بالجري. ورافقت «مادي» والدها في هذا السباق الثلاثي، تارة على كتفه وأخرى على ظهره.

كان مشهد ريك مؤثرًا وهو يحقق مركزًا متقدمًا ويفوز على مئات المتسابقين وهو يحمل ابنته ذات الثلاثة عشر عامًا وهم لا يحملون شيئًا.

يعتبر ريك ابنته قلبه، وهي تعتبره قدميها، فشكلا ثنائيًّا ملهمًا لا ينساه التاريخ. استطاع ريك أن يحول مأساته إلى قصة نجاح، أطلقت الصحافة البريطانية عليه لقب «أب القرن» إثر ما قدمه لابنته ومجتمعه، لكنه رفض اللقب مرجعًا الفضل فيما حققه لابتسامة ابنته التي يصفها بأنها «الأجمل في العالم»! هكذا تتحول مصائب القدر إلى انتصارات.. أمامك اختيارات ومساحات ومسافات وأنت صاحب القرار.

إما أن تستسلم وتشكو القدر، وإما أن تدفع القدر بقدر جديد..

عليك أن تؤمن بفكرة مدافعة القدر بالقدر.. عليك أن تعيش بها.. تراها في كل مواقف حياتك «خيرها وشرها» فهذا هو الإيمان بالقدر وبذلك يكون القدر محركًا للطاقات لأنه يدفعك للانتقال إلى مساق جديد أفضل من المساق الذي أنت فيه الآن. فتجد نفسك بهذا تحقق قدر الله في الخير لك ولمن حولك.

قد تقول لي: إن هناك نوعًا آخر من القدر لا يملك الإنسان فيه أي اختيارات ولا يمكن تغييره.. فهناك مصائب تحدث للإنسان لا يملك أن يغيرها مثل موت الأحباب أو مرض لا شفاء منه أو فقد المال.. هل يوجد في هذه الحالة أمامك إلا الاستسلام لقضاء الله وقدره؟..لا... حتى في هذه الحالة لا تستسلم؛ لأن قدر الله واسع.. تعرف مثل ماذا؟ مثل طائرة أقلعت من مكان إلى مكان، ولا يمكن تغيير اتجاهها، لكنها قد تحلق على ارتفاع منخفض 12000 قدم، فتكون بطيئة وتتعرض لمطبات هوائية عنيفة.. وقد تحلق على ارتفاع كبير 37000 قدم، فتصل بسرعة وبدون صدمات عنيفة.. وبين 12000 قدم و37000 قدم مسافات واسعة، إنها في النهاية ذاهبة في نفس الاتجاه لكن بنتائج

أســرع وأفضل. فإذا كان القدر قد كتب عليك شــيئًا تراه أنت قاســيًا فلا تستسلم، ولكن حلــق عاليًــا، فأنت لن تغيــر القدر في هذه الحالــة، لكن الله برحمته ترك لك مســافات واسعة داخل قدره لتحلق فيها كيف تشاء.

فعنــد موت إنســان حبيب يعز عليــك ويحزنك فراقــه، أنت تملك اختيــار أن تكتئب مستسلمًا للقدر، أو اختيار أن تتحول إلى عملاق ناشط فاعل يبذل الجهد والعمل لجمع المال لمســاعدة أســرته وأولاده وللتصدق عنه لإرسال حسنات لهذا الذي توفي.. فتحلق عاليًــا داخــل القدر.. وعند فقد المال إما أن تبكي عمرك علــى ما ضاع منك لأنه من قدر اللــه، وإمــا أن تحلق عاليًا وتبدأ من جديد بعمل وجهد لتعويض ما فاتك.. فماذا تختار؟ أن تحلــق منخفضًا أم تحلق عاليًا؟ إنها مســافات مختلفة وكلها من قدر الله، وعليك أن تختار بينها بنفسك وبكامل حريتك أيها الخليفة.

الأمر سيذهب إلى نفس المكان المقدر له شئت أم أبيت.. لكن هناك مساحات واسعة داخل نفس القدر، لن تغيره لكن وسع المساحات.. إنها مساحات واسعة داخل قدر الله يمكنك التحرك والاختيار بينها.

القضاء والقدر فكرة فعالة لإنجاح الإنسان في الحياة.

فــإن قلت: وأين الرضا بالقدر؟ أليــس الرضا بحالي وأنا فقير دليل إيمان؟؟ كيف لا أرضى بما قسمه الله لي وفقري من قدر الله؟

نقول لك: وغناك لو اغتنيت من قدر الله.. المرض من قدر الله وكذلك العلاج من قدر اللــه، فالذي قدر المرض قدر العلاج **لماذا لا تدفع قدر الله بقدر الله؟** ولماذا لا تفر من قدر الله إلى قدر الله؟

ســأل رجل النبي ﷺ عن أدوية يتداوون بها؛ هل ترد من قدر الله شــيئًا؟ فقال ﷺ: **«هي من قدر الله»**.

رجع عمر بن الخطاب وأصحابه من الشام ولم يكمل رحلته هناك خشية الوباء الذي انتشـر بها فقيل له: أفرارًا من قدر الله يا أمير المؤمنين؟! قال: «**نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله**».

ودفـع قـدر الله بقـدر الله لا يتم إلا بالحركـة والعمل، وهذا هو معنـى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.. وبذلك يكون الإيمان بالقدر هو العمل أصلًا.. وبذلك يكون العمل هو جوهر إيمانك بالقدر.. هيا دافع قدر الله بقدر الله.. أنت مخير.. أنت حر.. ما عليك إلا العمل ثم العمل ثم العمل..اكسر دائرة الفقر.. اكسر دائرة البطالة.. امحُ فكرة الاستسـلام للقدر.. لا تقـل هي من قدر الله.. فأمامك أن تتحرك من هـذا القدر إلـى قدر آخر.. أنت قادر على الانتقال من قدر تراه شـرًّا إلى قدر كله خير.. بيدك، بعملك، بإصرارك.

صحح فهمك الخاطئ عن القدر بهذا الحديث:

يقول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير**» رواه مسلم.

لاحـــظ:

المؤمن القوي

المعنى المعتاد:

«البدن، المال، العلم... إلخ»

المعنى الجديد:

المؤمن القوي

«الذي يجيد التحرك في مساحات القدر»

هذا الفهم للقدر لا يستطيع ملحد أن يقاومه أو يرفضه لو كان منصفًا عاقلًا.

وإذا كان الحال كذلك فما معنى الرضا إذن؟

الرضا معنى إيماني أساسي ومهم «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا».

لكن كيف تجمع بين الرضا والتحرك لقدر جديد؟ ليس هناك تعارض فالرضا أن تتحرك للجديد وأنت غير ساخط على الحالي.

مثال: أنت تريد شقة جديدة واسعة لأن شقتك ضيقة.. إنك سوف تجتهد وفي نفس الوقت لست ساخطًا على حالك. راضٍ بالحالي وطامح للمستقبل.

الرضا يعطيك هدوءًا نفسيًّا وقدرة على اتخاذ القرار لتنجح في طموحك. الدعاء طموح لقدر جديد.. والرضا عن قدرك الحالي.. توازن نفسيًّا لتحقق حلمك.. اجمع بين الاثنين.

نريد تحرير مفاهيمنا من التخدير.. القدر مشروب طاقة دافع للعمل وليس مخدرًا.

هذه فكرة ونحن في حاجة إلى المزيد والكثير من الأفكار الفعالة، ولا أدعي أن هذا كلام نهائي بل هي محاولات ونحتاج فتح حوار حولها. نحتاج تشاركًا فعالًا لتجديد مفاهيم كثيرة، تشاركًا بين الشباب وجيل الخبرة مع علماء الدين.

الدين جزء من الحياة وليس ضد الحياة

مــا زلنا مع المفاهيم الســلبية التي فهمــت بطريقة غير صحيحــة وينبغي علينا أن نصحهــا وأن نجدد رؤيتنا لهــا لنعيد الفاعلية «المادة الفعالة» لــدور ديننا في الحياة المعاصرة.

وفي هذا الصدد سؤال يطرح نفسه:

هل الدين جزء من الحياة أم هو ضدها؟ هل الدين يصادم حياتنا المعاصرة؟

كثيــر من الناس يرى الدين يصادم حياتنا المعاصــرة ويقول: لا بد أن أختار إما أن أكون متدينًا وأنغلق، أو أنطلق وأعيش بانفتاح وبالتالي لن أكون متدينًا بحق، فالبعض يــرى أن الكثير من تفاصيل الحياة المعاصرة أصبحت محرمة (الموســيقى – الحب – التعامل مع المرأة – الفن – الترفيه بكل أنواعه – الضحك – المرح).

ولكن، هل الدين ضد الســعادة؟ هل الدين ضد الاســتمتاع بالحيــاة؟ مؤكد أن الدين ليــس ضد الســعادة ولا الاســتمتاع بالحياة ومــن غير المعقول أن يكــون هناك تصادم بينهما فالدين جزء من الحياة.

إننــا إذا أردنا أن نحافظ على إيمان الأجيال القادمة قبل أن يفقدوا إيمانهم فلا بد لنا أن نعيش بفكرة أن الدين جزء من الحياة وليس ضدها.

مثلًا: ما معنى أن الشعب المصري شعب متدين؟

معنى ذلك أن الشــعب المصــري يحب أن يكون الدين جزءًا من حياته لكن الشــعب المصري لا يريد أن يكون الدين ضد حياته.

فكرة أن الدين ضد الحياة هي بداية التشــدد.. خطورتها أنها تفقد الإسلام فاعليته.. ولو تأملنا هذه الفكرة المغلوطة لوجدناها على النقيض تمامًا من روح الإســلام البعيدة

عن التشــدد المحبة للحياة، نعم الإســلام محب للحياة والأدلة على ذلك لا تحصى؛ **لذلك هناك أربع قواعد وضعها الدين ليبقى فعالًا في الحياة:**

1) الإسلام دين شعبي:

هــذا الدين لــكل الناس وليس لمجموعة أو تيار ديني معين.. فالمرأة البســيطة التي لا تعرف إلا القليل من معلومات الدين لكنها تحب الله وتقيم الفرائض هي متدينة وليس فقط المتعمق أو الحافظ للقرآن..

تأمــل حديث النبي: «**إذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالســواد الأعظم ومن شــذ شــذ في النار**» إذن فهناك حلول فيها اتفاق جماهيري وهناك حلول فيها اختلاف شــديد.. وأنت إذا تبنيت الحلول الخلافية فأنت الذي ستفشــل؛ لأن هذه الحلول الخلافية ستقضي على نفسها لأن الإسلام دين شعبي لكل الناس. «**لا تتفق أمتي على ضلالة**».

عندما يأتي تيار متشــدد مثل: داعش ويقوم بعمل كيان مستقل عن الأمة ويدعي أنه هو الذي يمثل الإسلام فإنه لا بد أن يعلم أن مصيره الفشل؛ لأن كل من عمل كيانًا موازيًا للإســلام فلابد أن يفشــل لأنه يصطدم بذات الإســلام.. كما لو وقفت أمام مرآة وتخيلت أن الذي بداخل المرآة هو أنت بشــحمك ولحمك، وهذا خطأ كبير.. كذلك كل من يريد أن يختزل الإســلام في فكره وحده ويرى أنه هو فقط من يمثل الإســلام. إن عظمة الإسلام تكمن في أنه شعبي للناس جميعًا.

الإســلام مثل نهر جار بين شــطين، واســع يحمل داخله آراء متعددة ووجهات نظر كثيرة وليس عبارة عن خط محدود ضيق.. عظمة الإســلام أنه يســري سريان الماء في الورد... ومن يصور للناس أنه معقد وضد الحياة فهو بعيد عن الدين أصلًا وينفر الناس منه، أما الدين في حقيقته فليس ضد الحياة.

تأمل كيف غير الشــافعي الفقه بين مصر والعراق فــي قضية الحلف بالطلاق نظرًا لتغير الملابســات والظروف، وكذلك تعطيل عمر حد السرقة فى عام المجاعة لأنه يؤمن أن الدين ليس ضد الحياة.

2 - احـتـــرام العـــرف:

مـا هو معنى العرف؟ العرف هو عـادات الناس التي اعتادوا عليها في أمور حياتهم مثل الفرح والمأتم والسحور... إلخ. كل هذا يسمى عرفًا.

والإســلام قــدر العرف جدًّا لدرجة أن جاءت الآية بالأمــر بالأخذ به.. ليس فقط قبول العــرف. بل الأمر بــه.. ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ يأمر به حتى لا يصــادم حياة الناس.. ما هو عرف الناس في الأفراح؟ في الموت؟ الإســلام يعترف به ما لم يأمر بحرام.. مثل أعراف المصريين في رمضان من الأكل والسحور والمسحراتي.. لا تقل لي إنه حرام لأن النبي لم يفعله، فهذا عرف لا يتعارض مع الدين.. بل إن الدين يأمر به.

إن هدف تقدير الإسلام للعرف أن العرف يستريح إليه جميع الناس في المجتمع وله علاقة بمقصد كبير من مقاصد الشريعة وهو مقصد التيسير، إن احترام الإسلام للعرف دليــل على الارتباط الوثيق بين الدين والحيــاة، فكلما اقترب الحكم من العرف كان ذلك أكثر إراحة لنفوس الناس ما لم يكن هناك نص واضح بالتحريم.

بل إن الإســلام بنى كثيرًا من الأحكام على مقتضى العرف، ومن العرف جاءت كلمة المعروف.. أي المتعارف عليه.

دليل مراعاة العرف: عن عائشة: أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شــحيح وليس يعطينــي ما يكفيني وولدي فهل آخذ من مالــه وهو لا يعلم؟ فقال النبــي ﷺ: «**خذي ما يكفيك وولــدك بالمعروف**» البخاري. أي خــذي بما تعارف عليه المجتمع أي بقيمة النفقة المماثلة، فالنفقة ليست مقدرة شرعًا بل المرجع في ذلك إلى العرف.

ويقــول تعالــى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فحقوق المــرأة وواجباتها واحدة حسب كل عرف في كل زمان ومكان. الغرب جعل المرأة عند الطلاق لها نصف التركة.. فماذا أعطاها الإسلام؟ قد يكون أكثر حسب العرف.

دليل ابن مسعود حين يقول: ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيئ.

ابن القيم: تتغير الفتوى بحسب الأمكنة والأزمنة والأحوال وذلك يحكمه العرف.. كشف رأس الرجل في الصلاة وغيره يقبل أو ينكر شرعًا وفق العرف.

الشاطبي في الموافقات: إذا شهد الشاهد في المشرق وهو كاشف رأسه بطلت شهادته؛ لأنها عرف المجتمع في المروءة. لكن إذا شهد الشاهد في المغرب وهو كاشف رأسه لم تبطل شهادته لأنها ليست من عُرف المجتمع في المغرب.

لكن ليس كل عرف يجب العمل به بل وضع العلماء لذلك شروطًا منها: ألا يكون في العرف تعطيل لنص ثابت أو لأصل قطعي في الشريعة.

إذا بُني حكم على عرف ثم تغير هذا العرف فإن الحكم يتغير تبعًا لتغيره إلى ما يناسب العرف الجديد، وهذا يعني أن للعرف تصرفًا في النص بشرط عدم مخالفة العرف لنص قطعي.

كل هذا حتى يكون الدين جزءًا من الحياة.. فلماذا صعبنا الدين على الناس؟ لماذا جعلناه ضد الحياة؟!

مثال آخر لمراعاة العرف: الملبس.. البس مثل أهل بلدك.. لماذا تتميز في لبسك عنهم؟!

عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ**». لماذا تخالفنا؟ لتكن مثلنا وتلبس مثلنا.. ادخل في السواد الأعظم.. أتريد الشهرة وتدعي أنك هكذا تقلد النبي ﷺ؟!

وقال أبو الوليد الباجي: «كَرِهَ النبيُّ ﷺ لباسَ غير المعتاد في أهل البلد، وما يَشْتَهِرُ بِه لابِسُهُ مِن دُونِ الملبس». لماذا كان أبو الوليد الباجي هو القائل لهذا الكلام؟ لأنه

أندلسي.. كان يريد مسلمًا أندلسيًّا والأندلس لها أزياء خاصة.. فلما جاء العرب تمسكوا بزيهم فقال لهم ذلك.

وكان النبي ﷺ يلبس العمامة، ويمسك بالعصا وغير ذلك من الأمور التي كان الناس يلبسونها ويستخدمونها في ذلك الوقت من أمور العادة، فالعمائم مثلًا قد اختلفت الأعراف فيها وتغيَّرت الأمور في لبسها، فلبسها جائز ما لم يخالف عادة بلد لابسها، فإن خالف العادة صار لباس شهرة، فلو لبس العمامة رجل يعيش في قوم لا يلبسونها لصار شهرة يشار إليه بالأصابع ولم يكن في لبسه إياها مراعيًا السنة.

- لكن إذا كان هناك عرف سيئ خاطئ.. فإن طريقة الإسلام في تغييره لا تصادم المجتمع أو يكون ضد الحياة.. طريقة الإسلام أن يجعل العرف الجديد ينتشر دون إجبار، لكن بالحب والسماحة حتى يسري سريان الماء في الورد ويتحول إلى عرف جديد محمود.

وذلك بإطلاق أعراف جديدة في التعامل بدون تشريعات لتكون أعرافًا معمولًا بها. فيتغير العرف القديم السيئ إلى عرف جديد سليم بدون تشريعات أو عقوبات تصادم العرف القديم.

مثال: لم يكن عرف العرب قبل الإسلام يقدر أو يحترم رأي المرأة في القضايا الاجتماعية أو السياسية فأراد النبي ﷺ تغيير ذلك العُرف ليس بأمر صارم ولكن بنشر عرف جديد.. فلما كان فتح مكة أجارت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رجلين من مشركي قريش.. ولم يتوقع أحد أن يقبل النبي شفاعتها فيهما.. فإذا بالنبي يعلن «**قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ**» وبذلك غير النبي العُرف القديم إلى عُرف جديد يمتدح رأي المرأة ويحترمها ويقدرها.

كل هذا يجعل الدين جزءًا من الحياة.. الإسلام احترم العرف ليبقى فعالًا في كل زمان ومكان.

والذين يجعلون الإسلام ضد الحياة بدعوى التدين هم في الحقيقة يفقدون الإسلام فاعليته.

3 - عدم اتساع مفهوم البدعة:

دعونا أولًا نفهم معنى الحديث «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» إن الحديث صحيح ولكن ما هو الفهم الصحيح للبدعة؟

من أشد المفاهيم التي جعلت الناس تظن أن الدين ضد الحياة هو اتساع مفهوم البدع.. حتى صار كل شيء جديد في سلوك المسلمين وعاداتهم من البدع والضلالات، وذلك لأنهم ظنوا أن كل ما لم يفعله النبي ﷺ بدعة وضلالة لا يجوز فعلها. فتراهم إذا رأوا من يرفع يديه بعد الصلاة ليدعو الله ينهرونه ويقولون له إنها بدعة لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك، ومن يمد يده لمصافحتهم بعد الصلاة يخبرونه بأن ذلك بدعة لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك.. إلخ.

وقد ثبت أن النبي ﷺ ترك الخطبة بجوار جذع شجرة وخطب على المنبر، ولم يفهم الصحابة من ذلك أن الخطابة على المنبر بدعة أو حرام، فقاموا بصنع منبر له ﷺ، وما كان لهم أن يقدموا على فعل شيء حرمه النبي ﷺ، فعُلم أنهم كانوا لا يرون الترك بدعة.

وقد ترك النبي ﷺ رجلًا في الصلاة قام بالدعاء بعد رفع الرأس من الركوع: « قال رفاعة بن رافع: كنا يومًا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة وقال: «**سمع الله لمن حمده**». قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «**من المتكلم**». قال: أنا. قال «**رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها، أيهم يكتبها أولًا**»، ولم يفهم الصحابي أن مجرد الدعاء في الصلاة يوجب الحظر، وإلا كيف يقدم على شيء وهو يعتقد حرمته، ولم يعاتبه النبي ﷺ على المسلك، فلم يقل له مثلًا: «أحسنت ولا تعد» أو نهاه عن إنشاء أدعية أخرى في الصلاة.

ولـم يفهم سـيدنا بـلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ترك النبـي ﷺ لصلاة ركعتين بعـد الوضوء عدم جواز ذلك، بل إنه قام بفعل بذلك، ولم يخبر النبي ﷺ، وإنما لما سأله النبي ﷺ قائلًا: **«يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنـة»**. قال: ما عملت عملًا أرجى عندي، أنى لم أتطهر طهورًا في سـاعة ليل أو نهار إلا صليـت بذلـك الطهـور ما كتب لـي أن أصلى». قال أبـو عبد اللـه: دف نعليك يعني تحريك»(أخرجه البخاري).

ثم إن النبي جعل ثوابًا لمن يقدم شيئًا جديدًا غير مسبوق في الخير والإصلاح فقال النبي ﷺ: **«مَن سنّ سُنّة حسَنة كان له أَجرُها وأَجرُ مَن عَمِلَ بها»**.

عمر وصلاة التراويح.. نعمت البدعة هذه:

ومثل هذا قـول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعمتِ البِدْعةُ هذه، حين جمع الناس على صلاة التراويح وسَـماها بدعـة ومدَحَها؛ مع أن النبـي ﷺ، لـم يَسُـنَّها لهم، وإنمـا صلاَّها لَـيالِـيَ ثم تركها ولـم يحافظ علـيها ولا جمع الناس لها، ولا كانت فـي زمن أَبـي بكر؛ وإنما عمر هو الذي جمع الناسَ علـيها وندَبهم إلـيها، فبهذا سماها بدعة، وعلـى هذا التأْويل يُفهم معنى الـحديث: «كلُّ مُـحْدَثةٍ بدعة».. أنه يقصد ما خالَف أُصولَ الشريعة.

علي وتشكيل المصحف.. بل جمع القرآن في مصحف لم يفعله النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة والتابعون ومَن بعدهم أصحاب عقليات فارقة بين البدعة المذمومة وبين الإبداع للخير والإصلاح فأبدعوا علومًا كثيرة لم تكن على عهد النبي ﷺ مثل:

«عِلْـمِ الْعَقِيدَةِ»، أو «عِلْمِ الْكَلَامِ»، أو «عِلْمِ التَّوْحِيدِ»، أو «أُصُولِ الدِّينِ»، وهكذا تتعدد أسماؤه لشرفـه وعلوه.

وأنشئوا «عِلْمَ الْفِقْه»، ثم بعد ذلك أنشئوا «الْكَامِن» في علم الفقه.

وأنشئوا «أُصُول الْفِقْه»، وأنشئوا أيضًا «عِلْمَ الْأَخْلَاقِ» الذي سُمِّيَ بـ«التَّصَوُّفِ».

كذلـك الجرح والتعديل، ومصطلـح الحديث، والرواية، والدرايـة... كل ذلك كان في القرون الأربعة الأولى.

وأكـد النووي علـى هذا المعنى؛ حيث قـال: «وليس كل ما لم يكن في زمنه يسـمى بدعة، لكن منها: ما يكون حسنًا، ومنها: ما يكون بخلاف ذلك».

فـإن كان ترك النبـي ﷺ وكذلك الصحابة رضـوان الله عليهم لا يـدل على البدعة، فكيف نظر علماء المسلمين للبدعة؟

البدعة ببسـاطة هي: مـا خالف أُصول الشـريعة أو خالف أمرًا قطعيًّـا في دين الله مثل أن تصلي الظهر خمسًا من باب الزيادة للثواب مثلًا، فهذا مخالف لأصول الشريعة أو أن تصلي صلاة الجمعة يوم الثلاثاء فهذا مخالف لأمر قطعي في الدين، وهكذا نضع مفهوم البدعة في حجمه الطبيعي فلا تصادم الحياة.

وحديـث: «**كلُ مُحْدثـةٍ بدعة**»، إنما يريد ما خالف أُصول الشـريعة، والقواعد الكلية للدين.. إن عدم التوسع في البدعة يجعل الإسلام جزءًا من الحياة وليس ضد الحياة.

وبيـن مفهـوم «خذ العفو وأمر بالعرف» ومفهوم البدعة أمـور مثل: أعياد الميلاد – عيد الأم – الأفراح – الجنائز – الأعياد – الزاوج... إلخ.

4 - إلغاء تسلط أحد على الناس باسم الدين:

حينمـا نزل القرآن مخاطبًا النبي ﷺ بين له دوره في أنه مذكر ومنذر لقومه وليس مجبرًا أحدًا على شيء؛ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

قصــة رجليــن من بني إســرائيل: عــن أبي هريــرة أن النبي ﷺ قــال: «**كان رجلان فــي بني إســرائيل متواخيين** (يعني في الله) **وكان أحدهمــا مذنبًا والآخر مجتهدًا في العبــادة، وكان لا يــزال المجتهد يرى الآخــر على الذنب فيقول أقصــر** (يعني: لا داعي للذنب، توقف عنه)، **فوجده يومًا على الذنب، فقال له: أقصر فقال: خلني وربي أبُعثت عليّ رقيبًا؟ قال** (يعني أخوه الطائع هذا): **والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبــض روحهما فاجتمعا عنــد رب العالمين، فقال لهذا المجتهــد: أكنت بي عالمًا أو كنــت على ما في يدي قادرًا؟ فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**».

وتشــبه هذه القصة ما حدَّث به رســول الله ﷺ في صحيح الإمام مســلم: «**أَنَّ رَجُلًا قَــالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِــرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّــذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**».

أنقذوا الإسلام من التشدد.. كي يسري سريان الماء في الورد.. أربعة مفاهيم وضعها الإسلام ليكون جزءًا من الحياة وليس ضد الحياة هي:

1 - الإسلام دين شعبي.

2 - احترام العرف.

3 - عدم اتساع مفهوم البدعة.

4 - إلغاء تسلط أحد على الناس باسم الدين.

تعالــوا نتحاور حول هــذه المعاني لنحافظ على ديننا كجزء مــن الحياة وليس ضد الحياة.

العقلية الفارقة

لا يمكـن أن يحـدث تجديد فـي نظرتنا لدور الديـن في الحياة إلا إذا امتلك شـبابنا العقليـة الفارقـة، ونعني بالعقلية الفارقـة... تلك العقلية التي تعـرف كيف تفرق بين الأشياء المتداخلة حتى لو كان الفاصل بينها خيطًا رفيعًا.

إن لدينا موضوعات كثيرة متداخلة ومختلطة تجعلنا نفهم الدين خطأ وبالتالي تؤثر في حكمنا على الأمور، وبالتالي يحدث التطرف والتشدد.

العقل المسـلم قديمًا لم يكن يعاني من هذه الإشكالية (إشكالية خلط الأشياء) وذلك لوجود العلماء الكبار مثل: الشـافعي والغزالي الذين تميزوا بما يسمى بالعقلية الفارقة التي توضح للناس الفروق بين الأشياء فلا يحدث التطرف أو العنف أو التخلف.

كانت عقليتهم فارقة قادرة على تمييز الأشـياء بعضها من بعض حتى لو كان بينها خط دقيق.. أما نحن فلسنا كذلك. وإذا كنا نريد أن نحمي الشباب من التطرف والتشدد والعنف فنحن في أشد الحاجة إلى عقلية فارقة.

نحتاج عقلية فارقة بين موضوعات كثيرة:

- تفرق بين الفن الجميل والفن القبيح.. وليس كل الفن حرامًا.
- تفرق بين الثوابت والمتغيرات.
- تفرق بين الجمال والقبح.
- تفرق بين القرآن وتفسير القرآن. وتوضح أن القدسية أساسًا للنص القرآني.

نمـوذج العقلية الفارقة هو عمر بن الخطاب.. سـماه النبي ﷺ الفاروق: «**يفرق بك الله بين الحق والباطل**». أي أنه يمتلك عقلية فارقة.

لكن هناك ثلاث قضايا دينية أساسية وضرورية تحتاج بشدة إلى عقلية فارقة وإلا حدث تطرف وتشدد وجمود وتخلف.

1) العقلية الفارقة بين الدين والتدين:

نحن نخلط الاثنين وهناك فرق كبير بينهما.

فالدين علم.. والتدين عمل. وهذا غير هذا تمامًا.. فعندما يظن كل متدين أنه عالم في الدين تكون كارثة.

الدين خاص مطالب به متخصصون ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أما التدين فعام مطالب به كل الناس، فلو ظن كل متدين أنه يستحق منزلة ووضعًا سياسيًّا معينًا أو منصبًا أو مكانة لمجرد أنه متدين تكون كارثة.

أمثلة: عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**». رغم أنه كان من أعلاهم تدينًا.

لذلك كان العز بن عبدالسلام يرى ألاَّ يلبس العلماء زيًّا خاصًّا بل يلبسوا مثل بقية عباد الله، في إحدى المرات كان في الحج ورأى رجلًا يقوم بنسك بصورة غير صحيحة فكلمه في ذلك، فقال له الرجل: وماذا تعرف أنت لتتكلم؟ وما دخلك؟ فذهب وارتدى زي العلماء وأعاد عليه الكلام.. فقال الرجل: «حاضر يا سيدي».. فالزي للعلم وليس لمنزلة دينية أعلى.

إذا أراد أن يسأل فهذا عالم دين.. مثله مثل معطف الطبيب وليس معنى ارتداء الطبيب المعطف أنه أقرب إلى الله منك، كذلك نفس الشيء مع الزي الديني.

الخلط بين الدين والتدين كارثة.. لأنه يجعل أي شخص متدين مفتيًا ويرشح للمناصب وتختاره الناس لأنه متدين.. خطأ.. امتلك عقلية فارقة.. ما هي إمكانياته؟

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾، ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ليس متدينًا فقط ولكن لديه خبرة وكفاءة.

تخيل أن قائد الطائرة توفي أثناء الطيران فهل يعقل أن تسأل المضيفة الركاب: هل بينكم شخص متدين ليقود الطائرة!!

وكذلك لو ظن عالم الدين أنه أقرب إلى الله من عموم المتدينين لكونه عالمًا لكانت مصيبة أيضًا.

مثال: عالم كبير.. مكتبته مليئة بالكتب سأله تلميذ.. قرأت كل هذه الكتب؟ نعم.. فهل وجدت قلبك وسط كل هذه الكتب؟ وجدت قلبي في ركعتين بين هذه الكتب.. كيف؟ وجدت قلبي في فلاح بسيط رأيته يصلي وسط زرعه من 40 سنة تأثرت به فأنا على هيئته منذ ذلك اليوم.

إن الخلط بين الدين والتدين أفسد علينا معايير الاختيار والتقييم.. نحتاج إلى هذه العقلية الفارقة بين الدين والتدين.

2) عقلية فارقة بين القضايا الكبيرة والمسائل الصغيرة:

الإسلام ليس درجة واحدة.. الإيمان ليس درجة واحدة.. ليس كله سواءً.. بل هناك أحجام وهناك أوزان.

«**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» فلا تخلط بين الأمور وتقلب الموازين.. قضية الإسلام هي الأخلاق «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». من الذي غير ترتيب الأولويات؟! العمل قضية جاءت في القرآن مائة وثمانين مرة، هذه قضية.. والجمال أيضًا قضية، كل آيات وصف الكون في القرآن هي آيات الجمال... الله جميل يحب الجمال.. إننا عندما نحول الجمال والعمل والأخلاق لمسائل غير مهمة ونحول الشكل لقضية تكون هنا مشكلة.

وعندمـا يعيش المجتمع شـهرًا كاملًا يتحـدث عن الجن والعفاريـت يكون مجتمعًا مغرقًـا في الجزئيـات.. إرضاع الكبيـر وحديث الذبابـة، هذه جزئية وليسـت قضية.. لا تحولها لقضية أو طريقة حياة.

لابد أن نراعي الأوزان النسـبية لموضوعات الدين.. الديـن فيه أركان.. فيه فرائض.. فيه سنن.. فيه نوافل، حتى الذنوب فيها كبائر وصغائر.

عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجدٍ، ثائرُ الرأس، نسـمع دويَّ صوتـه ولا نفقـه ما يقول -لكن عنـده عقلية فارقة- حتى دنا من رسـول اللـه ﷺ فإذا هو يسـأل عن الإسـلام، فقال رسـول الله ﷺ: **خمس صلـوات في اليوم والليلـة**، فقـال: هل عليَّ غيرُهن؟ قـال: **لا، إلا أن تطوّع. وصيام شـهر رمضان**، فقال: هـل عليَّ غيرُه؟ فقال: **لا، إلا أن تطوَّع**. وذكر له رسـول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل عليَّ غيرُهـا؟ قـال: **لا، إلا أن تطوَّع**. قال: فأدبر الرجل وهو يقـول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقُـص منه. فقال رسـول الله ﷺ: **أفلح إن صدق**. وفـي رواية أخرى: «**أفلح، وأبيه، إن صدق**. أو: **دخل الجنة وأبيه إن صدق**».

النبي ﷺ رتب الإسلام.. فرائض - نوافل - سنن.. ثم رتب الفرائض ومنها الأركان..

حتى الناس «هم درجات عن الله».

تأمل أيضًا كلمة «سيد الاستغفار».. حتى الاستغفار درجات.. يوجد استغفار ويوجد سيد الاسـتغفار.. المفروض أن دور علماء الدين هو توجيه تركيز الناس إلى القضايا.. هذا عبدالله بن عمر كان مادًّا رجليه وجالسًا عند الكعبة فجاءه رجل مهيب فضم رجليه.. ثم سـأله الرجل عن دم البعوضة هل يجوز قتلها وهو محرم.. فقال له: من أين الرجل؟ فقـال: من العراق.. فقال ابن عمر وقد مد رجليـه ثانية: انظروا إلى هؤلاء الذين يقتلون الحسين بن علي ثم يسألون عن دم البعوضة!!

إذن لا تأخذ مسألة وتحولها إلى قضية.. مثل الشكل الظاهري أو إطلاق اللحية.. وكذلك لا تفعل العكس وتحول قضية إلى مسألة. إن حركة المتدين تُضبط بوضعه الأمور في نصابها.

نحتاج بشدة لانتشار فكرة العقلية الفارقة إذا أردنا التجديد.. وهذا دور علماء الدين ودور الإعلام.. ودور الوعي المجتمعي.. لذلك لابد أن نبدأ حوارًا مع الشباب عن العقلية الفارقة.. لكن كلامي ليس نهائيًّا.. نحن فقط نبدأ الحوار.

3) عقلية فارقة في زمن «عصر» النبي وفي حياته ﷺ:

زمن النبي ﷺ أي العصر الذي عاش فيه النبي.. وحياة النبي هي الطريقة التي عاش بها ﷺ في أخلاقه وأفعاله.

زمن النبي «عصره» من أكل وشرب وسكن ولبس ونقود وأنظمة وعادات وتقاليد؛ تدخل المسجد وتجد حصى فتصلي في نعليك.. المحراب علامة جهة القبلة.. النقود عبارة عن دنانير مضروبة في روما ودراهم مضروبة في فارس. هذا هو عصر النبي ﷺ.

ثم تطورت الدنيا.. وتغير العصر.. وتحول الدينار والدرهم إلى ورق «بنك نوت» ثم «شيكات» ثم بطاقات ائتمانية «كريدت كارد».. ودخلنا المسجد المفروش بالسجاجيد فخلعنا النعال.. وزاد الناس في المحراب وجعلوه مجوفًا لكي يوزع الصوت حتى يصل لآخر المسجد بسبب التجويف.

عندما دخلت مكبرات الصوت «الميكروفونات» المساجد في أواخر القرن التاسع عشر بكى بعض المصلين وخرجوا من المسجد مسرعين لأنه بدعة مخالف لما فعله النبي ﷺ.. رأوه تبديلًا وتحريفًا!

عندما دخل الميكروفون مساجد مصر.. قامت ثورة في القاهرة.. خرج رجل من المسجد باكيًا يقول: أخرجتمونا من المساجد.. قاتلكم الله؛ لأنه لم يفهم الفرق بين زمن النبي وبين حياة النبي.

أما حياة النبي ﷺ فهي: «**خيركم خيركم لأهله**».

حياة النبي ﷺ: «**أفضل الناس إيمانًا أحسنهم أخلاقًا**».

حياة النبي ﷺ حين قيل له: أفلا تدعو على من آذوك يا رسول الله؟ فقال: «**إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة للعالمين.. إنما أنا رحمة مهداة**».

حياة النبي ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**».

حياة النبي ﷺ: منهج لجميع الناس على الخير.. رحمة للعالمين.

هل تريد أن تعيش عصر النبي أم حياة النبي؟؟ تحتاج عقلية فارقة بين الاثنين حتى لا ترتبك وتتطرف وتتشدد.

حياة النبي ﷺ كلها تطور.

إذا كنت تريد أن تعيش عصر النبي.. فأوقف إرادة الله في التغيير. أوقف معنى «**كل يوم هو في شأن**» أوقف معنى «**يقلب الليل والنهار**» أوقف التطور.

أنت تريد أن تعيش عصر النبي.. كأنك تقول إن الإسلام لا يصلح لكل زمان ومكان لأنك تريد إيقاف الإسلام عند عصر النبي ﷺ. إذن فأنت ضد الإسلام تضره ولا تفيده.

أنت تريد إحياء أمة.. لابد أن تمتلك عقلية فارقة تميز بين عصر النبي وحياة النبي.

بدون حياة النبي أوقف الزمن.. واضرب الدبابة بالخنجر.. وامنع رصف الطرق.. وارفض استخدام السيارة ولا تستخدم «الإنترنت» أبدًا؛ التصوير حرام، الموبايل حرام، الراديو حرام.

أشد الخطر هو أن يتحكم العصر في الحياة فيلغي الحياة.

كان عمر رضي الله عنه يعلم عندما سن صلاة التراويح أنها بدعة حسنة.. «نعمت البدعة هذه».. أخذ حياة النبي في منهج جمع الناس على الخير.

ثم إنه أقرض من بيت المال للمشروعات الصغيرة.. وأول من قامت بمشروع من هذه القروض هي امرأة.. هند بنت عتبة.

كان عمر يعي جيدًا الفرق بين عصر النبي وحياة النبي عندما حكم ووجد أن الدولة قد اتسعت رقعتها كثيرًا عن عصر النبي ولا يوجد نظام لإدارة دولة عظمى فدون الدواوين؟ والديوان كلمة فارسية معناها النظام.. أي أخذ النظام الإداري الفارسي كما هو وطبقه في الدولة الإسلامية.. كان عقلية فارقة.

تخيل حجم التجديد والإبداع الذي قام به عمر.. برغم أن الفاصل الزمني بينه وبين النبي ﷺ عشر سنوات فقط. لكنه كان يفهم الفرق بين عصر النبي وحياة النبي.

وهذا عثمان رضي الله عنه من بعده.. أقام أذانين للجمعة.. كذلك عندما دخل الصحابة فارس صلوا في لباس الفرس.

العقلية الفارقة كانت واضحة جدًّا عندهم.

تخيل لو أن النبي ﷺ يعيش بيننا الآن كيف كان سيعيش؟ هل كان ﷺ سيتغاضى عن المخترعات الحديثة والأمور المرتبطة بهذا الزمن وينفصل عنه؟! بالتأكيد لا، كان سيعيش هذا التطور ولكن يتخلى عن الرحمة والكرم والعبادة وتعلق القلب بالله عز وجل.

المهمة إذن.. لا بد من عودة العقلية الفارقة للمجتمع.. فهذه العقلية توصل المجتمع للتوازن العقلي والتفكير المستقيم... ليس في الدين فقط ولكن في كل نواحي الحياة.

الموضوع كبير ويحتاج إلى نضج ولن ينضج إلا بالحوار المستمر عن هذه العقلية الفارقة وكيفية إنتاجها.

إن عودة العقلية الفارقة حل أساسي لمواجهة التطرف والتشدد والجمود والتخلف.. وعودتها مرتبطة بجهد يبذله العلماء والإعلام والشباب.. ومظاهرها في الأشياء الثلاثة التي ذكرناها ونؤكد عليها ثانية:

1 - العقلية الفارقة بين الدين والتدين.

2 - عقلية فارقة بين القضايا الكبيرة والمسائل الصغيرة.

3 - عقلية فارقة بين زمن «عصر» النبي وبين حياة النبي ﷺ.

المطلوب: بعد فهمنا لفكرة العقلية الفارقة سنكون قد ركزنا على ثلاثة أشياء كبرى، لكن العقلية الفارقة ليست بهذه الثلاثة فقط.. العقلية الفارقة أسلوب حياة.. عمر سُمي الفاروق؛ لأنه كان يمتلك هذه العقلية في كل حياته. وحتى نصل لذلك نحتاج إلى حوار مفتوح طويل وأخذ ورد وتفاعل مع أمثلة ليزيد عمق الموضوع عن طريق هذه الأمثلة.. ثم التعارضات والعلاقات حتى تتكون شبكة متكاملة لينتج في النهاية برنامج حياة.

الهـــدايـــة

من المشــكلات التى تقتــل الإيمان بداخلنا مشــكلة فهمنا للمصطلحــات والمفاهيم الأساسية البديهية.. فقد صرنا نفهم المصطلحات بشكل محدود أو ضيق للغاية وأحيانًا بشــكل عكسي. وســوف نقدم تدريبًا عمليًّا على توســيع المفاهيم وتحريرها من الفهم الضيق المحدود.

لقد صار فهمنا للمفاهيم الإسلامية يشجع على الكسل والخمول والاستهتار بدلًا من الهمة والنشاط والعمل.

مثل ماذا؟؟

- الإحســان نقيده في مفهوم ضيق ونتجاهــل أن المقصود به هو الإتقان.. أن تتطور وتتقن عملك ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

- كذلــك مفهوم ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ فهمنا أن الابتغــاء يعني أنك تصلي وتدعو فقــط وتطمئــن تمامًــا أن الرزق مضمــون فلا تبذل جهــدًا... في حيــن أن المعنى الحقيقي أن الابتغاء في اللغة هو سعي وجهد.

- ومفهــوم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ فهمنــا أن المضطر لا يفعل شــيئًا ســوى الدعــاء، في حين أن المضطر المقصود هنا هو الــذي بذل كل جهده ولم تعد هناك خطوة واحدة لم يفعلها، فهنا تكون الإجابة.. لقد فرَّغنا مفاهيم الإسلام من حقيقتها فأفقدناها فاعليتها ثم لمنا الدين.

- لقــد حولنــا مفهوم المضطر من إنســان بــذل كل جهده ثم دعا فيســتجاب له، إلى إنسان مكتوف اليدين حزين سلبي يستجاب له دون فعل منه.

- حتى مفهوم «إن شاء الله» صار معناه اليأس، صارت المشيئة الربانية كلمة سلبية بلا فاعلية.

هناك عشـرات المفاهيم أفقدناها فاعليتها عندما فهمناهـا خطأ في حين أنها أصلًا دافعة للنجاح.

وأريد أن أسلط الضوء على مفهوم بديهي لكل مسلم، ألا وهو «الهداية».

والحقيقة أني اخترت هذا المفهوم الإيماني السهل للنفوس لأسهل عرض الموضوع؛ الهدايـة الآن ليـس لهـا دور في الحيـاة.. هي كلمة غيـر فعالة، إذا قال لـك أحد: «ربنا يهديك».. ترد عليه: هل تسـبني وتسـخر مني؟؟ لقد تحولت الهداية إلى كلمة تقال في مواقف أشبه بالسـب والاتهام، وفي أفضل الأحوال صارت ذات مفهوم سلبي كأن تقول «عندما يهدينا الله». وكأنك تقصد ألا تقوم بعمل أي شـيء والهداية ستأتي من عند الله لو شاء.

تعالوا نعش أولًا مع الهداية ونفهم معناها وقيمتها في الحياة.

سـورة الفاتحة أم الكتاب تدور حـول الهداية.. الطلب الوحيد فيهـا.... كل ما قبلها ثناء ومدح.. مركز الفاتحة هو «اهدنا» نرددها سبع عشرة مرة في اليوم في الصلاة عند قراءة الفاتحة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

القـرآن كـتـاب هداية.. والفاتحة اختصـار القـرآن: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾.

ولكننـا للأسـف قصرنا مفهوم الهداية على الصلاة والعبـادة والتعامل مع الله فقط في التدين أو عدم التدين، في حين أننا نحتاج للهداية في كل خطوة في حياتنا.. في كل قرارات الحياة، في الزواج، وفي العمل وفي المال وفي تربية الأولاد وأن يهدي الله أولادك لأصدقاء الخير.. اختيار الزوج أو الزوجة قرار يحتاج لهداية.. هل أعمل في هذه الشركة أم لا؟ هل أسافر أم لا؟.. انظر كيف بدأ مفهوم الهداية يتسع معنا!

لقد صارت الحياة معقدة للغاية.. تحتاج إلى من ينير لك الطرق.. تحتاج الهداية كل يوم فى قرار صعب في الحياة أو تكون الدنيا مغلقة تمامًا فتهتدي للمخرج من أزماتك. الهداية إذن مركز حياتك.

كثيرًا ما أخذنا قرارات غير صحيحة وندمنا عليها.. ولو كانت الهداية حاضرة لما ندمنا.

معنى الهداية: الهادي هو الذي يدلك على الطريق برفق.. العرب تسمي الدليل في الصحراء هاديًا لأنه يدل على الطريق برفق.. والرفق شرط، أي بدون عنف.

أبو بكر والنبي ﷺ:

عندما هاجر أبو بكر مع رسول الله ﷺ وكان صاحبه في الغار.. وجدا رجلًا في الصحراء.. وكان الرجل يعرف أبا بكر الصديق تمام المعرفة.. لأنه كان تاجرًا وعارفًا بمسالك وطرق الصحراء.. فسأل الرجل أبا بكر الصديق: من صاحبك هذا؟! (يقصد الرسول ﷺ) فقال أبو بكر الصديق بجواب جميل ورائع في منتهى الذكاء: «هو هادٍ يهديني الطريق»!!!!

فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير.

الهداية نظام كوني لكل الكائنات وليس للإنسان فقط، ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ركَّب فيها طريقة خلقها ثم هداها بالغريزة لتعيش وتحيا.

يحكي أحد العلماء وهو متخصص في علم القنافذ عن مراقبته لقنفذ كان يأكل من ثعبان ميت، كان يراه يتوقف ثم يذهب إلى شجرة يأكل من ورقها، ثم يعود ويأكل من هذا الثعبان، ويعاود الكرة. وعندما قطع العالم هذه الشجرة مات القنفذ!! من الذي هدى القنفذ إلى أن ورقة الشجرة تعطيه توازنًا بين لحم الأفعى وبين احتياجات جسمه؟!!

مثال آخر: سمك السلمون، يولد في برك ومستنقعات بجانب مصبات الأنهار في أمريكا الشمالية، يبدأ السلمون الصغير في النمو وتقوم الأم على رعايته لمدة سنة، حتى إذا بلغ عامه الأول تموت الأم، ويبدأ هذا السمك الصغير بالخروج من الجدول، ثم ينطلق بعد ذلك في رحلة طويلة إلى شواطئ أوربا حتى سواحل فرنسا في رحلة تصل إلى 3200 كم. يخرج من نهر إلى نهر، ويمر بمرتفعات، ويسير باتجاه التيار ويصل إلى نفس المكان الذي ولدت فيه أمه؛ لأن مورد رزقه هناك، لو ضل درجة واحدة لانتهى، يُقال إنه أقوى مهاجر في الكون، وأحيانًا تكون رحلة العودة في عكس التيار فيبدأ بالقفز ثلاثة أو أربعة أمتار لكي يقاوم الشلالات؛ حتى يعود إلى مكانه الذي ولد فيه فيضع بيضه فيربيه لمدة سنة وتتكرر دورة حياته، فكيف يتم هذا؟!!!

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾. المفهوم يتسع أكثر.

لكن كل الكائنات مسيرة في الهداية لوظائفها إلا الإنسان.. أنت حر في اختيار الهداية. ليس معنى عدم طلبك لها أنك مذنب.. لا.. أنت حر وغير مذنب. لكن اذهب في الحياة وحدك؛ لذلك ستكون مرة مصيبًا ومرة مخطئًا.

كيف أصل إلى الهداية؟

بعض الناس يقولون الهداية ليست بيدي، لو شاء الله هداني ولو شاء لم يهدني «إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء» وعندما تسأله لماذا لا تصلي؟ يرد «ليس بيدي أصلي.. لم يهدني الله».. فيظهر الإلحاد أكثر.. فهل الهداية موضوع عشوائي؟!!

ويستدلون بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.. ويأخذون هذه الآيات وحدها فيشككون.. لماذا يحاسبنا إذا كان ليس بأيدينا شيء؟؟ ومن هنا يبدأ فكر الإلحاد.

إذا أردت فهـم الهداية فهمًا صحيحًا.. فاجمع آيات الهداية في القرآن. فالقرآن جملة واحدة.. ومعنى جملة واحدة أنك لو جمعت كل الآيات ذات العلاقة بموضوع معين تظهر أمامك جملة مفيدة متكاملة.

إذا أردت فهـم أي موضوع فـي القرآن فلابد أن تجمع الآيات كلهـا التى تتناول هذا الموضوع من القرآن وسيظهر أمامك أن القرآن جملة واحدة، لا يعارض بعضه بعضًا.

لقـد قمت بهـذا وجمعت كل آيـات الهداية ووضعتهـا أمامي وكانـت المفاجأة أني اكتشفت التالي:

اكتشـفت أن هناك شـرطًا للهداية وثلاثة موانع تمنعها.. فإذا نفذت الشرط وتجنبت الموانع الثلاثة صرت في مظلة الهداية الربانية.

أنت الفاعل الأول للهداية.. تتحرك بإيجابية نحو الهداية فتدخل تحت مظلتها فيهديك الله تعالى.

شرط الهداية: آية واحدة فقط فيها الشرط ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ بذل الجهد هو الشرط، وليس النوم والكسل، بذل الجهد لكل موضوع تحتاج قرارًا فيه.. تحتاج هداية فيه من عمل أو زاوج أو سفر أو تدين، لابد من بذل الجهد لله تعالى.

ابذل جهدك في طلب الهداية.. في الوصول إلى الله: صل الفجر.. تجنب ذنبًا كبيرًا.. تب.. أمسك عليك لسانك.

ابذل جهدك في طلب الهداية.. في الحياة: نمِّ موهبتك.. اعمل ساعات طويلة.. ركز.. أتقن.. ابذل أقصى طاقتك فى عملك.

ماذا يحدث لو حققت الشرط وبذلت الجهد؟

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾.

لنهدينهم: اللام للوعد النهائي.. مؤكد سوف يهديك في قراراتك.

سـبلنا: لكل السـبل.. لكل طرق الحيـاة؛ لأن الهداية في كل القـرارات وليس التدين فقط.. هو شـرط واحد فقط لكنه شـرط فاعل متحرك.. بذل الجهد. انظر كيف اتسـع مفهوم الهداية أكثر وأكثر.

ثم هناك ثلاثة موانع للهداية حتى لو حققت الشرط.. يجب عليك أن تتجنبها:

1 - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.. وردت اثنتي عشرة مرة.

2 - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.. وردت مرتين في القرآن.

3 - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.. وردت مرتين في القرآن.

لو كان فيك أحد هذه الموانع.. فسـوف تحرم من الهداية.. لأن الهداية لا تأتي خبط عشواء.. بل لا بد أن تتحرك لها أولًا.

1 - **الظلـم..** هـل أنـت ظالم.. لزوجتـك – لأمك – لأحـد يعمل لديك – أكلـت مال أحد بالباطل؟ لأن الظلم يفقدك التوازن النفسي فلا ترى الطريق الصحيح.

2 - **الفسـق..** وهو أن تكون إنسانًا طبيعيًّا في كل شـيء لكنك تعمل عملًا فاضحًا.... فسق النواة من الثمرة أي خروجها منها والفسق هو الأعمال المنحرفة الشاذة وليس مجرد ذنب عادي.. مثل الوقيعة بين الناس وشهادة الزور. الفسق ليس مجرد ذنب عادي أو غيبة ونميمة عادية.

3 - **الكفـر مانـع اختياري وليـس مفروضًا عليـك؛** لأن الكفر قرار تتخذه مسـبقًا بتغطية العقل بعدم السـماع لأبجديات الكون والوجود الدالة على وجود فاعل وإله يدير الكون، ترفض الحقيقة وتغطيها.

إذن فالقرآن جملة واحدة.... الهداية ليسـت عملًا عشـوائيًّا لا دخل لك فيه.. ليسـت مفهومًا سـلبيًّا.. لكن لأن القرآن جملة واحدة.. فلقد أرشـدنا إلى أن الهداية كلها فاعلية

وليس فيها خمول ولا كسـل ولا نوم.. فقط شرط وحيد وثلاثة موانع.. إذا فعلت الشرط وتجنبت الموانع صرت مستحقًّا لهداية الله.

أتعلم ما يحدث لو بذلت الجهد وتجنبت الموانع؟ إن الذي يحدث هو شيء جديد فوق الهداية.. فما هو ؟؟

يرفعك الله درجات أعلى وأعلى في الهداية بفضله.

والدليل على ذلك من القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ و﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾.

إن بذلـك الجهد مثل إنسـان يصعد فى سـلم.. بذل جهد الهداية.. عـرق وتعب فلما وصل للدور الثامن وجد أمامه مصعدًا رفعه دون جهد للدور العشرين.

من ذلك أيضًا قصة أب وابنه توترت العلاقة بينهما ثلاثة أشـهر والابن يحاول جاهدًا إرضـاء أبيه ويكرر المحاولة مرة بعد مرة ثم يفاجأ في يوم بأبيه يفتح عليه باب غرفته ويطلب منه فتح صفحة جديدة، هذا الابن كافأه الله وهداه بعد أن اجتهد وتعب.

هل رأيت كيف تصل آيات القرآن لمفهوم متكامل؟.. جملة واحدة كلها... هل اقتنعت أن الإسـلام ديـن فعال ليس فيه كسـل أو خمـول؟ المطلوب منك فقـط أن تكون فعالًا ليرفعـك اللـه درجات.... من هو الملحـد الذي يرفض هذا الكلام؟! المشـكلة أننا حولنا مشروب الطاقة في القرآن إلى مخدر !!

الخلاصـة: لا بد من تحريـر المصطلحات والمفاهيـم الدينية الفعالة مـن القيود التى حولتهـا إلـى مخدر.. نريد حوارًا مفتوحًا يشـارك فيه الشـباب مع علمـاء ودعاة يكون عنوانه: ما هي المصطلحات الدينية؟ وكيف نفعلها في حياتنا؟ كلنا مسئولون عن إحياء هذه المعاني وليس علماء الدين فقط، كل واحد منا في تخصصه سيحيي معاني عظيمة لو عملنا وتحاورنا معًا.. فلابد أن تعود الفاعلية لديننا.

فقه حب الحياة

الإيمان والعصر رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة، نريد سد الفجوة بين الدين والحياة.

من أكثر الأشياء التي وسعت هذه الفجوة.. مفاهيم غير صحيحة في الدين لابد أن نصححها ونجدد رؤيتنا لها لنعيد الفاعلية «المادة الفعالة» لدور ديننا في الحياة المعاصرة.

ما هي نظرة الدين للدنيا؟؟ كيف يرى الإسلام الدنيا؟؟ ما هي قيمة هذا الموضوع ؟

الدين يشكل ثقافة بلادنا.. فلو رأى الدين الدنيا جميلة سينعكس هذا على نظرتنا.. لماذا؟

لأن في هذه الحالة سيظهر طموح ونجاح وحب لها، ولو رأى الدين الدنيا حرامًا أو شيئًا قبيحًا فسوف يؤثر هذا على الطموح والنجاح فيها وحتى لو أحببتها ونجحت فيها سيظل بداخلك شعور بالتناقض أو كأنك ترتكب خطأ.

نظرتنا للدنيا هامة جدًا.. لأنها ستنعكس بالسلب أو بالإيجاب على تفاعلنا معها وتحدد رؤيتنا لدورنا فيها.

ما هو التجديد المطلوب.. قبل أن نتكلم عن التجديد.. لابد أن نتكلم أولًا عن صورة الدنيا في فكرنا الإسلامي الحالي.

في المائة سنة الأخيرة سيطرت على عقولنا ثقافة دينية كاملة قائمة على كراهية الدنيا وتحقيرها أو قل على ذم الدنيا أو على الأقل عدم حبها.

هذه الثقافة التي تملأ مكتبات كاملة دون مبالغة، والتي تتمثل في خطب ومواعظ.. وهي موجودة في خطب الجمعة التي يذهب إليها الملايين، وفي الدروس الدينية،

والبرامــج الدينية التي يحضرها الملايين أيضًا.. لقد أصبحت هذه الثقافة جزءًا لا يتجزأ من «العقل الجمعي».. راسخة في اللاوعي، تجعل من يخالفها يشعر أنه خارج المنظومة الفكرية التي ينتمي إليها.

ثقافة «ذم الدنيا» هذه تجري منا مجرى الدم، نعم نحن نخالفها ونركض إلى الدنيا فــي كثير من الأحيــان، ولكن تلك الثقافة تنغــص علينا ذلك، تشــعرنا بالذنب.. تجعلنا نشــعر أن في نجاحنا «مخالفة شــرعية» مــا... أو على الأقل تحليقًا فــي إطار منظومة ثقافية أخرى.. يظهر ذلك عندما يكون هناك رجل أعمال ناجح جدًّا ثم يقول: ســأكتفي بذلك. عكس الغرب.

لقد انعكســت هذه الثقافة بوضوح على النظرة للدنيا لدى الشــباب المسلم، فعندما تســأل شبابًا متدينًا أو غير متدين... ما هي الصورة الذهنية للدنيا في عقلك؟ تجد غالبًا النظرة السلبية تسيطر على عقولهم...فهذا يقول: الدنيا اختبار مؤلم. وآخر يقول: الدنيا عملية ألم مستمر. وثالث يقول: أنا أكره الدنيا. ورابع يقول: الدنيا تعب وابتلاء مستمر. وخامس يقول: إنما سميت الدنيا بهذا الاسم من الدنو والدناءة. وأفضلهم حالًا يقول: أنا أصلًا ليست لي نظرة محددة للدنيا.

فكيف نشأت هذه النظرة السلبية للدنيا؟

أما عن نشــأة هذا المفهوم الســلبي عن الدنيا.. فقد نشأ في عصور هزيمة المسلمين حيث كانت الدنيا تتســرب من بين أيدينا نحو الأمــم الأخرى.. وكان علينا أن نتكيف مع هذا التســرب.. فأقنعنا أنفســنا أن تســربها خير.. وأنها لا تســتحق الاهتمام.. بل إنها لا تساوي شيئًا.هكذا قبلنا أن نترك الأبواب الكبرى لعمارة الوجود ورضينا بالسلم الخلفي للعبيد.

فمــا هو التجديد المطلــوب؟؟ نريد فقه حــب الحياة.. التجديد هو العودة للإســلام الصحيح الدافع للنجاح وبحب للحياة.

نريد عودة فاعلية الدين في الحياة.. كيف يكون فعالًا وهو يرفض الحياة أصلًا؟!

القرآن أنصف الدنيا:

القرآن فرق بين الدنيا وبين الحياة الدنيا: جاءت الدنيا في القرآن « 115» مرة. ليس فيهـا مرة واحـدة ذم لها بل على العكس فهناك التأكيد علـى تقديرها؛ وهذه نماذج من الآيـات: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾.

هذه الآيات ليس فيها ذم بل على العكس كلها تقدير للدنيا..

الذم يرد فقط للحياة الدنيا.. فهناك فرق في القرآن بين الدنيا والحياة الدنيا.

فما الحياة الدنيا إذن؟

«الحياة الدنيا» شيء آخر.. إنها طريقة حياة غير صحيحة.. طريقة حياة لا تركز إلا على ما هو سـيئ من القيم ومن الأخلاق ومن الشـهوات.. الذم ليس للدنيا الجميلة ولكن لنمط حياة مرفوض.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾.

هـذا نمط حياة مرفوض بكل المقاييس والمعاييـر.. مرفوض أن تتحول الحياة إلى لهـو ولعب وتفاخر واسـتهتار وتراخٍ وإهمـال، فهذا يؤدي إلى أن تغتـر بها وتتوهمها بحجـمٍ أكبـر بكثير مـن حجمها الحقيقي، إنه نوع من الغرور نهايته بلاشـك خسـائر فادحة في الدنيا والآخرة.. هذا هو المذموم في القرآن.

المشكلة ليست في الدنيا.. بل في تعاملك معها.

فـرق كبير بين «الدنيـا».. كقاعة امتحان ومادة امتحان، وبيـن الحياة الدنيا، كنمط سلوكي لمجموعة طلاب لاهين عابثين، سيرسبون حتمًا عندما تظهر النتائج على رءوس الأشهاد.. فلماذا إذن تلعن قاعة الامتحان وهي الطريق إلى نجاحك إذا كنت جادًّا؟!

«الدنيـا» بهذا المفهـوم، وهو المفهوم الـذي حُدد قرآنيًّا، هي فرصتنـا الوحيدة لأن نكون في وضع نرغب في الحصول عليه في الآخرة..

الدنيا جميلة في ديننا، نريد فقه حب الحياة.. فيا من يهاجمون الإسلام ومن يلحدون.. من يستطيع الاعتراض على هذه التفرقة القرآنية الرائعة بين الدنيا وبين الحياة الدنيا؟! لا عودة لفاعلية الدين وأنت تكره الحياة.

هنـاك فـارق ضخم بين طرق التربية علـى النظرة للدنيا بيـن أطفالنا والأطفال في الغرب ونوضح ذلك بمثلين: فبينما نجد هذه القصة تدرس لأطفالنا في المرحلة الابتدائية عـن النظرة للدنيا حيث تحكي القصة: «سـقطت قطرة عسـل على الأرض فجاءت نملة صغيرة فتذوقت العسل ثم حاولت الذهاب لكن يبدو أن مذاق العسل قد راق لها فعادت وأخذت رشـفة أخرى ثم أرادت الذهاب.. لكن يظهر أنها لم تكتف بما أخذته من العسل بل إنها لم تعد تكتفي بارتشـاف العسـل مـن على حافة القطرة وقـررت أن تدخل في العسل لتستمتع به أكثر وأكثر، ودخلت النملة في قطرة العسل وأخذت تستمتع به لكنها لم تسـتطع الخروج، لقد كبل أيديهـا وأرجلها والتصقت بالأرض ولم تسـتطع الحركة وظلت على هذا الحال إلى أن ماتت فكانت قطرة العسل هي سبب هلاكها بعدم قناعتها بمـا ارتشـفته منها ولو اكتفت بالقليل من العسـل لنجت. وهذا حـال الدنيا فالدنيا هي قطرة عسل كبيرة ونحن نرتشف منها فمن اكتفى بالقليل من عسلها نجا ومن غرق في بحر عسلها قد تهلكه.

هذه القصة رغم أن هدفها تربية الطفل على صفة حميدة وهي عدم الطمع فإنها في نفس الوقت ترسخ في عقله الخوف من الاقتراب من الدنيا منذ نعومة أظفاره وفي بداية تكوينه العقلي والنفسي.

بينما نجد على العكس تمامًا قصة أخرى حقيقية لطفل غربي يقتحم الدنيا بنجاح من أجل صديقه حيث تقول القصة:

«فى كندا أصيب الطفل (برايدن) صاحب السبع سنوات بشلل دماغي.. احتاج لعملية جراحية عاجلة تُجرى في أمريكا وسوف تتكلف أكثر من عشرين ألف دولار بالإضافة لمصاريف السفر والإقامة له ولأهله.. لكن المبلغ كان ضخمًا بالنسبة لأسرته، حتى فقدوا الأمل في إمكانية علاج ابنهم.. سمع الطفل (كويمن) زميل (برايدن) في المدرسة وصاحب السبع سنوات أيضًا بمشكلة صديقه فتفاعل بشدة وقرر أن يجمع هو المبلغ المطلوب ليتم علاج صديقه وقرر إنشاء كشك لبيع عصير الليمون أمام منزله.... قام بمساعدة والدته بتجهيز الكشك ووضع ورقة كبيرة فوق «الكشك» كتب عليها (هذا المشروع من أجل مساعدة صديقي) بالإضافة لصورة (برايدن)، بدأ «الكشك» يثير إعجاب واهتمام الناس خاصة أن (كويمن) كان يقف فيه باهتمام كبير لساعات طويلة ليجمع الدولارات القليلة.. حتى علمت إحدى القنوات الفضائية بالقصة فجاءت لتصوير (كويمن).. فاهتمت البلدية والحكومة بفكرة الطفل الصغير وخصصت موقعًا على الإنترنت للمساهمة فى تلك الفكرة النبيلة.. فذاع صيت الفكرة وانتشرت فى أرجاء كل مدن كندا على الإنترنت والصحف والتليفزيون وكانت المحصلة النهائية للمبلغ الذي تم تجميعه هو.. 55 ألف دولار !.. أى أكثر من ضعف المبلغ المطلوب!.. وبالفعل أُجريت العملية ونجحت وشُفي (برايدن) بسبب وفاء (كويمن) وإيمانه بأنه يستطيع أن يجمع المال لإنقاذ صديقه.

إن هذا الفارق الضخم بين طرق التربية في النظرة للدنيا يستمر مع الأطفال حتى يكبروا ويصيروا رجال أعمال أو مفكرين أو مخترعين.. إن ثقافة إماتة الدنيا هي أحد أسباب تخلفنا عن الغرب.

نريد تجديدًا يعلمنا حب الحياة.. الإسلام يعلمنا ذلك.. تعالوا نعش مع القرآن والسنة ونرَ كيف يكون عندنا فقه حب الحياة.

التجديد يبدأ بتغيير نظرتك السلبية للدنيا..

النظرة الإيجابية للدنيا جزء من إيمانك وعقيدتك

هذه النظرة التحقيرية للدنيا تتعارض تمامًا وبحدة مع عقيدة أنك خليفة مسئول عن الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ومكان استخلافك ومسئوليتك هو الأرض. فهل يعقل أن يجعلك الله خليفة على شيء حقير؟ وهل يعقل أن يجعلها أمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

كيف تكلف إنسانًا بأمانة وتوصيه بها وتحذره من الخيانة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بينما أنت تحتقر هذه الأمانة؟ أليس هذا عبثًا وحاشا لله أن يصدر منه العبث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾.

وكيف يجعل الله الملائكة يسجدون لآدم الذي يعمر الأرض تكريمًا له واعترافًا بدوره الكبير.. بينما محل المسئولية غير مكرم بل مذموم مستحقر؟! لا يمكن أن نعقل ذلك.

كيف ينهانا الله تعالى عن أن ننسى نصيبنا من الدنيا ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وتكون الدنيا دنيئة.. أنحرص على نصيبنا من الدناءة!!

وماذا عن قوله ﷺ: «**ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعًا**».

ألا تعطينا الآية والحديث فهمًا أكثر شمولية وعمقًا للدنيا؟!.. إن كلمة نصيب مأخوذة من النَّصَب وهو التعب؛ لأن الإنسان ينصب حتى يصل إليه.. وما النصب إلا العمل والجهد والإنتاج والتعمير... اقرأ معي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

الدنيا هي موضع استخلافنا.. هي موقع امتحاننا، وهي مادة الامتحان في الوقت ذاته، هي ما سنختبر به، وهي «دنيا» لأنها قريبة منا، قربها محيط بنا كإحاطة السوار بالمعصم.. إنها «قريبة» منا قرب وجودنا فيها.. هذا القرب هو ما يجعلها «دنيا».. وهو أيضًا ما يمنحنا فرصة لنحقق ما خُلقنا من أجله. فرق كبير بين من يفهم معنى كلمة الدنيا من الدنو بمعنى الدناءة.. وبين من يفهم كلمة الدنيا من الدنو بمعنى القرب.. بالله عليك أيهما ينتج أكثر وينجح أكثر ؟ صاحب النظرة الأولى أم صاحب النظرة الثانية؟ إن معنى أن الدنيا قريبة منا يتفق مع روح الأمل والتفاؤل والعمل ويتفق مع وصف الله للدنيا في القرآن ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

إن النوع الأول الذي يرى دناءة الدنيا سيعيش بمعنى: ﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾.

أما النوع الثاني فيعيش بمعنى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

إن إماتة الدنيا في العقول تؤدي إلى إماتة الدنيا في الواقع... بينما يريد الله تعالى أن يحييها: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ

﴿مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ واللفتة الرائعة في الآية أن الله تعالى مثّل للأرض بصورة رائعة.. ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ﴾... ﴿وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾... لماذا!! لو كان لمجرد متعة الإنسان لقال: ليأكلوا من ثمره لعلهم يشكرون.. لكن... تأتي نظرية الإنتاج في جملة فاصلة.. ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ﴾..

أيها الإنسان، إن الآية تدعوك لوضع لمسة إبداعية.. شارك ولا ترفض هذه الهدية.. أحي الأرض.. الأرض تحتاج إلى بصمة إبداعك... هذه هي إرادة الله ولن يكتمل إيمانك إلا إذا حققت بعملك هذا الإحياء للأرض.

وكأننا ونحن نقرأ قول رسول الله ﷺ: «**من أحيا موانًا - أي أرضًا ميتة تتلمس العمران - فهي له**» نستشعر نفس الرؤية... نفس المنهج... نفس الدعوة للإنسان إلى وضع لمسته الإبداعية وبصمته الإعمارية في جبين الأرض، ودقق في كلمة «له» إغراء بالتمليك.. والسؤال: كيف يغرينا بالملعون؟! أحي الأرض الميتة بالنظرة الإيجابية والإرادة الحية.

يريد الله تعالى منا إحياء الدنيا؟ نعم، وكذلك رسول الله ﷺ:

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها**». رواه مسلم وأحمد.

ونلاحظ من الحديث ما يأتي:

إذا قامت الساعة

▼

ربط روحي بين الدين والعمل

وفي يد أحدكم فسيلة

▼

كأن الطبيعي أن المسلم لا يترك العمل أبدًا.. تلازم بين المسلم والإنتاج

فســـيـلـــة

▼

لن تؤتي أكلها إلا بعد سنين

السؤال:

لمن أزرعها؟!

المتوقــع بعــد قولــه ﷺ: «**إذا قامت الســاعة**» أن يعقــب بقوله: ليســرع كل منكم بالاســتغفار.. انفضوا أيديكم من تراب الدنيــا.. إنها لحظة رهيبة ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا....﴾. أليــس مــن الطبيعــي وقد تيقن الناس من القيامــة أن ينصرفوا لهذه اللحظــة الرهيبة... أليس من الطبيعي والهول على الأبواب أن ينســلخ الناس من كل شيء يربطهم بالأرض ويتطلعوا في رهبة الخائف وذهول المرتجف إلى قيام اليوم الموعود !!

رســول الله ﷺ لم يقل شــيئًا من ذلك كله الذي توقعه الســامعون، بل قال لهم: «إن كان بيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة فليغرسها فله بذلك أجر. يا الله.. يغرســها! وما هي؟ فســيلة النخل التي لا تثمر إلا بعد سنين! والقيامة في طريقها أن تقوم!

والســؤال: لو كانت الدنيا حقيرة.. فلماذا كل هذا الاهتمام بإعمارها حتى وإن كانت على شفا دمار محقق؟! إنها نظرة الإسلام إلى الدنيا... مزرعة الآخرة.

أصحاب النبي ﷺ يتبرءون من النظرة السلبية للدنيا..

تخيلوا لو أن الصحابة كانوا قد نظروا للدنيا نظرة ســلبية.. نظرة كراهية.. هل كانوا سيفتحون الدنيا؟!

تخيــل لو كان عمــر بن الخطــاب وخالد بن الوليد وســعد بن أبي وقاص وســلمان الفارســي وأبو عبيدة بن الجراح ينظــرون للدنيا هذه النظرة الســلبية.. تخيل لو كانوا لعنــوا الدنيا وبقوا في ديارهم ينتظرون موعد الرحيل عن هذه الدنيا الحقيرة.. لو كانوا كذلــك لتغير تاريخ البشــرية تمامًا.. ولما كنا نحن ولما كانت حضارة الإســلام العريقة ولما كانــت الأندلس بعلومها وفنونها ولما عرفت أوربــا نهضتها بعد اتصالها بحضارة الإسلام من بغداد إلى الأندلس.

قارن ولاحظ الفرق بين الصورة الذهنية الإيجابية للدنيا في أذهان الصحابة والصورة الذهنية السلبية لها في أذهاننا.. هم يرون أنهم مسئولون عنها وأنها طريقهم إلى الجنة وأنهم يحمدون الله أنه شــرفهم وكرمهم باختياره لهم لإعمارها كخلفاء.. فرق كبير بين من يحب الدنيا ويتحرك فيها بنفس مشرقة متفاعلة وبين من يكره الدنيا ويراها حقيرة ملعونة.. والفرق الأساسي سيكون في القدرة على الإبداع والانفتاح والعمل والإعمار.

لابد من ظهور جيل جديد ينســف المفهوم السلبي عن الدنيا.. ويمتلك صورة ذهنية جديــدة لها وهذه الصــورة هي: عمِّرهــا.. جمِّلها.. ابْنِهــا.. حسِّنها..اســتمتع بخيرها.. أصلحها.. لسبب بسيط هو أنك أنت المسئول عنها. نعم أنت المسئول عن هذا الكوكب.

دخـل عمر بلدة يتفقد أحوالها، فهالــه أن رأى كل أصحاب الصناعات والحرف فيها من غير المسـلمين، فعنفهم - المسـلمين - أشد التعنيف، فما كان منهم إلا أن قالوا قولًا عجيبًا، قالوا: الله سخرهم لنا!!! فرد عليهم عمر: كيف بكم إذا أصبحتم عبيدًا لهم!!

وهذا هو نفس الفهم الذي دفع عمر بن الخطاب حين رأى شابًّا مظهرًا للنسك متماوتًا في مشيته بقصد التعبد، فخفقه بالدرة وقال: لا تمت علينا ديننا أماتك الله، وفي رواية: ارْفَعْ رأسَك فإن الإسلام ليس بِمَريض.

فهمنا أحاديث النبي خطأ..

وقد يقول أحدهم.. لكن ماذا عن أحاديث تقول عكس القرآن في ذم الدنيا.. فالأحاديث لم تفرق بين الدنيا وبين الحياة الدنيا كما فعل القرآن؟

أولًا: إن النسـبة الغالبـة للأحاديث النبويـة الواردة في هذا الموضـوع هي أحاديث ضعيفـة أو موضوعـة ولا أصل لها -غير موجودة أصلًا في كتـب الحديث -.. فمن بين خمسـة وعشـرين حديثًا نسـبت له عليه الصلاة والسـلام في هذا الصدد هناك سـبعة أحاديث فقط بين الصحيح والحسـن، والباقي بين الضعيف والموضوع والحديث الذي «لا أصل له».

ثانيًـا: يجب أن ندرك أنَّ الحكم الدِّيني لا يؤخَـذ من حديث واحد مفصولٍ عن غيره، وإنَّما يُضَمُّ الحديث إلى الحديث، ثمَّ نقارن الأحاديث بما دلَّ عليه القرآن الكريم.

وكيف تصح بعض أحاديث ذم الدنيا بينما هناك حديث آخر صحيح يصف فيه النبي الدنيا بأنها حلوة خضرة.

نعم إنها -كما وصفها عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم- «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مسـتخلفكم فيها فينظـر كيف تعملون**». وهذا المفهوم «حلـوة خضرة» يجعلنا ننظر لـلأرض بتفاؤل على أنها نعمة تسـتحق العمل والتعمير

تقديـرًا لهـا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

يمكنك إذن أن تجعل خضرة هذه الدنيا وسيلة لإنهاء الجوع في العالم، تزرعها قمحًا وشـعيرًا ونباتاتٍ ومزروعاتٍ يُسـتخرج منها الغذاء والدواء، وتكون المرعى لما تستدر منه الفوائد للإنسان..

ولكن.. يمكن أيضًا أن تسـتخدمها لتجعل النبتة مخـدرًا يلهيك عن الواقع.. أو خمرًا تسكر بها وتفجُر.. المشكلة ليست في الدنيا ولكن في استخدامك لها وتعاملك معها.

ولكـن أيضًـا انتبه.. لابـد من التـوازن وعدم الإسـراف والحذر من إلهـاء الدنيا لك. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ النهي عن الإلهاء وليس التكاثر.

فـي الختـام.. نحن نريد مجتمعًـا يعمل وينتـج ويعمر.. ويحب الديـن في الوقت نفسه..يفهم أن الدين جزء من الحياة وليس ضد الحياة.. لكن كلامنا ليس نهائيًّا، نحتاج حوارًا حوله. لأن هناك رأيًا آخر يقول: أليسـت هذه النظرة تؤدي لمزيد من إلهاء الناس في الدنيا؟ لذلك لابد من فتح حوار حول الموضوع.

الأمل كبير.. لابد من عودة فاعلية الدين في الحياة بحبها.. كيف نصنع ثقافة جديدة لعدم حجب الحياة عن الإسـلام؟ نحتاج لنفكر معًا. ومازال هناك مفاهيم كثيرة تحتاج إعادة الفاعلية وسيكون الأكثر إحساسًا بها هم الشباب مع خبراء.

الحـــب

هـل التجديد أفكار فقط؟ أم التجديد للروح أيضًا؟ ما هو أكثر شـيء تفتقده الروح اليوم ويحتاج إلى تجديد؟ إن ما يحتاج إلى التجديد في العالم الإسـلامي بصفة خاصة والعالم كله بصفة عامة ليس الأفكار فقط بل المشاعر والأحاسيس الإنسانية. إن الإنسان كائن وجداني قبل أن يكون كائنًا ماديًّا.. الإنسان ليس ماكينة..

هنـاك قيمة من أجمل قيم الحيـاة.. ذبلت وضاعت في مادية الحيـاة الحديثة.. هذه القيمة تحتاج إلى تجديد.. لأنها سر من أسرار السعادة في الحياة بل هي أساس السعادة فـي الحياة كلها.. إنها الحب.. من أكثر الكلمات التـي يتم عليها بحث في «جوجل» هي LOVE.. ولذا سنتكلم عن عودة الحب.

- ما هو سر العلاقات البشرية؟
- ما هو سر علاقة الخالق بالمخلوق؟
- ما هو سر الكون؟
- ما هو سر السعادة؟
- ما هو سر نجاح العظماء والمبدعين والناجحين؟
- متـى تنجـح العلاقات الزوجية ومتى تفشـل؟ ما هو سـر نجاح الرجـل مع المرأة والمرأة مع الرجل؟

كل هذه الأسـرار لها مفتاح واحد.. من كلمة واحدة.. لكنها كلمة سـحرية؛ لأنها سر الكون.. هذه الكلمة هي.. «**الحب**».

- الحب هو الذي يجعل العالم يدور ولولاه لجمد العالم.. فبدونه لن يجتهد الأب ليرى أولاده أفضل منه. ولن تضحي الأم ليحيا أبناؤها.. فالطموح سيتحرك في الإنسان ليبدع شيئًا يحبه. فما يبدو نظريًّا شديد الثقل يجعله الحب خفيفًا جدًّا على النفس..
- الحب أجمل مخلوقات الله..

وسنحدد ثلاثة محاور لتجديد الحب (الحب مع الله، ومع المرأة والرجل، ومع الحياة والنجاح) فنحن جميعًا نحتاج إلى الأنواع الثلاثة لنحصل على حب كبير يملأ حياتنا كلها.

وسنبدأ القصة عن حب الله لنا ثم حبنا له... ثم الحب بين الرجل والمرأة... ثم حب الحياة والنجاح. لنثبت بكل ذلك أن الحب هو سر الوجود وبالتالي فهو أكبر مولِّد للأخلاق ومحرِّك لها.

إذن فأول سلسلة الحب.. حب الله فهو خالق الحب وموجده في الكون وفي قلوبنا.

أولًا: حب الله لنا وحبنا له:

لماذا خلقنا الله؟؟ خلقنا لنعمر الأرض.. هذا صحيح.. لكن لماذا اختارنا نحن بالذات دون باقي الكائنات؟ ليشرفنا وليكلفنا بهذه المهمة العظيمة وفي مقابل ذلك سخَّر لنا الكون.. لكُم أن تتخيلوا لو أن الملائكة مكاننا ونحن مكانهم... من الأحب والأقرب إلى الله؟! لماذا الإنسان؟ وما سر العلاقة ؟

أحب الله البشر فاختارهم.. وأحبهم فملَّكهم الكون.. نعم لقد سبقت محبته سبحانه لهذا الكائن الذي خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وسماه الإنسان، فالعلاقة ليست علاقة جنة ونار ولا علاقة واجب واضطرار ولا ضغط اجتماعي، وإنما هي علاقة حب لا مثيل له، ومن ذلك:

- أحبه فنفخ فيه من روحه قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾.

- أحبه فخلقه بيديه وبقيت المخلوقات في خلقها بـ: كن فيكون: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾.

- ثم أحبه فجعله في أجمل خِلْقة ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ فانظر وقارن بين شكلك وشكل باقي المخلوقات في هذه الدنيا.

- ثم أحبه فعدل له ظهره ولم يجعله يمشي على أربع فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾.

- ثم أحبه فأسجد له الملائكة ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴾.. سجود لجمال صُنع الله.. لقد أحبهم فجعلهم أجمل ما في الكون.

- ثم أحبه فسخر له الكون ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾.

- ثم أحبه ففضله على باقي المخلوقات.. إذن أنت ثمرة الكون.. اختارك أنت لتكريمك فقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾.

- ثم أخبر سبحانه أن حبه لهم سبق حبهم له في قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. بدأ سبحانه بنفسه أولًا وأخبر بحبه لهم قبل حبهم له فقال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. ثم جعل حبًّا خاصًّا لمن آمنوا وعملوا لإعمار أرضه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ وسمى نفسه الودود وليس المحب؛ لأن الود فوق الحب، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾. فالود أصفى الحب وأنقاه.. وهو أعلى درجات الحب.

- ثم أعلن الله حبه لهم فقال في الحديث القدسي: «**إن الله تعالى إذا أحب عبدًا نادى في السماء: يا جبريل، إني أحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء**

فيقــول: إن اللــه يحب فلانًا فأحبوه؛ فيحبه أهل الســماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

- ثــم أحب الله عباده فحقق لهم أحلامهم.. فقــال لهم: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شــاء» فما ظنك بالله؟ ســيغفر لك؟ سيرضى عنك؟ سيكرمك؟ سيسترك؟ لن يضيعك؟ ســيكون الله لــك كما ظننت أنت به.. حتى قال أحدهم: إني لأرى بحســن ظني ما الله فاعل بي.

– ثــم أحبهــم فأعد لهم الجنة ليكونوا في جواره، وجعل سُــقُف بيوتهم فيها عرشــه ســبحانه، وكتب لهــم فيها الخلود ليســتمتعوا برؤيته والكلام معه.. فمــا أعطوا لذة مذ خلقوا أحب إليهم من رؤية الله عز وجل.

– الحب سر الوجود.. الحب مراد الله من البشر.

إذا كان اللــه يحبك هكذا... فينبغي أن تعيد نظرتك للحياة بناءً على هذا الحب..عليك أن تجعل حب الله مركز حياتك مقتديًا بقول رســول الله ﷺ: «**اللهم إني أســألك حبك، وحــب من يحبك وحــب العمل الذي يقربني إلى حبك، رب اجعــل لي حبك أحب إلي من أهلي وولدي ومالي**».

لا تربِّ أولادك على الخوف من الذنوب بقدر ما تربيهم على الإحساس بالمحبوب.

المحبــة هي المنبــع والمَصَب لــكل حياتنا مع اللــه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

لكن... لماذا لا نتذوق حلاة الحب مع الله ؟

ما هي مشكلتنا مع محبة الله بل ومع الحب عمومًا؟

المشكلة هي طبيعة الحياة السريعة التي نعيشها؛ لأن الإنسان الحديث أصبح يبحث دائمًا عن أحدث الأشــياء، فهو يجد نفسه محكومًا دائمًا بالجديد المثير أو الجذاب حتى

قبل أن تكون الفرصة قد أُتِيحت له لتذوق ما مَرَّ به من تجارب أو للتمعن فيما مر به من أحداث! وهكذا صارت حياتنا انتقالًا من إحساس إلى إحساس ومن خبرة إلى خبرة دون أن ننفذ إلى شـيء أو نتعمق في شـيء حتى لقد تبدلت (أو كادت) أحاسيسنا بالقيم... فأصبحنا نقتصر على أخذ بعض الأحاسيس الشهوانية التافهة فقط!!

لقـد طغت الماديات على الحب في حياتنا حتى مع الله، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ والتكاثر ليس المقصود به الأولاد فقط، ولكن أنواع التكاثر من أموال وسـيارات وبيوت وأدوات وأجهزة.. والتكاثر ليس حرامًا في ذاته أبدًا، لكن المشـكلة أن يلهينا التكاثر عن القيم الجميلة في الحياة.. وأولها الحب.

ولم يعد الإنسـان الحديث قلقًا متهورًا متبلِّدًا فحسـب بل لقد أصبح كائنًا سـطحيًّا بلا عمق، لا شـيء يلهمه ولا شيء يمسه ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطني، ومهما يكن من أمْرِ تلك الابتسـامة السـطحية التي قد نلقى بها الكثير من الأحداث والأشخاص فإننا مع الأسف الشديد صرنا متبلدين، حتى الحب والإحساس بجمال الحياة صار أمرًا عاديًّا.

الحـب يحتاج إلى تأمـل وتذوق لتدركه أولًا.. ثم يحتاج إلى بذل وجهد لتسـتمتع به ثانيًـا. هذا هو تجديد الحب.. نحن نحتاج إلى فتح حوار حول طرق تجديد الحب.. نحن نقول إنه يعيش بأمرين هما:

1 تـأمـل وتـذوق الحـب.

2 ابْذُلِ الجهدَ لتستمتع بالحب.

فما هو المطلوب منا لنشعر بالحب مع الله؟

أولًا: تأمل وتذوق الحب مع الله..

1 - التركيز في الصلاة: كيف تجمع روحك ونفسك وتركز بعض الدقائق وترسلها إلى الله... ركز في صلاتك فإن لم تقدر فركز في السجود. اسجد واجمع كل قلبك وعقلك مع الله، فإن لم تقدر فركز في كلمة: الله أكبر وقل لنفسك: هل في حياتي أكبر من الله؟ فإن لم تقدر، فركز في قراءة الفاتحة واستشعر معانيها بقلبك.. فلابد لك من التركيز.. هذا التركيز هو المقصود بكلمة استحضار القلب واستشعار المعاني.. الناس تقول: أتمنى وأريد أن أخشع في الصلاة، بينما المطلوب هو التركيز.. لأن الخشوع لا يأتي وحده.. فالخشوع ليس قرارًا تتخذه أو تجبر قلبك عليه.. لكن القرار هو التركيز، والذي تقدر أن تُلْزِم نفسك به هو التركيز وهو طريق الخشوع..فإذا سألتني: ماذا أفعل لأخشع في الصلاة؟ أقول لك: فقط ركز.. ركز واخرج من الدنيا لدقائق وكأنك ترسل روحك في رسالة إلى خالقها.

لابد أن تعيش لحظات حب مع الله في الأربع والعشرين ساعة من خلال الصلاة... نحن نؤديها لكن لا نشعر بمعنى الحب المكنون في الصلاة المقصود من قوله ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»، وقوله: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**».. هذه الدقائق كافية لتوليد الحب منك وإليك.. وهو أن تخرج من الدنيا وتبتعد خطوة عن الناس وتتمنى أن تخشع في الصلاة.. والخشوع لا يأتي إلا بالتركيز، وهو قرار كما قلنا.

2 - التأمل في أسماء الله الحسنى.. تأمل صِلَتك بالله خمس دقائق في اليوم، في صلاة واحدة، في سجدة أو تسبيحة، أو تأمل في أسمائه الحسنى، فهي طريقك لمعرفة الله ومحبتك له.

ولهذا قال الحسن بن علي: «من عرف ربه أحبه»... إذا لم تشعر بالمحبة فأنت لم تعرفه بعد.. تخيل قصة ولد لم تربطه علاقة بأبيه حيث كان أصحابه هم كل حياته، حتى مات أبوه في حادث سيارة، فلما وقف على قبره قال: أنا لم أعرفك، ولم أفهمك، ماذا كان في الدنيا أهَم من أن أعرفك؟!! كم تمنيت أن أعرفك لأحبك!! لقد شعر به لكن بعد الموت... تخيل أنك تأتي يوم القيامة فتقول لله عز وجل: أنا لم أعرفك حق المعرفة..

ماذا كان أهم من معرفتك!! لذلك فإنك تحتاج إلى التأمل في الكون لتعرفه.. وإلى التأمل في أسماء الله الحسنى لتعرفه فتحبه فكما قيل: «إذا عُرِفَ الآمر، سَهُلَت الأوامر».

3 - التأمل في نعم الله عليك «أحبوا الله لما يغدوكم به من النعم». عش كل يوم لحظات مع نعم الله عليك وداوم على ذلك في حياتك كلها لتحبه.

ثانيًا: العمل والبذل لإعمار الأرض.. سوف تصل إلى المحبة هنا عن طريق العمل؛ لأنه سبحانه خلقك لتعمر الأرض حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

معروف أن الحب عند الله لا يصح إلا بدليل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.. ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

ما المطلوب إذن؟ أن تعمل بكل طاقتك لإعمار الأرض، اجعلها أفضل مما دخلتها، ابنها، أصلحها، عمِّرها، جمِّلها، طوِّرها بالفكر - بالفن - بالتكنولوجيا.. بالصناعة.. بالزراعة.. بالمال.. بالتعليم.. بنشر الخير.. بالإبداع. فكل عمل يتم لك بنجاح دليل على محبتك لله.. لأنك تدل بعملك على عظمة الله وجمال صنعته.. فمن يصدق أن التراب الذي خلقه الله بيديه سيُبْدع كل ذلك ويصل إلى القمر ويخترع ويطور؟! فاعمل لتحصل على المحبة.

البذل والعمل دليل محبتك لله.

اعمل 10 ساعات في اليوم بتركيز لتصل إلى محبة الله لك بعملك.. أخرج منتجًا جديدًا تتقرب به إلى الله كما تتقرب إليه بالصلاة والصيام.

الحب يحول عملك من روتين أو واجب قاسٍ أو من أجل العيش إلى محبة الله لكن.. بعملك.. فأنت في الحقيقة لا تعمل عند أحد.. بل تعمل عند الله.

اعمل حبًّا لله.

إذن خطوات محبة الله هي:

1 - تركيـز في الصلاة وتأمل في أسـماء الله ونعمه علينـا.. دقائق كل يوم في الصلاة أو في غيرها.

2 - عمل وإنتاج وتعمير.. ساعات طويلة كل يوم لإثبات حبك له بالعمل.

وعندها.. سـيجعل لك الرحمن ودًّا، أي سـتتذوق حلاوة الحبِّ في كل حياتك.. جرِّب وثق في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾.

إذا تحقق حب الله، وشـعرت بحبه لك سـيتولد عن هذا الحب حُبٌّ للناس والكائنات والكون كله وفق هذه المنظومة.

ثانيًا: الحب بين الرجل والمرأة:

الحب من أعظم هدايا الوهاب.. فإذا رزقك حبًّا جميلًا في حياتك فهو هدية منه إليك.. وإذا رزقـك امرأة تحبها وتحبك ومَنَّ عليكما بالزواج فهذا الحب الجميل من أعظم هدايا الوهاب فمصدر الحب كله هو الله.

لكـن هل الحـب له دورة حياة «life time»..؟ هل الحب بيـن الرجل والمرأة له دورة حياة فيبدأ صغيرًا ويصل لمرحلة الشباب ثم النضوج ثم يضعف ويهرم ثم يموت ويفنى ويتحلل؟!! هل الحب دائم أم منقطع؟!

فريق من الفلاسـفة قال: نعم الحب مثله مثل كل المخلوقات والكائنات والمنتجات.. له دورة حياة محددة.. وهكذا خلق الله الأشياء، وهذه هي سنة الحياة.

فـرد عليهم فريق آخر من الفلاسـفة وقالوا لهم: لا، ليـس صحيحًا أن الحب يفنى.. لأن الحـب ليس مثل باقي الأشـياء المادية.. أنتم شـبهتم الحب بالسـلع والمنتجات والأشـياء المادية.. لكن الحب من الروح وليس من المادة.. والروح تبقى ولا تفنى مثل باقي الماديات.

فأكـد على كلام هؤلاء علماءُ الدين وقالـوا: الحب لا يفنى ولا يموت لأنه أفضل وأعلى الفضائـل درجة ومنزلة.. لأنه من الله وهو حكمـة الخلق ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.. لذلك فهو لا يموت؛ لأنه من الله.. وكيف يموت وهو سر الخلق والإيجاد؟!

فقال الفريق الأول: ولكن واقع حياة البشر عبر العصور يؤكد أن الحب يموت وأحوال الرجال والنساء مهما بلغت درجة حبهم دليل على ذلك.. يشيخ الحبُّ ويَهْرم ويموت بعد قليل. والواقع أقوى من أي كلام فلسفي.

فأجـاب الفريق الثاني: نعم كلامكم صحيح أن هذا هو واقع الناس ولكن أيضًا كلامنا صحيح، والتوفيق بينهما أن الحب محفور في قلوب البشر لكنه يذبل حتى يَشِيخ ويهرم إذا لم نصنه بدوام تأمله وتذوقه ثم بالبذل واسـتمرار العطاء. فصار التأمل والتذوق ثم البذل والعطاء مرة أخرى هما السبيل لتجديد الحب.

نفس الأمر ينطبق على كل أنواع الحب؛ للوالدين – للأقارب – للأصدقاء – للإنسانية جمْعَاء.. حتى مع الله يتجدد الحب بالبذل والعطاء.

هل الحب أمر مؤقت أم دائم ؟

يرى الكثير أن الحب – خاصة بين الرجل والمرأة – أمرٌ مؤقت والأمر يتوقف على شرطين:

1. القدرة على تأمل الحب وتذوقه.
2. القـدرة على البـذل والعطـاء.

إذن فطريقـة حفظ الحب واحدة.. بداية من حب الله حتى حب المرأة وكل البشـر.. فالحب يحتاج إلى تأمل وتذوق لتدركه أولًا ثم يحتاج إلى بذل وجهد لتستمتع به ثانيًا.

لماذا الطريقة واحدة؟ لأن كل الحب من مصدر واحد هو.. الله.

إن الحياة المعاصرة جعلت سرعة التغير مذهلة.. التغير في المنتجات.. والاستهلاك.. والأفكار.. والاقتصاد.. والسياسة.. والتكنولوجيا.. كل ذلك أوجد أجيالًا غير قادرة على تأمل أو تذوق أي شيء.. فهي تنتقل من شيء إلى شيء في نمط حياة متسارع لا يتوقف لحظة لتأمل أو تذوق لأي شيء.

والحب يحتاج لحظات تأمل وتذوق ليبقى حيًّا وليس الحب وحده بل كل القيم تحتاج لوقفات تأمل لتذوقها.. لقد تحول الإنسان إلى سلطة تنتقل من يد إلى يد دون توقف ففقد قدرته على تذوق أي شيء.. مثل من ذهب لمحل عطور وأخذ يشم عدة روائح بشكل متوالٍ حتى فقد قدرته على حاسة الشم لأي عطر، فهذا ما حدث معنا.. فسرعة الحياة أفقدتنا القدرة على تذوق أي قيمة من القيم. تذوق حبك ليعيش ثم ابذل الحب تحصد الحب.. هذه هي الصفة السحرية للحب.. إذن فقصص الحب مرتبطة بالبذل والعطاء:

مثال: الأب الذي يكدح طوال عمره ليجمع المال كي يحقق لابنه كل رغباته ولكن هذا الابن يضيع بإهمال كل ما أعطاه له أبوه.. لأنه لم يتعب في شيء.. نفس الفكرة في الحب.. بالبذل يعود الحب قويًّا، والبذل يجعلك تحافظ على الشيء الذي بذلت وقتك وجهدك ومالك من أجله؛ لأنك تعبت فيه. فالبذل للحبيب يجعلك تتمسك به أكثر وأكثر فلا تغضب بسهولة ولا تفقد أعصابك ولا تبع حبك بسهولة لأنك تعبت فيه.

مثال: صديق مصري يعيش في إسبانيا يحكي أن سكرتيرته طلبت إجازة لمدة أسبوع لأن زوجها قال لها: سنسافر في رحلة حب ولا تجهزي حقيبة سفرك.. أنا الذي سأتولى إعداد حقيبة سفرك بنفسي ولو نسيت أي شيء سأشتريه لك من مكان الرحلة، وسنذهب إلى مكان لا تعرفينه وسأقوم بترتيب برنامج الرحلة من أولها إلى آخرها في شكل مفاجآت متتالية كنت أجهزها منذ أكثر من شهر، فهذا البذل هو الذي يديم الحب. إنه التركيز والبذل المستمر، نفس الطريقة المتبعة مع الله، وهي هي المتبعة في العلاقات البشرية!

السر في الحب في كلمتين ببساطة.. لحظات تركيز وتأمل، ثم بذل وجهد وعطاء.

وعندها فإن الحب يدوم حتى الوفاة... وحتى اللقاء في الجنة.

والانكسار في علاقة عاطفية لا ينبغي أن يجعلك تفقد الثقة في الحب أو تلقي جانبًا فكرة البحث عن الحب الصحيح أو يجعلك تعيش بلا مشاعر، فالحب طريقة حياة نعيش بها حتى نلقى الله؛ لأنها سر الوجود.

فماذا لو لم يكن في حياتي قصة حب جميلة أعيشها؟

لو لم يكن لديك قصة حب في حياتك ادْعُ الله وقل: اللهم ارزقني زوجة تكون مصدر حب وسعادة في حياتي، ثم مارس حب الله وحب الناس في حياتك.. وسيمن الله عليك بحب جميل تعيشه.. وهذه هي تجربة الحياة. وذلك لسبب بسيط.. من هو مصدر الحب؟.. من الذي يهب الحب؟.. من الذي يرزق الحب؟.. أليس هو الله؟.. بلى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾﴾ لذلك ادْعُ الله أن يرزقك الحب وعامل الناس بالحب.. يمن عليك به.. أحب الناس ليحبك الله؛ لأنه لو أحب الله عبده سيمن عليه بالحب ولو بعد حين.

ثالثًا: الحب والنجاح في الحياة:

نيلسون مانديلا وغاندي.. ما الذي جعلهما يتحملان كل ما قاسياه في حياتهما.. إنه الحب الذي كان أقوى من كل هذه المصاعب التي واجهها كل منهما. نيلسون مانديلا أحب الجنس الأسمر فدافع عنه وسُجِن 26 سنة من أجله. غاندي أحب وطنه وعاش من أجل بلده الهند حتى آخر لحظة في عمره.. إنه الحب.

وكما أن هناك قانونًا اسمه جاذبية الأرض فهناك قانون أقوى اسمه جاذبية الحب.. نحن ننجذب إلى الأرض لنستقر عليها.. وكذلك الحب ليس مجرد عاطفة.. بل هو قانون يحفظ استقرار قلوبنا ونفوسنا.

قصص النجاح مرتبطة بكلمة واحدة هي.. «**الحب**».

إذا أردت النجــاح والمال وتحقيق الذات فعليك أن تذهب إلى الكون من مفتاحه.. إنه الحب وحده الذي يفتح لك هذه الأبواب:

1 لحظات تأمل وتركيز وتخطيط لهدفك ومشروعك.

2 عمل جاد مستمر 10 ساعات يوميًّا.

نفس المعادلة مع الله.. هي بين الرجل والمرأة.. هي مع النجاح..

الحب أنشا مدينة.. يروي المؤرخون أن عمرو بن العاص عند فتح مصر نزلت حمامة بفســطاطه (خيمته) فاتخذت من أعلاه عُشًّا، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة «الفسطاط».

الحب شــيء جميل مريح، إنه يشــبه المراهم المعالجة لجســد الإنســان، لكنه مرهم لقلب الإنسان، بل للحياة كلها.

لو عشــت بطريقة حب ما حولك فإن ذلك يجعلك قويًّا وتشــعر بأن كل شيء جميل، فتبحث عن الجمال في كل شيء، وتتصرف بجمال وأخلاق جميلة.

قصة من السلف: رأى أحد علماء الدين رجلًا سكران في الطريق وحالته يرثى لها؛ في النطق والمشــي، فأخرج العالم منديلًا ومسح له وجهه.. فقال له الناس: أنت تعامل

شارب الخمر هكذا؟! فقال لهم: لا أحب أن أرى خِلْقة الله كذلك. فلما أفاق الرجل وعرف ما حدث تاب إلى الله توبة نصوحًا وصلح حاله.

فـي الليلـة التالية نام العالم ورأى في الرؤيا من يقول لـه: طهرت فمه من أجل الله فطَهَّر الله قلبه من أجلك، لقد تاب الرجل.

- الحب هو الذي دفع المسـيح عليه السلام حين أحاط به كيد الكائدين لأن يقول: «**اغفر لهم يا رباه، فإنهم لا يعلمون ما يفعلون!**».
- الحـب هو الـذي دفع نبينا محمدًا ﷺ حين آذاه قومه يوم أُحَد لأن يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!**».
- الحـب هو الذي جعل عيسـى عليه السـلام يقول لامرأةٍ فعلت ذنبًـا كبيرًا: «**لقد أحبت الله كثيرًا، فغفر لها كثيرًا**».
- الحب هو الذي جعل محمدًا يقول لأصحابه عن شـارب الخمر: «**لا تلعنوه، فإنه يحب الله ورسوله**».
- عيسى عليه السلام يقول: «**الله محبة**».
- محمد ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».
- عيسى عليه السلام يقول: «**طوبى لصانعي السلام**».
- محمد ﷺ يقول: «**أفشوا السلام بينكم**».
- عيسى عليه السلام يقول: «**أنا خبز الحياة**» أي خيرها.
- محمد ﷺ يقول: «**أنا رحمة مهداة**».

الـــرد علـــى الإلحـــاد

الإيمان والإلحاد

مساحة جديدة لابد أن نتكلم فيها.. الإلحاد. دائمًا نتعامل مع هذا الموضوع بعصبية، لكنا هذه المرة سوف نتعامل بموضوعية وعقل وحكمة.

قضية قديمة جدًّا وليست وليدة اليوم.. منذ عهد إنسان الكهوف حتى إنسان ناطحات السحاب، كان هناك إيمان، وكان هناك أيضًا لا إيمان... الذي نسميه الإلحاد.

وقد تكلمت الكتب السماوية عن هذه الظاهرة فلو هي ظاهرة جديدة كيف إذن تكلم القرآن عمن لا يؤمنون بوجود الله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾.

هناك نقاط موضوعية يجب أن نعرفها للتعامل مع الموضوع بعقل وهدوء:

1 - أول نقطـة موضوعية تجعلنـا نتعامل مع الموضوع بعقـل.. أن نعرف أنها قضية قديمة جدًّا. هي موجودة لكنها تزيد وتنقص.. وهي الآن في زيادة.

2 - علينـا أن نتعامل مـع القضية بحكمة وهدوء.. بمعنـى أن الملحدين لن يختفوا من الوجـود بالحجج القوية.. القضـاء على الإلحاد لن يحدث.. فهـي ظاهرة تاريخية مسـتمرة في البشـر.. لكننا نريد أن نحمي أولادنا منها ونقللها. ولو كان هناك حل نهائي حاسم لكان الأنبياء والرسل أوْلَى به منا.

مثـال: إبراهيم عليه السـلام مؤسـس التفكير العلمي المنطقي في تاريخ البشـرية (مـع النمـرود – مـع عبـدة النجوم – مـع عبدة الأصنـام) ومع ذلـك لم ينتـه الإلحاد

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ إذن فالنقطة الموضوعية الثانية.. لا يوجد حل حاسم يقضي على الإلحاد، لكن كما قلنا نحمي أولادنا ونقلله، فإذا علمنا أنه لا يوجد حل حاسم للموضوع فعلينا أن نتعامل بوعي وعقل وهدوء.

3 - إذا كنا لن نقضي على الإلحاد فماذا نريد ونحن نعترف أنه لا يوجد حل نهائي للموضوع؟

ليس الهدف منع من ألحد بالقوة.. ولا دعم المؤمنين المتدينين..الهدف هو النوع الثالث الأكثر انتشارًا والأهم كفئة مستهدفة.. الشباب التائه الحائر بين الاثنين.. ليسوا ملحدين لكن بداخلهم شكوك، وسنحاول الرد على هذه الشكوك، هؤلاء من حقهم علينا أن نبين لهم الردود الصحيحة.

4 - أن نتخلى عن الأحكام المسبقة «الجاهزة» عن الملحدين.. وعن المتدينين.

مثال: أن نقول: إن الملحدين كلهم ليس عندهم أخلاق.. وإنهم يلحدون ليكونوا عديمي الأخلاق... وإن إلحادهم بسبب الفجور والفسق وإن كلهم فسقة. وأقول: ليس كلهم كذلك والتعميم خطأ.. أعرف بعض الملحدين أخلاقهم عالية، واختزال الإلحاد في هذا السبب يكون حكمًا سطحيًّا.

أعرف شابًّا متشككًا ذهب إلى شيخ للنصيحة.. فقال له الشيخ: لو أردت الزنا أو الخمر فافعل ما شئت، لكن لا تلحد.. الشاب لم يكن يريد الزنا بل يريد الحقيقة.

فجواب الشيخ تقليدي واهم عن الإلحاد.. صحيح أن بعض الملحدين يفكرون بهذه الطريقة لكن التعميم عَمًى وجهل.

لكن أيضًا الملحدون عندهم أوهام وأحكام مسبقة خطأ تصور أن المؤمنين بوجود الله أغبياء مقلِّدون لا يُعْمِلون عقولهم، أو أن كل متدينٍ متطرف أو عنيف.. كل هذه تصورات سطحية ساذجة عن الطرفين.

5 - النقطة الموضوعية الخامسة العاقلة.. اعتماد الملحدين على وجود عباقرة ومكتشفين وعلماء ومفكرين وفلاسفة كبار.. كلهم ملحدون.. هذا أيضًا كلام غير موضوعي.. لأن معسكر الإيمان والإلحاد فيه علماء ومفكرون.

- **أينشتين يقول:** كل ذرة في هذا الكون تخبرك أن هناك إلهًا حكيمًا ينظمها ويتحكم فيها!
- **أنتوني فلو:** أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد مر برحلة من الإلحاد إلى الإيمان وألف كتابًا سماه «رحلة عقل».. إذن فكل معسكر له أنصار.. لكن الموضوع أكبر من مجرد أسماء علماء. الأمر يحتاج إلى عقل وحياد.. الموضوع شخصي جدًّا لكل واحد منَّا.. فوجود الإله أكبر من كل أسماء العلماء في كل معسكر.

بالنسبة لي أنا - طبعًا - لست محايدًا على الإطلاق.. فأنا بالتأكيد منحاز للإيمان بقوة.. أنا لست محايدًا ولكني موضوعي.

إذن فأول خطوة جديدة للتعامل مع الإلحاد.. الموضوعية - العقل.

تعالوا نحلل فِكْر الإلحاد بموضوعية وحياد.

كيف نكون موضوعيين في نظرتنا إلى الإلحاد؟

تحليل الإلحاد:

من حيث الزمان.. الإلحاد ظاهرة إنسانية قديمة..

من حيث المكان.. كل الأرض؛ حتى الحجاز.. حتى الفاتيكان..

من حيث حالة الإلحاد.. ظاهرة ترتفع وتنخفض من نفسية البشر بين الرخاء والشدة.. **ماذا يعني ذلك؟ أغلب الملحدين يمرون بحزنٍ شديدٍ.. من أي شيء؟ من أهلهم** - من المجتمع - من الناس - أحيانًا من الله.. هو متعب وحزين نفسيًّا. فبدلًا من أن نتركه

فيزداد حزنًا وتعبًا، وبدلًا من أن نرهبه من الله فيشتد حزنه وتعبه.. يجب أن نساعده أن يصطلح مع الناس ومع أهله.. ومع الله.. جرب أن تكلمه وتقول له إنك حزين.

من حيث نوعية الملحدين: أغلبهم شـباب وعلى «الإنترنت».. هم نشطاء.. فاعليتهم عالية.. **أغلبهم متميز، وهذا أحيانًا يؤدي إلى الغرور.**

مـن حيث جـذور الإلحاد: الإلحاد يرتبط بالرفض.. بدأ برفض الكنيسـة.. ثم رفض الغيب مع المادية ثم رفض الدين كله.

بحيـاد.. هو فكر صراعي بحت لو قال: أنا ضد الدين حتى يعيش الناس في سـلام؛ لأن الدين سبب الصراع. حتى وهو يقول ذلك فقد بدأ الصراع بغلٍّ وغضب ضد الدين.

فهـو يريد التخلص من الصراع بالدخول في صراع.. الصراع النفسـي مع الدين في صُلب جذور الإلحاد.

فالإلحاد يعرض البديل المخلِّص من صراع الأديان، وهو في عمقه قائم على الصراع، أي التخلص من الصراع بالصراع.

مـن حيث الطريقة.. الإلحاد في بلادنا وجه آخر للتطرف.. فهو لا يقبل الآخر.. فهو رديكالي.. يريد هدم كل الثوابت من جذورها، وهذا في حد ذاته تطرف.

من حيث العقلية.. هو يفكر دائمًا.. هو يسأل دائمًا.. السؤال والفكر أمران عظيمان، وهما أصل الدين.

إذن فـأول التجديد في التعامل مع الإلحاد: هو المناقشـة الموضوعية العاقلة حتى لو لم نكن محايدين، والمناقشـة الموضوعية شـرط فيها أن نتقبل المُلْحد والتقبل ليس معناه الموافقة.

وكأن الملحدين نوعان؛ نفسيًّا حزين.. فكريًّا مختلف.

ثاني تجديد: الإجابة عن كل الأسئلة لأولادنا وأطفالنا وشبابنا.. دون حرج أو غضب.

«**اقـرأ**».. أول كلمة اختارهـا الله ليعرفه بها نبيه، وهي كلمة تختلف عن كل الكلمات الأخـرى التي قيلت للأنبياء الآخرين. ففي كل الرسـالات السـابقة كان الخطاب من الله يعتمد على إعجاز ملموس.. عصا تسعى.. يد بيضاء.. طير يعود إلى الحياة.

في كل الرسالات السابقة كان الله يخاطب حواس الإنسان.. هذه المرة تأسيس للغة جديدة.. لغة تعتمد على الفكر.. على التأمل.. على العقل.. «اقرأ».

القراءة أول فرض وأول أمر في الإسلام..قبل الصلاة والصوم والزكاة والحج.

«**اقـرأ**» **معناها:** اقرأ الكون..اقرأ الحياة..اقرأ التاريخ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

«**اقرأ**» **معناها:** فَكِّر بعمق.. يعني لابد أن تسأل لتفهم.. فصار السؤال من ضروريات «اقـــرأ».

كيف نمنع السؤال عن أولادنا وهو أول فرائض ديننا.. زاد الإلحاد يوم مُنِع السؤال.

واسـتمع بحكمة وعقل إلى إبراهيم أبي الأنبياء وأبي التسـاؤلات.. فقد عرض القرآن تساؤله الأول بشكل شديد الوضوح قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

موسـى كليم الله.. أيضًـا سـأل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يأتــي الجوابُ الإلهي بصورة عملية بليغة؛ الطير الذي يعود إلى الحياة والجبل الذي يندك، والمثالان يعطيان معًا صورة رائعة لرؤية قرآنية مغايرة تمامًا، فالأسئلة والشكوك هنا لا تســاور الكفار وأعداء الرســل، بل تأتي على ألســنة الرســل وتجوب في أفكارهم وعقولهم وهم لا يترددون في الإفصاح عنها لذاك الذي يعلم ما في الصدور والعقول.

لماذا عرض القرآن هذه الأسئلة؟ لأنه إذا كان الرسل الكبار أولو العزم سألوا وأجابهم الله، بل جعل الله الأسئلة الصعبة تأتي على ألسنتهم.. كأن الله يقول لنا: قد سأل الرسل بشجاعة، وليس خطأ ولم يلمهم الله ولم تكن الردود نظرية بل كانت عملية جدًّا.

والنبي قال: «**سلوني ما بدا لكم فلن تسألوني عن شيء إلا أجبتكم عنه**».

خلق الإنســان يعشق المعرفة والاستكشاف.. أطفال المدارس نربيهم ونكافئهم على الإجابة ولا نربيهم ولا نكافئهم على السؤال.. ربوا أولادكم على فن السؤال.

فن الســؤال أصيــل في ديننا.. عمــر بن الخطــاب كان يختار مستشــاريه بناءً على قدرتهم على السؤال.. لما سئل لماذا اخترت ابن عباس مستشارًا لك - وهو صغير - قال لهم: إن له لسانًا سئولًا وقلبًا عقولًا.

بعض من الملحدين لديهم أسئلة.. ويجب أن نحترم عقولهم ونرد عليهم.

وبعض من الشباب المؤمن لديهم شكوك ومن حقِّهم أن نحترم عقولهم ونرد عليهم.

إذن فثاني تجديد في مشكلة الإلحاد هو الرد على الأسئلة الصعبة.

الإجابة عن الأسئلة الصعبة في الإلحاد

جزء أساسي من مواجهة الإلحاد.. أن نسأل بوضوح دون خوف أو تردد أيَّ سؤال في ديننا دون حرج.

أنا الآن لن أكلم الملحد.. لا.. سأكلم ابني وابنك.. سأكلم القاعدة العريضة من الجمهور.

ببساطة وسهولة بدون كلام فلسفي صعب.. حتى لا يقول الملحد إن هذا كلام أقل من مستوانا.. أنا أكلم القاعدة العريضة من التائهين من شبابنا وبناتنا.. لهؤلاء أوجه حديثي...

7 أسئلة كبرى سنعرضها وليس كل الأسئلة، إنها نموذج لأهم الأسئلة فقط.

1 – السؤال الأول: ما دليل وجود الله؟

حاول أن تتخيل أنك غير موجود. أغمض عينيك. انسحِبْ من المشهد. ألغِ كل أثر لوجودك.. إن مجرد تخيلك أنك غير موجود.. هو أكبر دليل على وجودك.

والآن تخيل أن الكون غير موجود.. لا أنت ولا الكون.. هل تستطيع تخيل ذلك؟ مستحيل. هذا ما يحاول أن يتخيله من يقول: أين الله؟

منذ أن وجد الإنسان على الأرض ووجد العالم الذي هو فيه..وهو يدرك أن هناك من أوجده..وأوجد هذا العالم..

إدراكه هذا ليس نتيجة وحي أو تلقين أو نظريات علمية توصل إليها بعد بحث شاق لسنوات عديدة.. بل هو نتيجة عقله البديهي، حسه العام بمنطق الأشياء وتداخلاتها...

يذهب الإنســان إلى الغابة أو الأحراش، فيجد وســطها بيتًا خشــبيًّا منســقًا بترتيب، يــدرك فــورًا أن هناك من صنع هــذا حتمًا...لا يمكن أن يكون هــذا البيت قد وجد هكذا، دون بَنَّاء...

فيقول لنفسه: كذلك الغابة ! لا يمكن أن تكون قد وجدت دون صانع لها.

يذهب إنسان إلى الصحراء، في الطريق يجد دار استراحة، أو نُزُلًا صغيرًا...لا يمكن له أن يتصور ولو للحظة أن النُّزُلَ وُجِدَ هكذا...دون أن يكون هناك من بناه...

كذلــك الصحراء ورمالها وكثبانها وكل النفط الموجود تحتها... لا يمكن أن تكون قد وُجِدت هكذا من دون صانع.

ترى سيارة حديثة فاخرة، فتبحث عن اسم صانعها فورًا عبر «العلامة المميزة» له... ولا تتوقع أن تكون قد وجدت هكذا دون صانع. كذلك الحديد الذي صنعت منه السيارة، وكل ما استخدم فيها من مواد أولية... لا يمكن أن يكون قد وجد هكذا..

هناك صانع لكل شيء... إذن فهناك خالق لنا، لهذه الأرض، لهذا الكون...

الأمر بسيط كالتنفس، بديهي كالشهيق والزفير...لا يمكنك أن تفكر فيه...إنه يحدث فحسب.

كذلــك إدراكك هــذا.. لا بد من وجــود فاعل لكل فعل... كل نتيجــة لها مقدمة. هناك سبب وفاعل لكل شيء.

2 – السؤال الثاني: إذا كان كل شيء له سبب فمن خلق الله؟

صانع الســيارة لا تنطبق عليه معايير الســيارة التي صنعها. ليس شرطًا أن يشرب البنزين كالسيارة ليرتوي... كذلك مهندس العمارة ومنفذها لا تنطبق عليه معايير البناء. ليس مكعبًا أو وجهه زجاج، **واضع المعايير لا تنطبق عليه المعايير التي وضعها.**

وإذا طرحنا التساؤل بألفاظ أخرى وقلنا: من خلق الخالق؟ فسينكشف الخطأ العقلي بشكل أكبر، أنت تتحدث عن مخلوق أم خالق؟ لو كنت تتحدث عن مخلوق.. فسؤالك صحيح. لكن لو كنت تتحدث عن خالق. فسؤالك خطأ أساسًا.

العقل يقول: سؤالك خطأ.. أنت تسلم أنه خالق ثم تقول: مَن خلقه؟ أتجعل منه خالقًا ومخلوقًا في نفس الجملة. هذا تناقض.

فالله الذي خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيدًا بالزمان والمكان.. ولا بقوانين الزمان والمكان.

3 - السؤال الثالث: نعم، لكن الكون كله عبارة عن أشياء مرتبطة بأشياء أخرى مرتبطة بها ومعتمدة عليها. فهل هذا ينطبق على الله؟؟

فالنباتات مرتبطة بوجود الشمس والماء والهواء، والهواء والماء والشمس مرتبط بوجود الأوكسجين والهيدروجين والكربون والنتروجين... إلخ. ووجود هذه الأجزاء المادية مرتبط بوجود جزيئات أصغر، وهذه الجزيئات الصغيرة مرتبطة بجزيئات أصغر... فهذا نتج عن هذا، وهذا عن ذاك، وذاك عن ذاك... فهل هذا ينطبق على الله؟ أي: لماذا لا يكون هناك أحد آخر يكمل نقص الإله؟؟

هذا الكلام أكبر دليل على وحدانية الله؛ صحيح أن كل شيء في الكون ناقص بذاته.. وعاجز بذاته معتمد على شيء.. لكن لا بد في النهاية عقلًا أن يكون هناك أحدٌ يعتمد الكل عليه وهو لا يعتمد على أحد؛ لأن تجمع الأشياء الناقصة لا يؤدي إلا إلى زيادة عجزها حتى يأتي الكامل الذي يسد عجز كل النواقص.

والآن لنشرح هذا بمثال: لنفرض أنني جالس على كرسي من دون قائمتَيه الخلفيتَين. ولكي لا يسقط الكرسي فقد أسند إلى كرسي مثله، وهذا الكرسي إلى كرسي آخر مثله... وهكذا إلى اللانهاية، أي بعدد لا يستطيع العقل تخيله ولا يسعه الزمان ولا المكان. ومع ذلك فإن هذه الكراسي إن لم تسند إلى كرسي ثابت وذي قوائم أربعة فإنه لا فائدة من هذا التسلسل وإن استمر إلى ما لانهاية.

كـــل الكـــون نـاقـــص وغـــير كـــامـــل

كل النواقـص تحتاج إلى الكامل الذي تعتمد عليه.. وهذا هو معنى **اسـم الله القيوم** «أي القائـم علـى كل ناقص في كونـه» ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾.

4 - السؤال الرابع: لماذا يكون إلهًا واحدًا وليس عدة آلهة؟

أولًا: إذا كان فوقه إله آخر فلماذا لم يعلن هذا الإله عن نفسـه عبر تاريخ البشـرية.. الوحيد الذي ادَّعَى الألوهية هو فرعون فمات غريقًا.. ثم لو كان هناك إله غيره ولم يعلن عن نفسه فلا يستحق العبادة.

ثم إن نظام وتكامل الكون يدل على أن الله واحد ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾، ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ وطريقة الخلق الواحدة تقول إن الكون يقوده إله واحد.

الخالق واحد، لأن الكون كله مبني من خامة واحدة وبخطة واحدة.. فمن الأيدروجين تألفت العناصر الاثنان والتسعون التي في جدول «مندليف» بنفس الطريقة.. «بالإدماج» وإطلاق الطاقة الذرية التي تتأجج بها النجوم وتشتعل الشموس في فضاء الكون.

كمـا أن الحيـاة كلهـا بنيت مـن مركبـات الكربون «جميـع صنوف الحيـاة تتفحم بالاحتراق» وعلى مقتضى خطة تشريحية واحدة.. تشريح الضفدع، والأرنب، والحمامة، والتمساح، والزرافة، والحوت، كشف عن خطة تشريحية واحدة، نفس الشرايين والأوردة وغرفـات القلب، ونفس العظام، كل عظمة لها نظيرتها.. الجناح في الحمامة هو الذراع فـي الضفدع.. نفس العظام مع تحور طفيف.. والعنـق في الزرافة على طوله نجد فيه نفس الفقرات السبع التي نجدها في عنق القنفذ.. والجهاز العصبي هو هو في الجميع، يتألـف من مخ وحبل شـوكي وأعصاب حـس وأعصاب حركة.. والجهـاز الهضمي من معدة واثني عشـر، وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة،.. والجهاز التناسلي من نفس المبيض والرحـم والخصية وقنواتهـا.. والجهاز البولـي الكلية والحالب، وحويصلـة البول.. ثم

الوحدة التشـريحية فـي الجميع هي الخلية.. وهي في النبات كمـا في الحيوان كما في الإنسـان، بنفس المواصفات، تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد بنفس الطريقة؛ فأية غرابة بعد هذا أن نقول: إن الخالق واحد؟.. ألا يدل على ذلك وحدة طريقة الخلق؟

5 – السـؤال الخامس: ربما أُوجِـد الكون بطريقة الصدفـة نتيجة انفجار هائل حدث في الكون.. ربما الصدفة هي السبب؟؟

هنـاك نوعيـة من النـاس لا تفهم بالنظريـات.. لا تفهم بالعقل، ولكن هـذه النوعية تحتاج إلى تطبيق عملي تشاهده.

هذا ما حدث مع الإمام أبي حنيفة: كان يمتلك مهارة عالية مع هذا النوع من الناس، ودخل في مناظرة يومًا فجلس أبو حنيفة إليهم للمناظرة العقلية وظل يناظرهم ويقول لهم إن من غير الممكن أن يكون الكون قد نشأ صدفةً، ولكنه لم يثمر عن أي نفع معهم. فظـل يفكر وقال لهم إنه متعب اليوم ولا يسـتطيع المناظرة، وطلـب منهم أن يتقابلوا معه اليوم التالي في الموعد وفي المكان ذاتهما، وظل يؤكد لهم على الموعد. وفي اليوم التالـي، اجتمع الـكل ولم يظهر أبو حنيفة. أراد أبو حنيفة أن يسـتخدم معهم الطريقة العملية. وتأخر أبو حنيفة عليهم كثيرًا حتى غضبوا غضبًا شـديدًا، قال لهم أبو حنيفة: «**أنا آسـف ولكن كما تعلمون أنا أسـكن فـي الناحية الأخرى من الفـرات، ولكي أعبر إليكم يجب عليَّ أن آخذ قاربًا فلم يأت القارب**» أي لم أجد قاربًا على النهر لذلك تأخرت.

السؤال المنطقي هنا هو أن يسألوه: إذن فكيف وصلت إلينا؟ قال لهم: «**ظللت واقفًا علـى جانب النهر لا أعلم كيف أصـل إليكم، ففجأة جاءني لوحٌ خشـبيٌ وظل أمامي، ثـم جاءتني أربعة ألواح مـن كل النواحي المحيطة، ثم بدأت الألـواح تتجمع وتترابط بعضها مـع البعض حتى كونت قاربًا متلاصقًا، فركبتـه فقادته الأمواج حتى وصلتُ إليكم**».

قالوا: «أتهزأ بنا؟! أنت لا تحترم عقولنا! ما هذا الكلام الذي تقوله لنا؟ هذا مستحيل».

قال: «**أقررتم على أنفسكم وخسِرتُم. رفضت عقولكم أن تقبل أن قاربًا بسيطًا قد اجتمع بالصدفة وقبلتم أن هذا الكون المُعجِز كله قد اجتمع بالصدفة؟!**» فسكتوا.

الصـــدفـــــة؟!

هل تترك طفلك الرضيع وسط الطريق في شارع مزدحم بالسيارات المسرعة؟

هل تتركه للصدفة، وتقول سينجو؟! لا يمكن أن تسلم طفلك للصدفة...فكيف تسلم عقلك للصدفة؟!

يقول داوكنز شـيخ الملحدين: إن (لا شيء) قاد إلى (كل شيء).. يريد أن يقول: إن لا شيء أوجد كل شيء.

ولكن السـؤال.. من أين جاءت المواد الأولية للكون؟ الانفجار.. مواد الانفجار الأولى من الذي أوجدها؟ التطور.. أريد الرد على السؤال أولًا.. من أين جاءت المادة الأولى؟

ثـم إن الانفجار الكبير.. لا يتعارض مع القـرآن: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. ولكـن يبقى السؤال: المواد الأولية من أين جاءت؟

الصدفـة.. كأنـك تقول إن قرود الشـمبانزي أمامهم بيانو فعزفـوا فجاءت مجموعة قصائد بيتهوفن.

الصدفة كشفها عالم بريطاني اسمه شرويدر:

يبـدأ شـرويدر تفنيده بعرض تجربة أجراهـا المجلس القومـي البريطاني للفنون، وفيها وضع الباحثون سـتة من القِرَدة في قفص لمدة شهر، وتركوا معها لوحة مفاتيح كمبيوتر، بعد أن دربوهم على استخدام لوحة المفاتيح.

كانــت النتيجــة 50 صفحة مكتوبة، دون كلمة واحدة صحيحــة، حتى لو كانت هذه الكلمة من حرف واحد مثل A (لاحظ أنه لا بد من وجود مســافة قبل حرف A ومســافة بعده حتى نعتبره كلمة).

وإذا كانــت لوحة المفاتيح تحوي ثلاثين مفتاحًا (26حرفًا + 4 رموز)، فإن إمكانية الحصــول على كلمة من حرف واحــد بالصدفة، عند كل محاولة، تصبح $\frac{1}{30\times30\times30}$ أي $\frac{1}{27000}$. بعد ذلك طَبَّق شرويدر هذه الاحتمالات على قصيدة (سوناتا) لشكسبير، فخرج بنتائج عَرَضها كالآتي:

اخترت لشكسبير السوناتا التي تبدأ ببيت Shall I Compare thee to a Summers day، وأحصيــت حروفها فوجدتها 488 حرفًا. ما هي احتمالية أن نحصل بالطَّرْق على أزرار لوحة الكمبيوتر على هذه الســوناتا بالصدفة (أي أن تترتب الــ488 حرفًا نفس ترتيبها في السوناتا)؟ إن الاحتمال هو واحد مقسوم على 26 مضروبة في نفسها 488 مرة.

وهــو مــا يعــادل 10(- 690). وعندما أحصى العلمــاء عدد الجســيمات في الكون (إلكترونــات، وبروتونــات، ونيوترونــات) وجدوهــا 10(80) أي واحــد وعلــى يمينــه 80 صفرًا. معنى ذلك أنه ليس هناك جســيمات تكفي لإجراء المحاولات، وســنحتاج إلى مزيد من الجسيمات بمقدار 10(600).

وإذا كان هذا الرأي يعجز عن إثبات إمكانية كتابة سوناتا بالصدفة، فهل سينجح في تفسير نشأة الحياة بالصدفة من المادة غير الحية؟!

وإذا حَوَّلنــا مادة الكون كلهــا إلى رقاقات كمبيوتر تزن كلٌّ منهــا جزءًا من المليون مــن الجــرام، وافترضنا أن كل رقاقة تســتطيع أن تجــري المحاولات، بدلًا مــن القِرَدة، بســرعة مليون محاولة فــي الثانية، نجد أن عدد المحاولات التي تمت منذ نشــأة الكون هي 10(90) محاولة. أي إنك ستحتاج مرة أخرى كونًا أكبر بمقدار 10(600) أو عمرًا أطول للكون بنفس المقدار.

بهذا العرض لشـرويدر انهار تمامًا البرهان العقلي الذي يسـتند إليه الملاحدة. وإذا أضفنـا إلى ذلك قوة البرهان الـذي يقدمه التعقيد الهائل في بنية الكون وفي بنية وآلية عمـل جزيء الدنـا DNA، اكتمل لدينا البرهان الفلسـفي (الدليل علـى صدق الرأي مع الدليل على خطأ الرأي المقابل) على وجود الإله الحكيم القادر.

6 – السؤال السادس: لماذا لا تكون الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون؟

هذا هروب سخيف من كلمة الله إلى كلمة الطبيعة.. دون تغيير في المعنى وهذا كِبْر وعناد بدلًا مـن الاعتراف أن الله «خلق» فنقول «الطبيعة» خلقت!! ... هذا جحود للآيات الواضحة برغم إحساسنا بصدقها ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾.

الهـدف الحقيقـي.. الكفر الحر أي حريـة الكفر.. حتى لا يؤلمـك ضميرك.. أخطاء عنيفـة وكبائر فـي الدين تريح ضميرك فتقـول: هذا ليس خطأ لأني أصـلًا غير مؤمن بالله.. الطبيعة.

تعالـى ربنا علـى أن نبرهن عليه.وبم نبرهن عليه والكل منـه وإليه قائم به، متوقف عليه!

تقـول لـي.. تعـال نبرهـن علـى اللـه.. كيـف نبرهـن عليـه وكل شـيء قائـم به ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾!.. ترى شيئًا جميلًا فينطق لسانك أمام الجمال وتقول «**اللـــــه**»!

كمـا تصرخ حينما تتلوى بألم وتقول: «**يا رب يا لطيـف**» وإن لم تكن تؤمن بالرب، أو تعتقـد فـي لُطف اللطيف، ولكنه صـوت قلبك الذي رأى طابع الإلـه، وأثر يديه على مخلوقاته.

7 – السؤال السابع: أريد دليلًا ماديًّا حاسمًا على وجود الله وعلى حكمة الوجود وهدفه!!

لقد أصر الملحدون لفترة طويلة جدًّا، على أن يفرضوا «أدواتهم» في النقاش علينا.

فهم لا يقدمون أجوبة عن سؤال (من صنع هذا الكون؟) ولكن يطلبون من المؤمنين أن يثبتوا أنه هو الخالق، فهم ليس لديهم أي تصور بديل.. ليس لديهم جواب عن هذا السؤال.. فمن الإيجابي ومن السلبي؟

مثال: دخلت قاعة محاضرات فوجدت السؤال مكتوبًا على اللوحة.

لا تعرف من كتب السؤال.

ثم دخل البروفسور وطلب من الجميع الرد على السؤال المكتوب على اللوحة.

كتب الجميع أجوبتهم حسب فهمهم السؤال: وسلموا البروفسور أوراق الإجابة.

لكن البروفسور لم تعجبه أى إجابة. فقال للجميع: لقد رسبتم في الامتحان لأنكم فشلتم في الإجابة.

رفع أحد الطلبة يده وقال للبروفسور: ما هو الجواب الصحيح إذن؟

قال البروفسور: لا أعرف الحقيقة. ربما لا جواب هناك. أستطيع أن أبين لكم أن أجوبتكم كانت خطأ كلها...لكن لا أعرف ما هو الجواب الصحيح...

فرد طالب ذكي: كيف تحكم على إجاباتنا أنها خاطئة إذا كنت لا تعرف الإجابة الصحيحة؟!

هذا ما يفعله الملحدون معنا...

الملحد ليس عنده إجابات لكن.. أنا عندي جواب وتفسير كامل للكون.. وهو ليس عنده أي تصور، فكيف يحكم أن كلامي خطأ؟

رفع أحد الطلبة يده مجددًا وقال: لم إذن كتبت السؤال على اللوحة وطلبت منا أن نجيب عليه ما دمت لا تعرف الجواب؟

قال البروفسور فورًا: لم أكن أنا من كتبت السؤال على اللوحة، دخلت القاعة فوجدته مثلكـم، منـذ أن دخلت هذه القاعـة أول مرة قبل عشـرين عامًا وهو هنـا... حاولت أن أمحـوه... ولم أنجح.. حاولت أن أغير اللوحـة، وغيرتها فعلًا، لكن كل مرة أدخل القاعة لأجد السؤال نفسه، على اللوحة الجديدة..

كان السؤال هو.. لماذا خلقنا الله؟

هكذا يفعل الإلحاد، ليس لديه إجابة، ويريد أن يحكم على إجابات الإيمان..

أما المؤمن فعنده إجابات واضحة.. من الذي خلقنا؟.. **اللـــه**..

لماذا خلقنا؟.. **لنعمر الكون**..

أين نذهب؟.. **ندخل الجنة إذا فعلنا الخير**..

فمَن الإيجابي ومَن السلبي؟ أنا أم الملحد!!!

معضلة الشر والألم

مازلنــا نتكلم حول الإلحاد.. وأصعب نقطــة يرددها كل من يلحد، وكذلك يفكر فيها بعض المؤمنين أنفسهم هي: معضلة الشر والألم.

دائمًا الســؤال الأصعب الذي يقدمه الملحدون هو: أين رحمة الله وســط هذا الشــر والألم الكبير في الأرض؟ أليس هو أرحم الراحمين؟ أليست الرحمة عنوان خلقه وعنوان كتابه؟ أين هذه الرحمة؟؟

- الألم يعصر الأرض.. زلازل – براكين يموت فيها الملايين.. لا ذنب لهم.
- أطفال معذبون – أطفال شوارع – أطفال مشردون لا ذنب لهم.
- حروب يموت فيها الأبرياء.. أطفال تُيَتَّم.. كم عدد الذين ماتوا في الحروب؟
- الحزن والألم لا ينتهي من البشر.
- ثم الشر يملأ الأرض.. حروب يموت فيها الأبرياء.. جشع وظلم.. أين رحمة الله؟!
- كم الشر الرهيب في الأرض.. لماذا؟
- معضلة الألم.. معضلة الشر.
- وأشــد شــيء هو الموت.. مصائب الموت.. أين الرحمة وسط كل هذا العذاب؟ لماذا أوجد الله الشر أصلًا؟

نقاط جديدة عميقة أعرضها اليوم للرد عليهم.. وأنا لا أدعي أن كلامي نهائي.. تعالوا نتحاور بحب حولها:

1 – لماذا أوجد الله الشر في الحياة وأمر به؟ أليس ذلك ضد الخير والرحمة؟

الله **لم يأمر بالشر** لكنه **سمح به** لحكمة وخير للبشرية كلها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾.

الله لا يأمر إلا بالعدل والمحبة والإحسان والعفو والخير وهو لا يرضى إلا بالطيب. فلماذا ترك الظالم يظلم والقاتل يقتل والسارق يسرق؟

لأن الله أرادنا أحرارًا.. والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب.. والاختيار الحر بين الشر والخير.. المعصية والطاعة. وكان في قدرة الله أن يجعلنا جميعًا أخيارًا وذلك بأن يقهرنا على الطاعة قهرًا، وكان ذلك يقتضي أن يسلبنا حرية الاختيار. وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الألم أكرم للإنسان من العبودية مع السعادة..

ولهذا تركنا نخطئ ونتألم ونتعلم وهذه هي الحكمة في سماحه بالشر من أجل الحرية.. يا من ألحد.. أنت ألحدت من أجل حريتك التي كفلها الإسلام لجميع البشر.. قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. لماذا نفهمها فقط أنها للكافر. لا تجبر أولادك على التدين.

لا نحب أن يزايد الغرب علينا في الحرية.. لأن الدين هو مؤسس فكرة الحرية.. ومصدرها.

2 – ومع ذلك فإن النظر المنصف المحايد سوف يكشف لنا أن الخير في الوجود هو القاعدة وأن الشر هو الاستثناء..

فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء، ونحن نقضي معظم سنوات عمرنا في صحة ولا يزورنا المرض إلا أيامًا قليلة.. وبالمثل الزلازل والبراكين هي في مجملها بضع

دقائـق في عمر الكرة الأرضية الذي يُحصَى بملايين السـنين، والحروب هي تشـنجات قصيرة في حياة الأمم بين فترات سلام طويلة ممتدة.

3 - الشر يحمل بداخله الخير..

لكل شـيء وجه مـن الخير، فالمرض يحقـق وقاية والألم يربـي الصلابة والتحمل، والزلازل تنفس عن الضغط المكبوت في داخل الكرة الأرضية وتحمي القشـرة الأرضية مـن الانفجـار وتُعيد الجبال إلـى أماكنها كأحزمـة وثقالات تثبت القشـرة الأرضية في مكانهـا، والبراكين تنفي - تلقائيًّا - المعادن والثروات الخبيئة الباطنة وتكسـو الأرض بتربة بركانية خصبة..

والحروب تدمج الأمم وتجمعها في كتل وأحلاف ثم في عصبة أمم ثم في مجلس أمن وهو بمثابة محكمة عالمية للتشاكي والتصالح.. وأعظم الاختراعات ظهرت أثناء الحروب مثل: البنسلين، الذرة، الصواريخ، الطائرات النفاثة، كلها نتجت من أتون الحروب.. ومن سم الثعبان يخرج الترياق.. ومن الميكروب نصنع اللقاح.

فالله يولد الخير والرحمة من الألم.. فألم الولادة آخره مولود جميل.. والرعد المخيف آخره مطر كله خير.. والتجارب الفاشلة هي سر النجاح.

ولـولا اعوجاج القوس لما رمى.. ولولا سـجن يوسـف لما صار عزيـز مصر.. ولولا وجود فرعون لما كان هناك معنى لوجود موسى.

والشر في الكون كالظل في الصورة إذا اقتربْتَ منه خُيلَ إليك أنه عيب ونقص فيها.. ولكن إذا ابتعدت ونظرت إلى الصورة نظرة شـاملة اكتشـفت أنه ضروري ولا غنى عنه وأنه يؤدي وظيفة جمالية في البناء العام للصورة.

إنـه الألم الخلاق.. قاعدة صحيحة.. وليسـت الفوضى الخلاقـة.. فتركيب التحديات يرتقي بالإنسان فكرًا وخلقًا وإيمانًا.

فانظر إلى آثار رحمة الله فيما نراه نحن شرًّا.

4 – سبب رابع لسماح الله بوجود الشر.. بضدها تعرف الأشياء..

فالقاعـدة تقول: بضدهـا تعرف وتتميز الأشـياء.. هل كان ممكنًـا أن نعرف معنى الصحة لـولا المرض؟ ولولا أخطاء الآخرين لما تجنبنا خطأهـم.. إن الصحة تظل تاجًا على رءوسنا لا نراه ولا نعرفه إلا حينما نمرض. وبالمثل ما كان ممكنًا أن نعرف الجمال لولا القبح، ولولا الوضع الطبيعي لما عُرف المخالف.. كيف يشـعر بحمد الله من لم ير إلا النعمة؟!!

5 – الحياة مدرسة الارتقاء بالخبرات..

المؤمنـون يقولـون: إن الحيـاة عبارة عن امتحـان.. يرد الملحد ويقـول: لماذا هي امتحان؟ تعالوا نأخذها بشـكل جديد.. الحياة مدرسـة نتعلم فيها.. لا أحد يختلف على هذا المعنى.. الحياة مدرسـة.. والتعليم لا يتم إلا بوجـود أخطاء نتعلم منها.. ونحن لن نتعلم إلا بوجود أجيال وقعت في الخطأ فتألمت منه فتعلمنا منها.

فمثلًا أوربا تعلمت الوحدة الحالية.. من آلام آبائهم في الحرب العالمية الأولى والثانية.

نيلسـون مانديلا تألـم كثيرًا.. لكنه علَّم البشـرية درسًـا محفورًا في عـدم التمييز العنصري..

ثم إن طبيعة المدرسـة أن فيها امتحانات.. لكن الهدف أن يتراكم التعليم ويكون له أثر في البشرية.

ونتيجة ذلك لابد أن يكون هناك يوم حساب.. تعرض فيه التجارب أمام الجميع حتى نصـل منها إلى قمة الإدراك والتعلـم.. وهو تكامل الإدراك الرهيب.. سـترى عددًا كبيرًا أخطأ في النهاية.

إن يـوم القيامـة بمعنى آخر هو يوم كشـف وعرض وتحليل الخبـرات عبر تاريخ البشرية.

6 – ثم إن الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية سوف تتعدد فصولها، فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها. ولا يجوز أن نحكم على رواية من أول فصل، ولا أن نرفض كتابًا لأن الصفحة الأولى لم تعجبنا.

الملحد إذا قلت له هناك الجنة في الآخرة.. قال لك: أنا لا أومن بالجنة ولا بالآخرة.. فإن قلت له فماذا تريد؟! يقول لك: أتمنى حياة خالية من الألم والشر والحزن.. فتقول له: أنت تتمنى الجنة التي وعدنا الله بها.. فكيف تتمناها وتنكرها في نفس الوقت.. أنت متناقض مع نفسك للغاية..

7 – ثم أليست أفعال الإنسان هي سر معظم الشر في الأرض؟

ـ من السبب في إفساد البيئة وجنون البقر والتصحر وقطع الأشجار؟ من السبب في الحروب والقتل؟ أليس هو الإنسان؟

مثال: أرسل الرياح وأجرى الأنهار لكن قائد السفينة جشع في قلبه فوضع فيها أكثر من حمولتها..فغرقت فمضى يسب القدر.. ما ذنب القدر؟! أنت السبب لأنك جشع..

اسمع الآيات: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

إن جدتي كانت أكثر حكمة من الملحد حينما تقول في بساطة، «**خير من الله شر من نفوسنا**» كلمات قليلة ولكنها تلخيص أمين للمشكلة كلها..

8 – فماذا عن الموت.. هل هناك مصيبة أشد من الموت؟!

- صحيح أن الموت لكونه فراقًا يعد حادثة مؤثرة ومحزنة في نظر العقل وفي مستوى إنسانية الإنسان. بما لا يمكن إنكار تأثيره وأثره، لكن هناك نظرة أخرى مهمة لابد أن نفهمها.

- المـوت ليـس انقراضًا أو فنـاء ولا عدمًا أبديًّا، بـل هو تغيير مـكان، وتغيير حال، وتغييـر أبعاد وإجازة وانتهاء مـن أعباء وظيفة والوصول إلى الراحة وإلى الرحمة؛ لذا فالموت جذاب جاذبية الحياة، ومفرح فرح الوصال مع الأحباب والأصدقاء، وهو نعمة كبيرة لأنه يوصل إلى الحياة الخالدة.

- الموت تغيير مكان لمكان أفضل.. وتغيير وضع لأفضل منه.. وهذه هي سنة الحياة في جميع الكائنات.. كيف؟؟

أضـرب لكـم أمثلة للتوضيـح: معدن الذهـب وجوهر الحديد لا يصلان إلى مسـتوى هويتهمـا الحقيقيـة إلاّ بعـد إذابتهما، أي بعـد مرورهما بنوع من المـوت، وإلاّ فإنهما إن لـم يمرا بهذه العملية فإنهمـا يظهران بمظهر التراب والحجـر، أي بمظهر مخالف لحقيقتهما ولهويتهما. والشـمس لا تغرب إلا لتشـرق في مكان آخـر، والنهار لا يغيب إلا ليظهر في مكان آخر.

والمـاء في النهر يمـوت أيضًا في البحر ويتحلل إلى بخار.. والسـحب تموت بنزول المـاء... كذلك نحن البشـر، الموت يغير وضعنا من العمل إلى الاسـتمتاع. أليس الموت بذلك أثرًا من آثار رحمة الله؟!

فعندمـا يتحـد الأوكسـجين مع الهيدروجيـن فإنهما يفقـدان خصائصهمـا الأولية السـابقة، أي يموتان ولكنهما يكونان ألزم شيء للحياة وهو الماء، أي يُبعثان من جديد في مستوى أرقى.

- لذا فإننا نطلق على الغياب وعلى تغيير المكان وتغيير الحال اسـم «الموت»، ولكننا لا نقـول عنـه إنه انقراض وعدم. وكيف نسـتطيع قول هـذا وكل حادثة جارية في الكون من أصغر الجزيئات الذرية إلى أكبر الأجرام السماوية، وكل تحوّل وانصهار وتشـتت متوجه للأحسـن وللأجمل! كل ما يمكننا قوله هنا هـو أن الموجودات في سياحة وفي نـزهة، ولا نستطيع القول أبدًا بأنها سائرة نحو العدم.

- ومـن زاويـة أخرى يعد المـوت تغيير نوبـة الوظيفة، فكل موجـود مكلَّف بوظيفة استعراض خاص به أمام خالقه الذي أوجده.

- نظـام الكـون كله قائم على بقاء الأشـياء مـع تغيير مكانها لمـكان أفضل ووضع أفضـل.. لذا فهناك في جميع أنحاء هذا الوجود شـروق بعد كل غروب، تمامًا مثلما يتعاقب الليل والنهار، فالضوء يترك مكانه للظلام، والظلام يترك مكانه للضوء.

حركة الذرات وتحللها إلى نمو الأعشاب والنباتات، إلى تدفق الأنهار إلى البحار وإلى تبخر المياه وتكوينها السحب والغيوم ثم نـزولها مطرًا إلى الأرض... إلخ. أي نشاهد أن كل شيء يتحول ويسرع بكل شوق من حال إلى حال أفضل وأسمى.

- لذا فالموت عند من أدرك حقيقته ليس إلاّ ترخيصًا وتبديلًا للمكان وسياحة إلى عالم يلقى فيه تسـعة وتسعين بالمائة من أصدقائه وأحبائه، بينما لمن لم يدرك حقيقته واقتصر على مشـاهدة وجهه الظاهري المخيف.. الموت عند هؤلاء جلاّد ومشـنقة، وبئر دون قاع، ودهليز مُظلم.

- **فاعلـم أن:** الإلحـاد أكثر ألمًا مـن الإيمان؛ لأننا نؤمن بلقاء آخـر بعد الموت وهو ما يبعث البهجة فى نفوسنا.

- عقيـدة البعث بعـد الموت أو إهداء حياة خالـدة لمحكوم عليه بالإعـدام... هو لقاء الأحبة، فالملحد محروم من جمال هذه العقيدة.

- ثـم تعالوا نتخيل العكس.. لو لم يكن هناك موت.. ماذا كان يحدث لو أن كل شـيء اسـتند إلى الحياة بدلًا من اسـتناده إلى الموت؟ أي لو لم يتّجه كل شيء إلى الفناء وإلى الزوال واسـتمرت الموجودات متماوجة في بحـر الوجود، وكانت الموجودات تعمل من جانب واحد.. ماذا كان يحدث آنذاك؟

فكّروا لحظة... وتصوروا أنه ما من شـيء يموت أبدًا... في هذه الحالة لا يسـتطيع الإنسان وحده -حتى في العصور الأولى- بل لا تستطيع حتى ذبابة واحدة العثور على مكان للعيش فيه. فالنمل والنباتات المتسـلقات تسـتطيع أن تسيطر على العالم بأسره

فــي عصر واحد فقط، إن لم تتعــرض للموت والتحلل، فلا يبقى شــبر واحد فارغ على ســطح الكرة الأرضية، ولَبَلغ ارتفاع ســمك النمل والمتســلقات مئات الأمتار فوق سطح الأرض. لــذا فعندمــا تتخيل مثل هذا المنظر المرعب تــدرك آنذاك كيف أن الموت رحمة والتحلل والتعفن رحمة وحكمة من الإله للبشر.

- ثــم تخيــل الصــراع الرهيب بيــن الأجيال وبعضهــا.. فجيلنــا وجيل آبائنــا مثلًا لا يســتطيعون العيش معًا لاختلاف الأفكار، والدنيا في تغير مســتمر كل يوم.. تخيل العذاب لو أن الأجيال كلها تعيش معًا.. ستقول لي من الممكن أن يخلقهم ويعيشوا بلا ألم أو صراع أجيال أو أي مشاكل.

أقــول: أنــت هكذا تعترف باليوم الآخــر وبالجنة، فقد وعد بما يتمنــاه الملحد.. وعد بالجنة الخالية من هذه الآلام والمشــاكل، لكن لمن يســتحقها بعد اختيار الدنيا، فجمع الإله فيها بين العدل والرحمة.

أليــس المــوت أثرًا من آثار الرحمــة والحكمة؟ والعكس: أليس عــدم الموت في هذه الحيــاة يعــد مصيبة مفزعة وعبثًا بحيث لــو أمكن تصويره كفيلم لبكــى الناس بحرقة لا للموت ولكن لعدم الموت؟!

- ثم مَن أكثر راحة في التعامل مع فكرة الموت والحياة.. المؤمن أم الملحد؟

الملحد حيران نفســيًّا في أســئلة لا إجابة لها.. كيف خلقنا؟ لماذا خلقنا؟ أين أذهب بعد الموت؟ المؤمن مستقر نفسيًّا بإجابات شافية.. عند المصائب يظهر الفرق بوضوح حتى إن كثيرًا من الملحدين اعترفوا أنهم يحسدون المؤمنين لأن الإيمان يصبرهم.

انظر إلى هذه المقارنة البسيطة:

الملحد متشائم:

- كل شيء عبث.
- الحياة لعبة سخيفة.

المؤمن متفائل:

- الجزاء هو الجنة.
- الخير باق في الدنيا والآخرة.

الملحد مضطر لنظرة سلبية للحياة.. المؤمن مفعم بالنظرة الإيجابية للحياة.

الملحد.. الموت عنده فناء ونهاية الصلة بالأحباب والأهل والأولاد ولا قيمة للعمل عنده فالحياة زائلة.

9 - ثم بعد كل هذا الألم.. أوجد الله سبحانه وتعالى الإيمان ليخفف به الألم.. أثر الإيمان في التعامل مع الألم..

مثال: الملح لو وضع في كوب صغير كم يكون مرير المذاق بينما لو وضع في نهر فإن طعم المرارة يزول... كذلك الإيمان يوسع صدرك لتحمل الألم.. وسع تحملك للألم بالإيمان.

الخاتمة

مشروع الإيمان والعصر

هو مشروع لسد الفجوة بين فهم الدين وبين الحياة.

هدف المشروع: إحياء الإنسان وفق قيم الخير ـ الجمال ـ الرحمة.

شعاره: رؤية جديدة فعالة لدور الدين فى الحياة.

فلسفته: الفاعلية والإنسانية.

مصدره: فهم مستنير للقرآن والسنة.

مجاله: العمل والإنتاج ـ الأخلاق والقيم.

رسالته: ظهور أجيال من الشباب تفهم الدين بشكل إنساني قائم على قيم الخير والجمال والرحمة بما يفعِّلها نحو العمل والأخلاق ويحميها من التطرف والإلحاد.

مكـــونـاتـــه:

1 القـــرآن:

1 - **الأهداف الإنسانية للسور:** رؤية جديدة للأهداف الكلية لسور القرآن من زاوية إنسانية بما يدفع نحو العمل والإنتاج واعتدال الفكر.

2 - **الحكم الإنسانية للقرآن:** حكم إنسانية يعيش بها الإنسان في الحياة منظومة في شكل نظام قيم متكامل يحقق الخير والجمال والرحمة.

3 - **إحياء مجالات الحياة من القرآن:** القرآن يولد حلولًا في مجالات الحياة المختلفة، وترسيخ هذه الفكرة يوجه طاقات الشباب للتعامل مع القرآن بشكل علمي إيجابي فعال، ويواجه القراءة الخاطئة والفهم المغلوط العنيف لآيات القرآن.

4 - **القرآن جملة واحدة:** جمع آيات القرآن ذات العلاقة بالموضوعات الشائكة، خاصة الجهاد والقتال، وقراءتها في شكل جملة واحدة معتدلة ومتوازنة.. بما يحمي من التطرف والإلحاد.

2 الأخـــلاق:

مراحل ترسيخ الأخلاق: أربع مراحل لتوصيل الأخلاق إلى شعور الأعماق:

المرحلة الأولى: الوعي بقيمة الأخلاق ـ رد اعتبار الأخلاق:

عن طريق 50 فكرة ذكية ترسخ التربية على الأخلاق.. مثال:

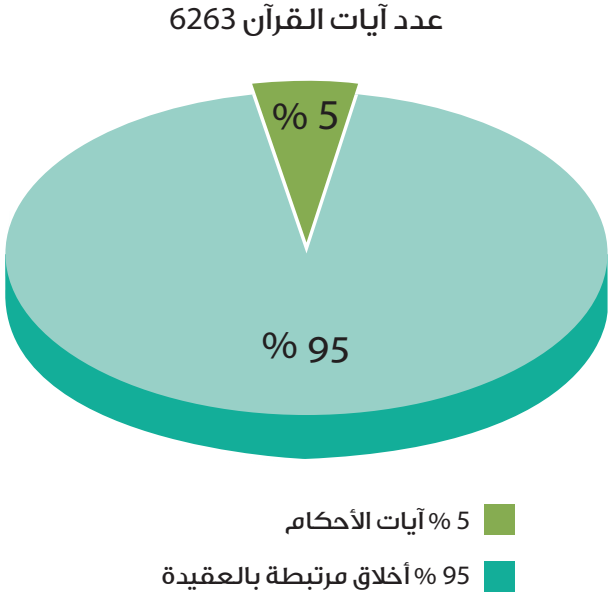

مثال: لا يوجد حكم فقهي إلا وراءه قيمة أخلاقية أو جمالية ـ عرض مجموعة من القيم الأخلاقية والجمالية المتعلقة بالأحكام الفقهية.

المرحلة الثانية: المشاهدة لنماذج أخلاقية:

عن طريق برنامج توليد الخير: ابحث عن الخير في كل إنســان تلقاه ولا تبحث عن شــخص واحد فيه كل الخير ـ الخير منتشــر في الكون وليس مركزًا في شــخص واحد «برنامج تدريبي».

المرحلة الثالثة: اختيار وممارسة:

عن طريق منظومة أخلاق جديدة تسمى أخلاق الانطلاق..

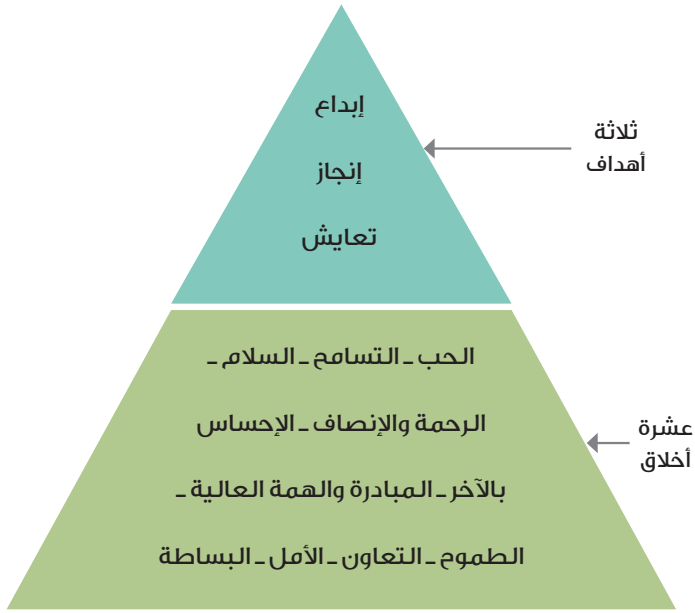

المرحلة الرابعة: طريقة حياة «Life Style» بما يحقق الخير والجمال والرحمة:

عن طريق منظومة التناغم الإنساني..

المكونات	الجسد	العقل	النفس	القلب	الروح
وعاء	وعاء النشاط والحركة	الفهم والفكر	الإرادة (التقوى والفجور)	الإدراك (الفهم مع الوجدان)	الصلة بالله (الربوبية)
يغذى بـ	الرياضة والعمل	القراءة والمعرفة والتدبير والتأمل والتعلم المستمر	مجاهدة النفس والتقوى	الحب وذكر الله	إرسال الروح إلى الله
	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة	الأخلاق ذات العلاقة

كل ما سبق يُعرض على ميزان ومعيار القيم (الخير ـ الجمال ـ الرحمة).

3 العمـــل:

منظومة العمل في الإسلام

الهدف: الوصول إلى إنسان (مبادر ـ منتج ـ كفء ـ فعال ـ مُبدع) يقدس العمل ويتقنه وفق قيم الخير والجمال والرحمة.

منظومة متكاملة لإحياء روح العمل في الإنسان المسلم.

المنظومة ذات ثلاثة أبعاد (فكري ـ نفسي ـ مهاري).

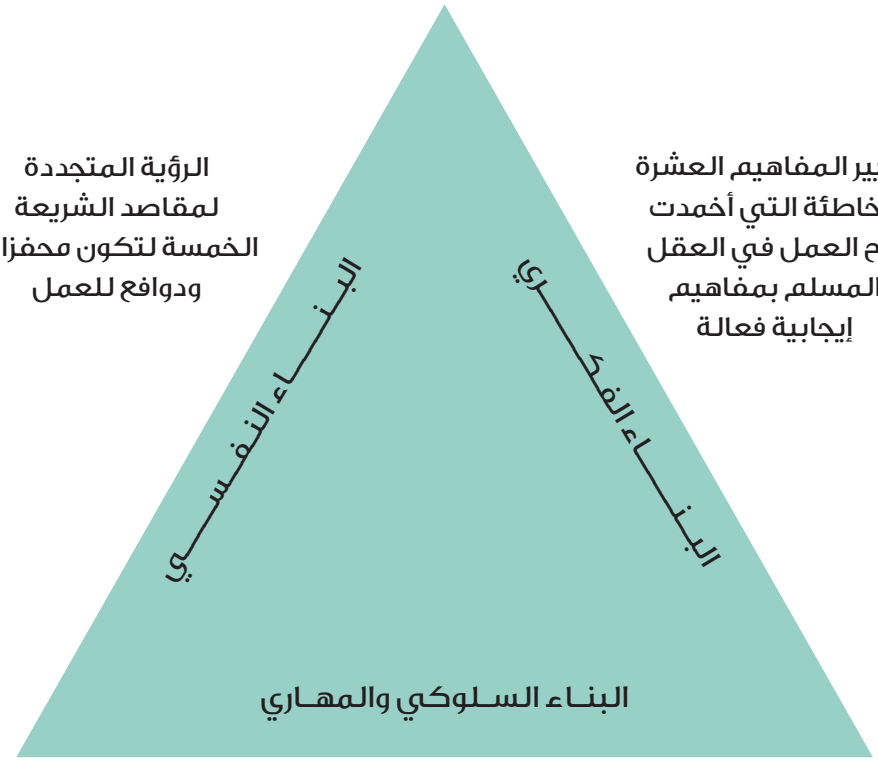

القواعد العشرون لسلوكيات المهنة

المنتج النهائي للمنظومة إنسان (مبادر ـ منتج ـ كفء ـ فعال ـ مبدع).

منظومة العمل في الإسلام

الهدف: الوصول إلى إنسان (مبادر ـ منتج ـ كفء ـ فعال ـ مُبدع) يحترم العمل ويتقنه وفق قيم الخير والجمال والرحمة.

حطم **المفاهيم العشرة** الخاطئة التي أفسدت قيمة العمل في العقل المسلم

1. كراهية الدنيا ـ فن حب الحياة.
2. اختزال الدين في العبادات فقط ـ العبادة نوعان: عبادة تقديس، وعبادة تعمير.
3. الفقر أفضل من الغنى ـ الفقر عدو الإسلام.
4. تحريف التوكل ـ العمل هو شرط أن يكون الله لك وكيلاً.
5. تخدير مفهوم القضاء والقدر ـ القضاء والقدر فكرة فعالة لتوليد طاقة وقدرة الإنسان.
6. استبدال المهنية بالفهلوة والتحايل ـ الإتقان هو البديل لثقافة الفهلوة (قيمة الإنسان فيما يتقنه).
7. تضييع حقوق المِلْكية ـ حفظ حقوق الملكية فريضة دينية إنسانية.
8. استحقار العمل الحرفي ـ العمل الحرفي أحد شروط نهضة الأمم.
9. عدم العدالة يقتل الحافز للعمل ـ اقهر بعملك التحديات الخارجية.
10. البحث عن الحق دون أداء الواجب ـ اعمل أولاً ثم اطلب حقك.

محفزات الإسلام الخمسة للعمل

1. حفظ النفس ـ طور ذاتك (التدريب).
2. حفظ العقل ـ تعلم فن صناعة الحلم.
3. حفظ الدين ـ أنت مسئول عن إعمار الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.
4. حفظ المال ـ ثقافة الكفاح والعرق «فرص الحياة بعدد أنفاس البشر».
5. حفظ الكرامة الإنسانية ـ حقق ذاتك وحقق احترامك بالعمل.

16 طريقة لفتح أبواب الرزق والعمل ـ اصنع فرصتك ـ فرص الحياة بعدد أنفاس البشر

1. ابحث عن مهاراتك وشغلك في الحياة.
2. تفانَ في مهنتك مهما كان موقعك صغيرًا حتى تتفوق.
3. تعلم حرفة.
4. اكتشف موهبتك ونمِّ هوايتك.
5. أنشئ أو شارك أصحابك في مشروع صغير.
6. اعمل في إجازة الصيف ولو بدون أجر لتسبق غيرك.
7. شارك في عمل خيري إنتاجي كمتطوع لتكتسب خبرة.
8. سافر لأطراف بلدك أو هاجر بحثًا عن الرزق.
9. غير مهنتك وافعل ما تحب باجتهاد لتجد مصدر رزق جديدًا.
10. طور ذاتك وتعلم شيئًا جديدًا «لغة، مهارة، تكنولوجيا، رياضة».
11. رافق أو استشر إنسانًا ناجحًا خاصة لو كان من عائلتك لتكتسب خبرته.
12. اعشق المغامرة وحب الاستكشاف والاختراع.
13. اقبل عملاً بسيطًا يرفضه غيرك حتى تجيده أو يتيح لك فرصة أكبر.
14. مارس عملاً تجاريًا ولو بسيطًا بالتدريج وبعد دراسة.
15. حسن خلقك لتكون عملة نادرة يحتاجها الجميع.
16. اعمل مع أصدقائك «حول شلة المقهى لشلة عمل».

الإيمان والعصر

رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة

الفـــاعلـيـــة والمـرجـعـيـــة

(عمل وأخلاق) ـ (قـرآن وسنة)

1 العمـــل

وعظي	تأهيلي
- مؤسسات دينية - تدريب.. توعية	- تـدريـب (مصانع وشـركات) - تنمية بشـريـة

2 الأخـــلاق

وعظي	تربوي + تنشئة
- مؤسسات دينية - تدريب.. توعية	- تـدريـب (مؤسسات تعليمية) - تدريب (مؤسسات مجتمع مدني)

تصحيح المفاهيم
«مفاهيم عملية فعالة»

3 القـــرآن

- الأهداف الإنسانية للسور.
- القـرآن حياة «إحياء مجالات الحياة في القرآن».
- المبادئ الإنسانية للقرآن.
- القرآن جملة واحدة.

تتحول إلى برامج عملية ودورات تدريبية

4 السُـنـة

كتاب أحاديث لتفعيل الحياة
«الأربعون الإنسانية»

للتواصل:

www.facebook.com/amrkhaled

www.twitter.com/amrkhaled